410

HARLEQUIN

روايات أحلام

عائد من الضباب

ساندرا فيلد

www.rewity.com/vb
^RAYAHEEN^

www.rewayti.net

عائد من الضباب

كم كانت برينة يومها!
ذات ليلة تحول إعجاب جينيسا السري بالمليونير الأسطوري برايس لاريبي إلى شغف لم تستطع أن تخفيه.. ولكن عندما اكتشف برايس حداثة سنها وبراءتها غادر تاركا إياها مع جرح عميق في القلب.
وظلت جينيسا من يومها برينة وبعيدة عن الحب...
استغرق من برايس الكثير من الوقت قبل أن يتذكر الفتاة التي قابلها منذ اثنتي عشر سنة... ولكن الانجذاب الذي عاد عاصفا بينهما لم يتطلب اي وقت.
كان برايس مصمما على أن لا يدعها تفلت من يده هذه المرة.
ولكن جينيسا تخفي الآن سرا أو إثنين. قد يجعلان برايس يهرب مرة أخرى...

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الامارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-378-0

www.rewayti.net

١ ـ مكالمة وذكريات

عندما استعادت جينا ستراثرن، ذكرى المكالمة في رأسها، أدركت أن سخرية الموضوع تكمن في عدم إحساسها بأي شعور مسبق للأحداث. فعندما رنّ جرس الهاتف، حوالى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم المشمس من أيام أيار لم يساور جينا أي إحساس. لم ينذرها أي شيء داخلي كي تتجاهل الرنين، أو كي تهرب إلى الخارج لتختبىء بين نباتاتها بعيداً عن الهاتف.

يا له من كذب كل ما يشاع عن حدس المرأة!

عندما ابتدأ الهاتف بالرنين، كانت جينا قد توقفت عن العمل للتوّ، لأن ضوء النهار قد خفت. وبما أنها شارفت على إنهاء اللوحة التي ترسمها، لم تشأ أن تغامر بارتكاب أي خطأ بسبب عدم قدرتها على الرؤية بوضوح.

رفعت سماعة الهاتف لتجيب على المكالمة، فيما قامت في الوقت ذاته بتنظيف أصابعها من الصباغ الأحمر، مستخدمة قطعة من القماش مبقّعة بألوان مختلفة.

- نعم!

- مرحباً جين!

جاءها صوت أخيها عبر الهاتف محيياً، ثم أكمل: «هل لديك دقيقة من الوقت؟».

ابتسمت جينا لسمّاعة الهاتف لدى سماعها ذلك الصوت، وجلست بارتياح على أقرب كرسي.

ترافيس ستراثرن، هو شقيقها الذي يكبرها بست سنوات. يقطن ترافيس

www.rewayti.net

في ماين مع زوجته جولي وابنته سامانثا، البالغة ثلاثة أسابيع من عمرها. أجابته جينا قائلة: «من أجلك أنت، لدي كلّ الوقت الموجود في العالم. كيف هي أحوالك؟ أم أنه يجب القول كيف هي سامانثا؟».

- هل تعنين أن مكانتي لديك قد هبطت.

- لا بد من الاعتراف أن سامانثا هي أطرف منك.

- لا أستطيع مناقشة هذه الحجّة. احزري ماذا حدث؟ أصبح باستطاعتها أن تبتسم وأن تتمسك بإصبعي. هذا مذهل! أليس كذلك؟

ترافيس طبيب بارع متخصص في مجال الأمراض الإستوائية، ويحمل الكثير من الشهادات والألقاب. أجابته جين بصوت وقور: «إن هذا الأمر مذهل فعلاً!».

- سامانثا هي السبب وراء اتصالي بك. سوف نقوم بتعميدها بعد ثلاثة أسابيع، ونريدك أن تكوني معنا. والأهم من ذلك أننا نريد أن نجعلك عرّابتها.

تأثّرت جينا من هذه اللفتة، وأجابت: «هذا أمر لطيف من قبلكما يا ترافيس! لكن ألا تعلم أنني لا أملك أدنى فكرة عن معاملة الأطفال؟ عندما أعطيتني سامانثا في المستشفى، لم أستطع الانتظار لكي أعيدها لك، خفت أن أوقعها أرضاً».

طمأنها ترافيس: «لا تخافي، ستتعلمين مع الوقت. بالإضافة إلى ذلك، فسامانثا لن تبقى طفلة إلى الأبد، سوف تكبر. إذاً أخبريني، هل ستأتين إلى حفل العمادة؟».

تردّدت جينا قليلاً ثم سألته: «وأين هو مكان الاحتفال؟».

- عرفت أنكِ ستسألين عن هذا الأمر.

قال ترافيس ذلك بسخرية ومرارة، ثم أكمل: «سيكون في مانانتوك، في منزل آبي وكورين. أرجوكِ جين، لا تعترضي على هذا، وتعالي إلى حفل العمادة. ألم يحن الوقت بعد لك ولآبي لتعقدا صلحاً بينكما خصوصاً الآن مع وجود جيل ثالث في عائلتنا؟».

أحسّت جينا أنّه يجب عليها الردّ بالإيجاب. ذلك لزامٌ عليها، لأنها تعرف كم ستجرح مشاعر ترافيس إذا لم تذهب. خلال مرحلة الطفولة، اعتبرت جينا أخاها الأكبر مثالاً أعلى لها، والآن عندما أصبحت شابة لم تحمل مشاعرها تجاهه سوى الحب والاحترام الكبيرين. بالإضافة إلى ذلك، فهي مدينة بالكثير لأخيها، ورغم عدم رويتها كثيراً لجولي، إلا أنها أحبتها بصدق.

خلال الشهر الرابع من حملها، شارفت جولي على خسارة الطفلة، ونتيجة لهذا الأمر آخّر ترافيس وجولي انتقالهما إلى المكسيك إلى ما بعد الولادة. بسبب ذلك، أدركت جينا مقدار معزّة سامانثا لديهما.

حسناً! ماذا لو أقيم احتفال العمادة في جزيرة مانانتوك؟ باستطاعتها التصرف بطريقة لبقة وتحمّل وجود شارلز ستراثرن لبضع ساعات، رغم تجنبها إيّاه في الحالات العادية كمن يتحاشى الطاعون.

لكن، وقبل أن تقدر جينا على فتح فمها للموافقة على الدعوة، أضاف أخوها قائلاً: «هنالك سبب آخر لإصراري على قدمك. طلبنا من برايس أن يكون عرّاب سامانثا... أنت تعرفين من أقصد، برايس لاريبي، صديقي منذ أيام المدرسة».

اختفى اللون من وجنتي جينا لدى سماعها الاسم. ابتدأ قلبها بالقرع داخل صدرها، كأنما مطرقة تضرب ضلوعها. أصدرت صوتاً غير واضح، فيما أطبقت أصابعها الباردة بإحكام حول سماعة الهاتف البلاستيكية الملساء.

من دون أن يلاحظ ردّة فعلها هذه، أكمل ترافيس حديثه: «لا أعتقد أنك قابلت برايس من قبل، رغم غرابة هذا الأمر، فهو صديقي منذ أن كنت في الثانية عشرة من عمري. على أيّ حال، ها قد حانت الفرصة المناسبة لتلتقيه. أنا واثق من أن برايس سيعجبك، فهو رجل رائع».

ثقة ترافيس لم تكن في مكانها. فكّرت جينا، فهي قد التقت برايس من قبل. التقته مرة منذ سنوات عديدة، أمّا شعورها تجاهه فمن الصعب التعبير عنه بكلمة «إعجاب» لكنها لم تنوِ إبلاغ أخيها بذلك.

بعض الأسرار من الأفضل أن تبقى طيّ الكتمان، ولقاؤها مع برايس

www.rewayti.net

لاريبي هو أحد أهم هذه الأسرار. فكرت جينا بحزن أن المشكلة الوحيدة مع أسرار كهذه هي أنها لا تجلب لدى إيقاظها سوى الخيبة، لذلك لا نية لديها للقاء برايس أو التواجد في مكان قريب منه ولو على بعد عشرة أميال، لكنّها لا تستطيع إبلاغ أخيها بذلك.

– جين، ألا زلت معي على الخط؟

حاولت جينا استجماع قدراتها الذهنية بسرعة، فهي مضطرة للخروج من هذا المأزق، ما يعني أن عليها المراوغة وعدم التفوه بالحقيقة مباشرة. فما الذي تقدر على فعله غير هذا؟ أجابت جينا أخاها محاولةً أن تحمّل صوتها أكبر قدر ممكن من الإقناع: «أنا آسفة يا ترافيس... لكنني لا أقدر أن أضيّع هذا الوقت كله. المسافة من هنا إلى ماين طويلة وتحتاج إلى القيادة لأكثر من يوم، وأنا لدي معرض للوحاتي في بوسطن في بداية شهر تموز. المعرض سيقام في صالة مودرن غاليري، وأنت تعلم ما يعني هذا الاسم».

– ستعرضين لوحاتك في صالة مودرن؟ هذا الأمر جيّد جداً لك. تهانينا... إنها إحدى أهم صالات العرض.

لم تكن جينا واثقة جداً من مدى صحة ما يقوله أخوها، لكنها أدركت أن الوقت ليس مناسباً للدخول في نقاش حول ركود أحوال الفن والفنانين، فأجابته: «أنا متأخرة عن جدول أعمالي، فالمعرض يريد عشرين لوحة قبل انتهاء شهر حزيران. وإذا ما ذهبت إلى ماين فسوف أضيّع ما بين ثلاثة إلى أربعة أيام، لذلك، ببساطة، لا أقدر على الذهاب».

ساد الصمت لفترة على الجهة المقابلة من خط الهاتف. ثم تكلّم ترافيس بنبرة قلّما سمعت جينا أخاها يستخدمها: «هل أنتِ صريحة معي في أسبابك يا أختي؟ هل أنتِ واثقة من أن تشارلز ليس هو السبب الحقيقي لعدم مجيئك؟ تعلمين أنني سأتفهّم وضعك إذا ما كان هذا هو السبب، فتشارلز لم يكن بالنسبة إليك ما نستطيع أن ندعوه «الأب المثالي».

أجابته جينا، وقد شعرت بالسعادة لاستطاعتها قول ولو جزء من الحقيقة: «أجل، أنا أكيدة من أسبابي. هذا المعرض مهم جداً بالنسبة لي، فأنا على وشك

صنع اسم مميّز لي في عالم الفن. البديل الوحيد لدي هو أن أغرق في النسيان والإهمال. لقد عملت بجدّ في السنوات الاثنتي عشرة الماضية، لذلك لا أستطيع أن أغامر بأي شيء قد يضيّع هذا الجهد».

لقاء جينا ببرايس حدث منذ اثنتي عشرة سنة، أي خلال سنتها الجامعية الأولى في كليّة الفنون جامعة كولومبيا. كانت في السابعة عشرة من عمرها، عند لقائها به.

أبعدت ذكرى ذلك اللقاء وكلّ ما يتعلق به من رأسها. صرفته من ذهنها بسهولة ويسر، كمن تعوّد طويلاً على القيام بهذا الأمر، وقالت لأخيها: «أنا آسفة حقاً، لكنك تدرك أنني متعلقة جداً بسامانثا، وأنني مستعدة إلى تكريس نفسي من أجلها، وهذا ما يهمّ في الموضوع، أليس كذلك؟».

– سوف تصاب جولي بخيبة أملٍ كبيرة.

– ومن صوتك، يبدو أن أملك قد خاب أنت أيضاً.

– أجل، أنا كذلك. أنت لم تحضري زفافنا حتى.

أجل، لم تحضر الزفاف الذي كان فيه برايس الإشبين. لعنت جينا، في سرّها، ذلك اليوم الذي رأت فيه الملصق الذي يعلن عن المحاضرة التي يلقيها برايس في جامعة كولومبيا في ذلك الوقت.

– بعد انتهاء المعرض، أعدك بأن أذهب لزيارتكم، هذا إذا كنتما أنت وجولي ما تزالان ترغبان بالتكلم معي.

– لا تقولي هذا! أنت تعلمين أننا لسنا من هذا الصنف من الناس. اسمعي، لديّ فكرة! لم لا أقوم أنا بدفع تكاليف رحلة جوية لك؟ هكذا يصبح باستطاعتك القدوم والذهاب في نهار واحد.

– أنا أدين لك بالكثير من المال. لا أريد أن أغرق في الديون أكثر ممّا أنا غارقة الآن.

– اعتبريها هدية يا جين، من دون أي قيد أو شرط.

– لا أستطيع أن آخذ منك المزيد من المال يا ترافيس. أنا فعلاً لا أستطيع القيام بذلك.

www.rewayti.net

ساد صمت آخر مريك بينهما، ثم قال ترافيس: «سوف تضطرين إذاً إلى الموافقة على لقب العرابة غيابياً، فنحن لا نريد أحداً غيرك عرّابة لسامانثا».

أحرقت الدموع جفون جينا. فمنذ أن هربت أمها إلى فرنسا وهي لا تزال طفلة، لم يفعل والدها شيئاً سوى قتل كل اندفاع داخلها. وفي الوقت نفسه قام بتمييز أخيها التوأم عنها بشكل واضح ووقح. لهذا السبب بقيت علاقتها ببرانت وحتى اليوم بعيدة وجافة إلى أقصى درجة. أمّا ترافيس فلطالما اعتبرته جينا الصخرة التي ارتكزت عليها وهي تكبر، على الرغم من ابتعاده الدائم في المدرسة الداخلية. لهذا السبب شعرت جينا بالألم العميق لتخييبها أمله في حضورها عمادة ابنته، غير أن برايس أذهلها بشكل كبير عندما كانت في غرفته في الفندق في مانهاتن، لذا من الصعب جداً عليها مواجهته ثانية.

سألت أخاها بشجاعة: «كم أصبح وزن سامانثا؟ وكيف هي جولي؟ هل تنال القسط الكافي من النوم مع وجود الطفلة؟».

بدا ترافيس سعيداً بالحديث مطوّلاً عن ابنته وزوجته اللتين يحبهما بشكل واضح وعميق. وبدورها قامت جينا بإخبار أخيها عن تفاصيل عقدها الجديد مع صالة العرض، وفي النهاية، شعرت بالارتياح عندما أنهى ترافيس المكالمة، فوضعت السماعة من يدها ببطء.

للمرّة الثانية، تستخدم المراوغة لتتهرب من مقابلة برايس لاريبي وجهاً لوجه، غير أن الثمن الذي تدفعه باهظ جداً. شعرت بالألم بسبب الغضب الذي يغلي داخل صدرها. لم تدرِ إذا ما كان غضبها موجّهاً تجاه برايس، أم تجاه تلك الشابة التي كانت عليها هي منذ اثنتي عشرة سنة.

في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم التالي، نزلت جينا إلى حديقتها التي زرعتها خضاراً مختلفة. ركعت على ركبتيها، وشمّرت عن ساعديها، وأخذت تسوّي نباتاتها في تلك البقعة الهادئة المستحمة بأشعة الشمس. تعالت في المكان أصوات النحل، فيما همس النسيم الناعم من بين أشجار القيقب التي رسمت حدود حديقتها.

كانت قد أنهت اللوحة التي ترسمها ذلك الصباح. وككلّ أعمالها الفنيّة،

طلعت التفاصيل المغمورة بأشعة الشمس على الإحساس بالخوف الذي يغلف كلّ اعمالها. في الليلة السابقة لم تقدر على النوم بشكل مريح، فأحلامها امتلأت ببكاء الأطفال. رأت الأطفال يصرخون من فوق مرتفعات مانانوك، كما رأت أخاها يدير ظهره إليها، ويسير مبتعداً، تاركاً إيّاها في معرض فارغ. وبالطبع، زار برايس أحلامها... تمنّت لو أنها فقط لم ترَ ذلك الملصق على لوح إعلانات كليّة الفنون الجميلة...

أوّل ما لفتها في الإعلان هو اسم الرجل: برايس لاريبي، الصديق الأعزّ لأخيها المفضّل، المليونير ونابغة الكومبيوتر. بدا لها عنوان المحاضرة غامضاً، رغم إدراكها أنه يتعلق ببرمجة الكومبيوتر. صورته في أعلى الإعلان هي ما سحرها في مكانها. شعر أشقر كثيف، عينان رماديتان اخترقتاها، كأنهما تنظران إلى داخلها. البنية القوية لعظام وجهه جعلتها تتوق إلى رسم ذقنه المشقوقة قليلاً، وفكّه القوي وخدّيه العريضين. وجه لا تقدر على الوصول إليه، جذبها نحوه كالمغنطيس مخاطباً الروح الفنية لديها. ورغم أنها لا تزال في بداياتها، أنبأتها حواسها بأنه لا بدّ لها من رؤيته شخصياً. لربما تكون الصورة غير صادقة، أو أنها قد تدرك عند رؤية وجهه أنّه عادي جداً، وما من داعٍ لهذه الرغبة العارمة في رسمه.

غمرها الحماس وهي تفكر بأنها سترسم برايس بطريقة البورتريه. سترسم وجهه وكتفيه بالألوان الزيتية. لاحظت جينا أنها تقف محدّقة بالصورة كالمجانين المهووسين بنجوم السينما، فأسرعت للذهاب إلى صف تدريس الألوان المائية. من دون أن تخبر أحداً من أصدقائها، ذهبت في مساء اليوم التالي إلى المحاضرة. جلست في الصفوف الخلفية بحيث تستطيع تأمل برايس لاريبي من دون أن يراها أحد. وقف برايس بكامل هيبته تحت أضواء مسرح قاعة المحاضرات، فيما تخطت رؤيته شخصياً كلّ توقعات جينا حول روعة اللوحة.

إنها بحاجة ماسّة لتقوم برسمه... يجب عليها ذلك...

لم تكن ملاعمه وحدها هي ما جذبها إليه. فنبرة صوته أرسلت الارتعاشات على امتداد عمودها الفقري، أما روحه المرحة فجعلتها تضحك من أعماقها،

www.rewayti.net

كما أن أسلوبه الواضح في الشرح جعلها تفهم كلّ ما قاله تقريباً.

تلا تلك المحاضرة، حفل استقبال صغير في بهو قاعة المحاضرات. توجهت جينا إلى هناك، حاشرة نفسها مجدداً في الصفوف الخلفية، منتظرة أن تخفّ الحشود قبل القيام بخطوتها الثانية. قرّرت، منذ اللحظة التي رأته فيها، ألاّ تخبره أنها شقيقة ترافيس، فهو قادر على طرح ست سنوات من عمر أخيها ليدرك أن عمرها لا يتجاوز السابعة عشرة. إذا عرف برايس أنها صغيرة إلى هذا الحد، لن يأخذها على محمل الجد، وستنتهي المسألة قبل أن تبدأ.

اقترب برايس من المنصة الرئيسية، فسارت جينا باتجاهه. كاد قلبها يقفز من بين ضلوعها لشدّة ما تخبّط داخلها، فاصطنعت الهدوء وقالت: «اسمي جان ستراثرز، وأنا تلميذة في كلية الفنون. هل بإمكاني أن أدعوك إلى تناول كوب من الشراب، بعد أن تنتهي من هذا؟ أنا أرغب في رسمك، إذا سمحت».

نظر إليها برايس متفحصاً إيّاها من رأسها حتى قدميها. بدت عيناه الرماديتان غامضتين كما توقّعت، ولا تفصحان عن شيء. إنهما بحيرتان رماديتان رابضتان فوق عظام وجنتيه اللتين تشعان بسلطة الجاذبية الذكورية المطلقة. تنفست بصعوبة من شدّة جاذبيته، وتساءلت، ألم يكن سحره الجسدي هو بالضبط ما أرادت أن ترسمه؟ لم يعد باستطاعتها التراجع الآن، فهذا تصرّف جبان، وهي لم تتخيل نفسها يوماً جبانة.

تفحّصها برايس بهدوء ودون أيّ عجلة، فيما تسارعت نبضات قلبها بشكل قوي. أدركت جينا ما الذي سيراه فيها: شعرها الأشعث، وأطرافه المصبوغة باللون البرتقالي الفاتح، تبرجها المتقن، العدسات اللاصقة التي جعلت عينيها تبدوان بنفسجيتي اللون، وبذلتها الجلدية الغريبة. للمرّة الأولى شعرت بالندم لخضوعها إلى الضغط الذي مارسه طلاّب الفنون الآخرين عليها من خلال ارتدائهم للبذلات الغريبة.

شعرت أنه كان يجب عليها أن تخفّف من حدّة مظهرها، قبل التخطيط للقاء بمثل هذه الأهمية مع برايس لاريبي. ولإثبات صحة اعتقادها، لم يكلّف برايس نفسه عناء إخفاء مدى استمتاعه بما يرى: «أنت نفسك إنتاج مميز،

قطعة فنية بحد ذاتها».

نظرت جينا إليه مشيرة إلى بذلة رجال الأعمال المميزة التي ارتداها وربطة عنقه المثالية قائلة: «أنت لديك زي خاص بالعمل، وأنا لدي زيّي الخاص».

- لكن زيّك أكثر مرحاً.

- في كلتا الحالتين. زيّنا هو ما نختبيء خلفه.

- إذاً، في حقيقة الأمر، نحن متشابهان. أليس كذلك؟

عضّت جينا على شفتها، غير أكيدة مما لمّح إليه برايس.

- أنا لم أقل ذلك.

- في أي وضعية تريدين أن ترسميني يا جان ستراثرز؟

احمرّت وجنتا جينا، واتّقد الغضب في داخلها في الوقت نفسه، إذ أدركت أن برايس يلاعبها، لعبة القط والفأر. باستطاعتها إخباره أنها تريد رسم رأسه وكتفيه كبورتريه، لكن عوضاً عن ذلك وجدت نفسها تجيبه: «أي رسام محترف لا يحدّد خياراته قبل البدء بأي لوحة».

- إذاً يبقى المجال مفتوحاً أمام كلّ الاحتمالات!

- بالطبع!

الالتماعة التي ظهرت في عينيه أضعفت ركبتيها، فلم تعد قادرة على الوقوف. بالرغم من أنها متحفظة جداً في علاقاتها مع الشبان، وهذا أمر نادر بين زميلاتها، إلا أنه لم يكن هناك أي شك في أن برايس يغازلها.

- يجب عليّ أن أقوم بترتيبات منظّمي الاحتفال والمحاضرة. هل تمانعين في انتظاري لبضع دقائق؟

أجابته برزانة واضحة: «سوف أقوم بتحضير أقلامي...».

ضحك برايس لكلامها، فلمعت أسنانه البيضاء، وبدا وجهه مليئاً بحيوية ذكورية أرسلت ارتعاشة في أعصاب جينا. ثم قال: «سوف أعود بأسرع ما يمكن».

سار بخطوات واسعة، وعبر الغرفة باتجاه اثنين من أساتذة الجامعة يرتديان سترتين من التويد. شربت جينا ما تبقى من كوب الشراب الذي تحمله بجرعة

www.rewayti.net

واحدة. سوف تقترح عليه أن يذهبا إلى مطعم أو مقهى ما، أو إلى أيّ نادٍ، حيث سيكونان محاطين بأشخاص آخرين. لن تشعر بالأمان إلا إذا أحاط بهما الناس.

انطبعت في ذهنها تفاصيل ملامح برايس والتموّجات السوداء في عينيه، كما التصميم الواضح على فكّيه، وفمه المنحوت وصلابته. ضخامة حجمه وهو قربها أشعرتها بضآلة حجمها وبأنوثتها. تساءلت جينا في داخلها إلى أين سيقودها شعورها هذا.

عبر برايس الغرفة متجهاً نحوها، فثارت بداخلها مشاعر أدركت معها أنه يجب عليها أن تهرب في هذه اللحظة لتنجو بنفسها. لكن أين تراها ستجد الأمان؟ ما من مكان آمن بعيد عن تأثيره المدمّر.

صحيح أن جينا هربت باحثة عن الأمان منذ بضعة أشهر. هربت من منزلها، مطبعة غرائزها ومشاعر روحها وجسدها التي حثّتها على المغادرة لرسم مصيرها بنفسها، لكن لم يجب عليها الآن أن تبحث عن الأمان؟ فليس في الفن شيء سوى المخاطرة. كيف ستقدر على المخاطرة في لوحاتها إذا لم تبدأ المغامرة في حياتها اليومية؟

حاولت جهدها أن تبدو هادئة وواثقة من نفسها. فسألته قائلة: «هل أنت جاهز للمغادرة؟».

- أجل. لدي سيارة مستأجرة في الخارج، فلنغادر بها.

أمسكها من مرفقها، فأرسلت أصابعه الدافئة على بشرتها، تموّجات من الحرارة.

- أين تريد أن نذهب؟ أي نادٍ سيكون جيداً، بشرط أن تكون إضاءته جيّدة لأرى ما أفعله.

أجابها ببطء متعمّد: «آه.. ! فكّرت بأن نذهب إلى الفندق حيث أقيم. بهذه الطريقة لن يزعجنا أحد».

- كلّ ما أريده هو أن أرسمك... فقط لا غير.

- أهذا كلّ ما تريدينه حقاً؟ هل هذه هي الحقيقة يا جان ستراثرز؟

غادرا قاعة المحاضرات عبر الممّر الخالي. رفع برايس يده وتتبع بإصبعه الانحناءات وجهها ببطء. شعرت جينا بالحياة تدبّ في كلّ عرق من عروقها، فمالت باتجاهه وقلبها تتسارع نبضاته، فقال بنعومة: «تحت قناع الحرب هذا الذي تضعينه على وجهك، يكمن جمال باهر ومميّز».

أدركت جينا مذهولة، أنّه يعني كلّ حرف قاله. رأت في عينيه شوقاً واضحاً. برايس لاريبي، المليونير العصامي يغازلها هي، جينا ستراثرن الفتاة ذات السبعة عشر عاماً!

ضغط برايس على زر المصعد للنزول إلى موقف السيارات، فهمست: «لقد أحضرت دفتر الرسم معي. يجب أن...».

ضحك عجيباً: «إن طريقتك هذه في التقرّب مني جديدة ومثيرة. يجب أن أعترف بذلك».

آه! طيلة ذلك الوقت اعتقدها كاذبة حول رغبتها في رسمه... كيف يجرؤ على ذلك؟ ركزت انتباهها ثانية على ما يقوله وهو يسألها: «أخبريني عنك يا جان. ما الذي جاء بكِ إلى جامعة كولومبيا؟ إنها كليّة جيدة، لا بدّ أنك موهوبة ليقبلوا بك هنا. أيجدر بي البدء بالبحث عن اسمك بين الرسامين المعروفين في السنوات القادمة؟».

لا بدّ له من البحث كثيراً إذاً، لأن اسمها بكل بساطة، مزيّف. أجابته جينا بشغف واندفاع أدهشاها: «أنا لا أريد اتباع الموضة السائدة، والتي هي دائماً ردّة فعل على موضة سادت قبلها. لن أقول بأنني سأبتكر بدعة جديدة، رغم مطابقة الكلمة لما سأقوم به. لكنني أريد أن أرسم ما أشعر به، وأن أتبع حدسي وإلهامي، حتى لو جعلني ذلك متخلفة عن الآخرين، ولم أتمكن من بيع لوحاتي».

صمتت جينا فجأة، متمنية لو أنها لم تتكلم.

- هذا مثير للاهتمام. أتتبعين في حياتك العاطفية الأسلوب نفسه؟

لم يكن لديها أي حياة عاطفية. ولم تفكر في احتمال حصولها على أي علاقة قبل هذا اللقاء المشحون مع صديق أخيها.

www.rewayti.net

وقف برايس قريباً جداً منها داخل المصعد. الاحساس الذي ساورها هو إحساس من سُكب عليه الماء البارد ليستفيق. أيعقل أنها خدعت نفسها حول أسبابها للتقرب من برايس والتعرف عليه، متجاهلة ما قد يشتعل بينهما من مشاعر؟ هل رغبتها في لقائه هي فنية أم أنها رغبة عاطفية؟ أم هي مزيج من الإثنين معاً؟ شعرت جينا بجفاف في فمها وهي تتمتم حقيقة شعورها: «لقد رغبت برسمك منذ اللحظة التي رأيت صورتك فيها على الملصق».

- أنا رجل غني جداً.

بخطوة مفاجئة، ابتعدت جينا عن برايس، ملصقة ظهرها بحائط المصعد: «أنا لا أسعى خلف أموالك! كل ما أريده هو أن تجلس أمامي لفترة تسمح لي برسمك».

ضاقت حدقتا عينيه وهو يتأملها لثوانٍ خمس كاملة ثم قال: «أنت فعلاً تعنين ما تقولينه، أليس كذلك؟».

انفتح باب المصعد، لكن جينا بقيت في مكانها دون حراك، ثم قالت بتردد: «أجل. أنا أعني ذلك».

أمسكها برايس من معصمها، فيما وضع رجله صاداً الباب ليمنعه من الانغلاق مجدداً: «سوف يفاجئك معرفة عدد النساء اللواتي ينظرن إليّ من دون رؤية شيء إلا قيمة رصيدي».

جينا ليست مستعدة لأن تكون واحدة من هؤلاء النسوة، فقالت: «أنا لست واحدة منهن».

- إذاً، أنا أعتذر منكِ.

- أحقاً تعتذر؟ أم أنك فقط تتفوّه بالكلمات دون أن تعنيها؟

أجابها بعصبية ونزق: «نحن نحتجز المصعد. لقاؤنا لم يحدث إلا منذ دقائق مضت، وهو قد لا يتكرر ثانية، فما همّك بما أقول أو أعني؟».

لقاؤهما قد لا يتكرر ثانية! بدت تلك الجملة ثقيلة على مسمعها، فانفجرت غاضبة: «أنا لن أذهب معك إلى أي مكان. كل ما أردته منك في الحقيقة هو أن أرسمك، لم أكن أتحرش بك».

شدّها برايس إلى خارج المصعد وهو يقول: «اسمعي، لقد اعتذرت منكِ. ما الذي تريدينه أكثر من هذا؟».

تصلّب فكّاه من شدّة الغضب، أمّا طاقته المتوحشة العنيدة فدعتها إلى إجابته بنفس القوة والعناد الكامنين داخلها: «لا أحب أن يصفني أحد بالكاذبة».

- أخذت بكلامك وصدّقته بحرفيته، أنك غير مهتمة بثروتي. ألا يكفيك هذا الأمر؟

أجابت، ووجنتاها تشتعلان من شدّة الغضب: «أعتقد أنني لا أستطيع إلا أن أقبل بهذا».

بفقدان صبر مفاجئ، وضع برايس ذراعيه حولها، ثم جذبها نحوه وعانقها. عناقه القاسي الذي لا يرحم، مسح الغضب من داخلها كأنه لم يكن، مستبدلاً إياه بشعور بدائي عنيف، جديدٍ عليها. غرقت جينا في هذا الشعور، فالتصقت ببرايس بكل قوتها، وتجاوبت معه بشغف كبير، مدركة أن هذا العناق أيقظ في داخلها مشاعر وأحاسيس لم تعرف بوجودها من قبل.

فجأة، أطلق برايس سراحها، وهو يقول بصوت أجش: «السيارة في الخارج. دعينا نذهب».

أسرعت جينا الخطى خلفه، متأملة في قوّة تأثير هذا الرجل عليها، تأثير هو أكبر مما تخيلته. لقد أسرها... أطاح بها، وسحرها بطريقة لم تتوقع حدوثها منذ عشر دقائق خلت.

قادها إلى المقعد المجاور للسائق لسيارة مرسيدس فضية اللون من دون أن ينبس بكلمة. قاد السيارة خارجاً من الموقف، وسرعان ما أخذا بالسير على الطرقات المزدحمة، منخرطين في زحام السيارات.

فجأة قال برايس مكملاً حديثه، كأنّ شيئاً لم يقاطع الحوار الذي دار بينهما: «هنالك شيء يجب أن تعلميه عني، أنا مسافر غداً إلى الشاطىء الغربي، وسأغادر بعد غد إلى سنغافورة. أنا لا ألتزم بأي شيء أو بأي شخص».

شيء ما في نبرة صوته أثار غضباً عميقاً داخل جينا، فقالت: «هل تتعمد

www.rewayti.net

الوقاحة، وقتل أية تلقائية في لقائنا؟».

– أنا فقط أخبرك بالوقائع. إذا لم يعجبك الموضوع، الوقت ليس متأخراً للتراجع.. سأشتري لك مشروباً ونفترق دون أي مشاكل.

من دون أن يقصد، قدّم لها برايس عذراً، لتهرب من موقف أكبر بكثير من قدرتها. يجب عليها اغتنام هذه الفرصة... يجب عليها أن تهرب...! أدركت جينا في داخلها، أنه لو لم يكن برايس صديقاً لأخيها، وهي تعرف الكثير من خلال أحاديثه عن برايس وطباعه، لما تجرّأت على دخول سيارته ومرافقته. عادت فتذكرت القوة الرهيبة لذلك العناق بينهما. لقد حولها عناقه، بشكل غامض، إلى امرأة مدركة لأنوثتها. هل يعقل أن تهرب من إحساس كهذا؟

بارتعاشة تكاد لا تظهر في صوتها، أجابت جينا كاذبة: «إن القاعدة الأولى لدي هي عدم الالتزام».

– حسناً! وما هي الثانية؟

في جوابها الثاني، أقرّت جينا بالحقيقة القاسية: «قاعدتي هي أن لا أحد، لا أحد على الإطلاق، يتحكم بحياتي إلا أنا».

– إذاً نحن متفاهمان، ونعمل على الموجة ذاتها.

أسندت جينا ظهرها، محاولة كبت ارتجاف ضلوعها في داخلها. في هذه اللحظة، اعتقدت أنه لا بد أن يكون لها بعض السيطرة على ما سيحدث.

مع ذلك تساءلت ماذا لو كانت مخطئة؟

٢ ـ عاد من الذاكرة

لم تساورها أيّ أحلام أو آمال. بكلّ بساطة، سوف تمضي هذه السهرة مع صديق أخيها المقرّب، ثم تغادر بعد ذلك. وإذا ما اكتشف يوماً ما هويتها الحقيقية، فهي متأكدة أنه لن يطلع ترافيس على الأمر.

شعرت بالأمان من هذه الناحية على الأقل. بالإضافة إلى ذلك، هل هنالك أفضل من قضاء وقت برفقة رجل كبرايس؟ فرغم عدم معرفتها الكبيرة به، أليس هو أفضل من أي شاب آخر في الجامعة لا تشعر تجاهه بأي انجذاب أو إعجاب؟

قالت جينا ببرودة: «في طريق العودة، سوف أستقل سيارة أجرة».

من دون أن يبعد نظره عن زحمة السيارات أمامه، سألها: «كم تبلغين من العمر يا جان؟».

رمشت عينيها وهي تجيبه كاذبة: «إحدى وعشرون سنة».

– إذاً سوف تتخرجين في الربيع القادم. أليس كذلك؟

– كلا... فأنا تأخرت في الالتحاق بالجامعة.

قال برايس بسخط: «أنا غير قادر على فهمك على حقيقتك. أنا في العادة أقرأ النساء ككتاب مفتوح أمامي، لكن أنتِ تبدين غامضة بالنسبة لي».

– قد يكون السبب في ذلك هو أن الكتب المفتوحة غير جديرة بالقراءة.

ضحكت جينا فجأة قائلة: «يبدو كلامي كحكمة يابانية، أليس كذلك؟».

– لا أدري بماذا أصفك... أأنت غامضة؟ أم متناقضة؟ أم مزيج من الاثنين؟ لا أعرف.

رفع برايس يده عن المقود ببطء متعمّد، ووضعها فوق يدها فشعرت جينا

www.rewayti.net

بارتجافة في جسدها لم تحاول أن تخفيها. ترك برايس يده الدافئة الثقيلة ترتاح فوق يدها وهو يقول: «سنصل إلى الفندق بعد شارعين».

بعد عشر دقائق، قادها عبر أبواب الجناح الفخم في أحد فنادق المدينة الراقية. وما لبث أن أدخلها إلى غرفة جلوس مفروشة بفخامة، تتلألأ عبر نوافذها أضواء المدينة. عضلاته المفتولة ضغطت على ذراعها، ودقّات قلبه المتسارعة ضجّت في أذنيها، مرسلة في داخلها شعوراً أذابها. سار بخطى سريعة فوق سجادة كثيفة وصولاً إلى أريكة أنيقة موضوعة بالقرب من النافذة، أجلسها عليها ثم جلس إلى جانبها.

تسمّرت جينا في مكانها مراقبة إيّاه فيما خلع سترته وربطة عنقه. ورماها على المقعد المجاور.

تأملت كتفيه العريضتين وعضلاته المفتولة البارزة من تحت قميصه الأنيقة، وفكّرت بداخلها، أنها الآن جان الخيالية، المرأة الأخرى المعجبة ببرايس. جالت نظراته للحظة على وجهها، ثم قال: أنت جميلة جداً».

أحسّت جينا أنها ستموت من شدّة الشوق إليه، إلا أن شوقها لم يطل إذ سرعان ما ضمها برايس بذراعيه القويتين في عناق أهب مشاعرها وجسدها على السواء.

همس لها بصوت خشن: «كم أنت رائعة! أنت تثيرين جنوني.. أهذا ما تفعلينه بالرجال اللذين تقيمين علاقات معهم؟».

فكّرت جينا أنه هو فقط من كانت بانتظاره منذ عدّة أشهر، منذ لحظة تركها للمنزل الذي نشأت فيه. انتظرت رجلاً قادراً على فك أسر الشغف الذي لم تدرك يوماً أنه موجود بداخلها.

إلا أن سهماً من الألم المفاجيء اخترقها بالرغم عن إرادتها عندما فكرت ملياً بكلامه، فأجفلت. ابتعد عنها برايس متفاجئاً، ثم سألها: «جان، ما بك؟».

- أنا ما زلت عذراء، وأنت الرجل الوحيد الذي سمحت له بمعانقتي والاقتراب مني.

اتسعت عينا برايس وهو ينظر إليها، وبدت عليه الصدمة الشديدة فيما سألها: «ألم تقيمي علاقة حقيقية من قبل؟».

- كلاّ، ولكن ما الفرق الذي يشكّله هذا لك؟

أجابها، وكلماته تنهال عليها كالحجارة: «قلت لي إنك فتاة متمرسة وخبيرة».

- أنا لم أقل هذا أبداً!

- لم تقوليه بالكلمات، لكن هذا هو الانطباع الذي أعطيته لي. أنا لا أقيم علاقات عابرة مع فتيات عذراوات يا جان ستراثرز... هذا ليس أسلوبي. أريد امرأة تعرف ما الذي تريده بالضبط.

أحسّت جينا بألم حاد في معدتها. تسللت البرودة إلى بشرتها فجأة إلى درجة أن ابتدأت بالارتجاف كأنها قطعة قد شارفت على الغرق، ثم أجابته: «أنت شعرت بالانجذاب إليّ، ولا تقدر على إنكار ذلك. سواء كنت خبيرة أم لا فهذا لا يهم. ما يهم هو هذا الانجذاب بيننا».

أجابها برايس بوحشية: «أنا سعيد لأنك وضعت كلامك بالصيغة الماضية».

وبسرعة وقف وقال لها: «سوف أعيدك إلى منزلك».

سار عبر الغرفة متوجهاً إلى الحمام، ثم أغلق الباب خلفه بقوة وحسم.

وقفت جينا ببطء. لقد انتهى كل شيء، لم يعد يريدها. شعرت بالاحباط والألم يتآكلانها.

عندما عاد برايس إلى الغرفة، وقف أمامها وسألها بتصميم قاسٍ وبارد: «إذاً، ما هي حقيقة هذا الأمر؟ أكنت تخططين للقيام بابتزازي؟».

شحب وجه جينا وخرجت عيناها من حدقتيهما لشدّة الصدمة التي انتابتها. فكّرت جينا أن برايس يملك طباع تشارلز نفسها، فهما يحكمان عليها بشكل مخطىء تماماً، ولا يتوقعان منها إلا الأسوأ. أيملك كلّ الرجال الطبع ذاته؟ قد يملكونه جميعاً عدا أخاها ترافيس، بالطبع، صديق برايس الحميم.

ما الذي ستفعله الآن؟ أتنهار أمامه باكية؟ أم تسير وراء كبريائها الذي

www.rewayti.net

شكل خشية الخلاص لها في السنوات الماضية؟ إنها ليست مستعدة لتبكي أمام برايس لاربي، إنها واثقة من هذا الأمر. وقفت أمامه صارخة: «لا تحكم عليّ وفقاً لمعايير نسائك الأخريات!».

- إذاً لِمَ قبلت المجيء إلى جناحي؟

- إذا كنت لم تفهم بعد حتى الآن. فلا جدوى إذن من محاولة الشرح.

أجابت جينا بتلك الكلمات اللاذعة، فيما مدّت يدها لأخذ أغراضها وحقيبتها، ثم أكملت: «سوف أذهب بسيارة أجرة، ولن تسمع بذكري مطلقاً بعد الآن. إلى اللقاء يا برايس».

- ما من شك في ذلك. كم تبلغين من العمر يا جان؟

رفعت جينا ذقنها متأملة إيّاه، ثم أجابت: «أنا في السابعة عشرة من عمري، لكنّني أعرف ما أريد وما هو الأفضل لي».

- في السابعة عشرة من عمرك؟

- أجل. هذا ما قلته.

- وأنا كالمغفل صدّقت كل كلمة قلتها لي... حري بك أن تدرسي التمثيل لا الرسم.

أجابته جينا بحزم: «إذا ما اعتقدت انني سأبقى واقفة أمامك في منتصف الليل لتقوم بتأنيبي وإهانتي، فأنت مخطىء جداً في هذا الاعتقاد.. ابتعد عن طريقي ودعني أذهب».

أمسكها برايس من مرفقها بقوة: «قلت إنني سوف آخذك إلى المنزل».

- لن تأخذني إلا وأنا أصرخ وأركلك طوال الطريق، أهذا ما تريده؟

أجابها برايس بإعجاب ممزوج بالحقد: «أيتها القطة المتوحشة! أنت قادرة على تنفيذ تهديدك، أليس كذلك؟ لكن، أتملكين ما يكفي من المال لطلب سيارة أجرة؟».

رفعت ذقنها بكبرياء أكبر وأجابته: «أنت لست الإنسان الوحيد في العالم الذي يمتلك مالاً».

- وأنت بلا شك تتصرفين كابنة رجل غني أفسدها الدلال.

لو أنّه أراد إيلامها أكثر لما استطاع بعد استخدامه تلك الكلمات. طفلة أفسدها الدلال! لطالما استخدم والدها هذا التعبير وهو يوبخها عندما كانت لا تزال طفلة. أدركت جينا أنه لا بد لها من الخروج من هذه الغرفة حالاً فقالت: «حاول أن تبقي علاقاتك ضمن مستواك الشخصي يا برايس. تعامل مع النسوة اللواتي لا يتحدينك».

أجابها بنعومة: «لا تملي عليّ تصرفاتي».

دغدغ الخوف أعصاب جينا وكأن مياهاً باردةً تنزل على ظهرها. لم تقدر على التفكير بأي شيء وهي تعبر من أمام برايس مغادرة الغرفة. تأهبت حواسها محاولة الإصغاء لمعرفة إذا ما كان يتبعها. بدت غرفة الجلوس أمامها لا متناهية، وكأن السجادة الخضراء ملعب كرة قدم مغطى بالعشب لا ينتهي. أخيراً، سمعت صوت باب الجناح يقفل خلفها. انتظرت المصعد حتى وصل وهبط بها إلى باحة الفندق.

بذقن لا يزال مرفوعاً بكبرياء، عبرت الصالة وجعلت الحاجب يوقف لها سيارة أجرة. انتظرت حتى وصلت إلى الغرفة الصغيرة التي تستأجرها في منطقة مختلفة من المدينة. أغلقت الباب خلفها، وعندها فقط سمحت لكرامتها المهدورة أن تنهمر بشكل دموع من الذلّ والألم.

عادت جينا من الذاكرة إلى الواقع ببطء. أخذ طائر بالزقزقة على الصنوبرات الموجودة في حديقة جارها، صادحاً بنغمات صافية حزينة أثارت مشاعر الألم داخل صدرها. انتبهت أنّها قامت بتنظيف ثلم فاصوليا بأكمله من النباتات الضارّة وهي غير مدركة لما تفعله. مضى إثنا عشر عاماً على تلك الليلة، غير أن الذلّ الذي شعرت به وهي تنصرف من تلك الغرفة لا يزال يؤلمها كما لو أنه حدث البارحة. لا عجب بعد هذا إذا ما شعرت بأنّها غير قادرة على احتمال فكرة ذهابها إلى حفل عمادة سامانثا.

وقفت جينا، وجمعت النباتات الدايلة التي اقتلعتها، ووضعتها في الدلو الذي تحمله ثم رمت بها فوق كومة السماد. رغم أن الوقت لا يزال في نهاية شهر أيّار، إلا أن لهيب أشعة الشمس أشعرها بالحر. ندمت على ارتدائها هذا

www.rewayti.net

البنطلون القديم والقميص الفضفاضة عوضاً عن ارتداء بنطلون قصير وقميص من دون أكمام.

تأملت حديقتها بإعجاب، محاولة الخروج من الحالة النفسية التي ألمّت بها. هذا المنزل الصغير، ذو السقف الخشبي الثاني، بألواحه غير المدهونة والتي بهت لونها بتأثير العوامل الجويّة، وزيّنتها زركشة بيضاء أنيقة، منحها الشعور بالانتماء. هذا المكان هو ملاذها ومصدر وحيها، والبقعة التي تستطيع أن تكون فيها على سجيّتها. منذ خمس سنوات خلت، أقرضها ترافيس المبلغ اللازم للدفعة الأولى من ثمن هذا المنزل، وعندما تبلغ هي الثلاثين بعد عدّة أشهر من الآن، ستصبح قادرة على استلام نصيبها من وديعة جدّها، وعندها سيصبح هذا المكان فعلاً ملكاً لها.

ألقت نظرة خاطفة على ساعتها، وقرّرت أنها ستعمل على إزالة النباتات لربع ساعة بعد، ثم ستدخل إلى المنزل لتعدّ شيئاً ما لتتناوله على العشاء.

ركعت جينا على ركبتيها وهي تفكر بأنه يجب عليها البدء غداً برسم اللوحة الجديدة. لقد وضعت بعض المخططات الأولية للّوحة إلا أن أياً منها لم يتجسد واقعاً في عقلها. أخذت مخطّطات اللوحة تنجرف من مخيّلتها واحدة تلو الأخرى، كذلك الألوان التي ستستخدمها والتي تبدّلت في ذهنها ممتزجة بالضوء...

أوقفها عن تخيّلاتها صوت رجل يقول: «عفواً، اعذريني... أنا أبحث عن جينا ستراثرن».

ميّزت جينا فوراً ذلك الصوت، ذلك الصوت الرجولي العميق. إنها قادرة على تمييزه في أي ظرف ومكان... لكنه الآن كان واقعاً ملموساً وليس جزءً من ذكرياتها السابقة.

ابتدأ لون وجهها بالخفوت والتلاشي، بينما وقفت واستدارت لمواجهة الدخيل وجهاً لوجه. انتصب أمام عينيها برايس لاريبي واقفاً في الممر المؤدي إلى حديقتها، لا يبعد أكثر من عشرة أقدام عنها. نزع نظّارتيه الشمسيتين عن عينيه ورفعهما ليضعهما على شعره الأشقر المموّج بضربات الشمس. عيناه

الرماديتان لا تزالان عميقتين وغامضتين كما تذكرهما جينا... جفّ حلقها، وضغطت براحتيها الباردتين بتوتر على بنطلونها، ثم سألته بصوت متهدج: «عمّن تسأل؟».

اعتذر الرجل منها قائلاً: «عفواً، لم أقصد أن أجفلك هكذا. لقد ناديتك من الخارج، من وراء الشرفة، غير أنك لم تسمعيني. أنا أبحث عن جينا ستراثرن».

لم تسمعه جينا بسبب انشغال أفكارها بماهية لوحتها الجديدة. للحظة مجنونة فكّرت أن تكذب على برايس وتقول بأنها لا تعرف جينا ستراثرن ولا تملك أدنى فكرة عن مكان إقامتها، لكن قرية ويلسبرينغ التي تقيم فيها قرية صغيرة، ولن تستطيع أن تخفيه طويلاً. لا بد أن أحد جيرانها سيدل برايس على منزلها مجدداً ليعود إلى هنا، وفي هذه الحالة سوف يدرك برايس أنها كذبت عليه، وسيبدأ بالتساؤل عن السبب الذي دعاها إلى ذلك.

أجابته متلعثمة: «أنا هي جينا. من تكون أنت؟».

نظر برايس إلى أصابعها الملطّخة بالتراب وابتسم قائلاً: «أنا برايس لاريبي، صديق أخيك ترافيس. أرجو ألا تأخذي عدم مصافحتي كإهانة شخصية لك».

خاضت جينا غمار فوضى من الأحاسيس والأفكار غير المترابطة، وخلالها كلّها حدث الله على أنها ترتدي أكثر ثيابها رثاثة، وأن خصلات شعرها الجعداء تجمعت تحت قبعة من القش، وخلا وجهها تماماً من الزينة. بدت جينا مختلفة كلّ الاختلاف عن تلك الصبية ذات الشعر الأشعث، التي ترتدي ثياباً من الجلد والتي كانت عليها وهي في السابعة عشرة من عمرها. ابتسمت ابتسامة مصطنعة، ثم حيّت برايس قائلة: «أهلاً بك».

ارتدى برايس سروالاً من الجينز الفاتح اللون، وقميصاً ذات مربعات. أزرار ياقته كانت مفتوحة وكمي القميص مرفوعين حتى مرفقيه. رأت جينا عند أسفل عنقه بعض شعرات جسده المتشابكة، أما على ذراعيه فلمعت الشعرات الشقراء كزهرة تتفتح تحت أشعة الشمس. أحسّت بالشوق إليه يزهر في داخلها

www.rewayti.net

رغماً عنها. ازداد هذا الشعور فيها بشكل لم تقدر على السيطرة عليه، وخشيت أن تظهر مشاعرها على وجهها. أحسّت بهزيمة نكراء داخل قلبها فيما أدركت أنها ما زالت تتوق إلى برايس الآن كما تاقت إليه منذ اثني عشر عاماً.

كيف استطاعت أن تفعل هذا بنفسها؟ شكرت جينا الله على التراب الذي يغطي أصابعها. لو صافحها برايس للذابت بين يديه.

قال برايس بنبرة عادية: «أرى أنني أوقفتك عن إكمال أعمالك».

أجابته متلعثمة: «كلا، لم توقفني عن شيء. كنت أنوي التوقف عن العمل بكل الأحوال».

- تملكين بقعة جميلة من الأرض هنا.

- أجل، أنا محظوظة جداً لامتلاكها.

- أليديك أي مكان نجلس فيه لنتحدث؟ لا بد أنك أدركت أن ترافيس هو من أرسلني إليك.

في الواقع، لم تدرك جينا ذلك. مسحت راحتيها بقماش بنطلونها، وأشارت إلى مقاعد خشبية تحت شجرة التفاح قائلة: «باستطاعتنا أن نجلس هناك».

فكّرت جينا بأنها لن تغامر وتدعوه إلى الداخل مقابل أي شيء. شجرة التفاح المتفتحة الأزهار عطّرت الهواء برائحتها المنعشة، كما تجمعت بتلات الزهور البيضاء المتساقطة على الحجارة كرقاقات الثلج. جلست جينا على المقعد الخشبي، وأمرت نفسها بتفتيح ذهنها والحفاظ على التفكير السليم.

صارحها برايس بشكل سلس ولطيف: «لقد اتصل بي ترافيس البارحة مباشرة بعد حديثه معك. ومن دون أي مواربة سأضع أمامك أوراقي مكشوفة. ترافيس يأمل بأن أقنعك بالذهاب إلى حفل عمادة سامانثا، على الرغم من إقامته في ماناتوك ووجود أبيك وزوجته وأمك في هذا الحفل».

فكّرت جينا أنها، في أيّ ظرف آخر، كانت ستسرّ بأسلوب برايس المباشر وصراحته في الحديث. أجابته بصراحة موازية: «أخبرت ترافيس أنني غير قادرة على الحضور بسبب ضغط العمل».

نظر برايس حوله مشيراً إلى حديقتها الهادئة: «أنا غير قادر على رؤية أي ضغط في هذا المكان».

اشتعلت وجنتاها من الغضب: «إن سبب عدم سماعي لصوتك وأنت تناديني يا سيد لاريبي، هو أن ذهني كان مشغولاً بتصوّر اللوحة القادمة. اللوحة التي يجب عليّ البدء برسمها في صباح الغد. لدي معرض هام للوحاتي في بوسطن بعد عدّة أسابيع، لذلك لا أملك الوقت الكافي للذهاب إلى ماين والعودة منها. إن الأمر بهذه البساطة».

- أخبرني ترافيس عن المعرض. ويبدو أنك تقومين بعمل جيّد.

- إن أعمالي مميّزة لأنني أعمل بجد... أنت رجل أعمال أليس كذلك؟ توقعت منك أن تتفهم موقفي أكثر من ذلك.

بحثت يد برايس داخل أحد جيوبه، وأخرج منه شيكاً مطوياً، قدّمه إليها وهو يقول: «هذا من ترافيس لكِ، لتقومي بدفع تكاليف الرحلة الجوية».

أبقت جينا يديها مشدودتين إلى جانبيها: «شرحت لترافيس أنني غير قادرة على أخذ المزيد من المال منه. أنا أدين له بالكثير من دون أي مبلغ إضافي».

- إذاً سأقوم أنا بدفع تكاليف الرحلة.

رفعت جينا حاجبيها: «إذا لم أقبل بأخذ المال من أخي، فهل تظن أنني سأقبل أن آخذ هذا المبلغ من شخص غريب تماماً عني؟».

- أنا الصديق الأقرب لترافيس، ولا يمكنك اعتباري غريباً تماماً.

ارتفع صوت جينا وهي تقول: «الأمر لا يتعلق بقلّة المال على أي حال، بل بقلّة الوقت. ألا تستطيع فهم ذلك؟».

أجابها برايس بنبرة هادئة: «دعينا نترك الكلام المتعمّق جانباً، ونتكلّم بشكل صريح. هذا النقاش لا يدور حول حفل العمادة بالضبط، بل يحتوي أموراً أخرى كثيرة. أنت وأنا ندرك ذلك جيداً».

- أنا لا أدري ما الذي تتكلم عنه.

عندها قال برايس بشراسة: «اسمعي يا جينا، سواء أعجبك ذلك أم لا. ترافيس هو أخوك، وهو لم يتخلّ عنك يوماً طوال السنين الماضية. أما أنتِ،

www.rewayti.net

ولسبب لا يعلمه سوى الله، تخلّفت عن حضور حفل زفافه... أنت بالتأكيد قادرة على إدراك مشاعر ترافيس تجاه جولي، وقادرة على إدراك مدى حبّه لها، بالإضافة إلى أهمية حفل الزفاف وما عناه لهما. بالإضافة إلى ذلك، فإن جولي تريد أن تتعرف عليك، وهي إنسانة طيبة وتستحق أكثر بكثير من تجاهلك إيّاها».

في الواقع، تخلّفت جينا عن حضور العرس لأن برايس هو إشبين العريس، لكنها قالت: «إن الأمر لا يتعلق بترافيس. بل بتشارلز و....».

– حسناً، أعرف أنك لا تتفقين مع والدك، والدتك، وزوجة والدك. لكن بقاءك بعيدة، وعدم مجيئك إلى حفل الزفاف، لأنك غير قادرة على التصرف بشكل حضاري مع أفراد عائلتك ليوم واحد، حجّة لا تقنعني. وها أنت الآن تعاودين الكرّة، غير آبهة في هذه المرّة تتذرعين بلوحاتك. أقصد بلوحاتك وبقلة المال».

أجابته بحدّة: «أنا بحاجة إلى العمل لكسب لقمة عيشي».

تجاهل برايس جوابها، وأكمل: «شارفت جولي على خسارة سامانثا وهي في منتصف فترة حملها، وأنا واثق من إدراكك لهذا الأمر، لهذا السبب فإن سامانثا هي قرّة عين والديها، وهما يحبّانها إلى درجة الشغف والجنون.... والآن طلبا منك أن تكوني عرّابتها، أما أنت، فهل هزّ هذا الأمر مشاعرك، أو أثار اهتمامك؟ كلاّ.. على الإطلاق.. أنت غير قادرة على توفير نهار واحد من أجلهما، لتذهبي إلى هناك».

عندما وضع برايس المسألة أمامها بهذا الشكل، أدركت جينا كم تبدو تصرفاتها أنانية. لا عجب بعدئذٍ إذا بدا على برايس أنّه غير قادر على الصفح عن تصرفاتها.

رغم إدراكها أنها لا تقوم إلا بتعميق الحفرة التي هي فيها، إلا أنها أجابت: «بالطبع، أنا أدرك مدى حبهما لسامانثا، لكن توقيت الاحتفال لم يكن ليحدث في وقت أسوأ من هذا. إن المعرض في صالة مودرن هو بمثابة وسام يعلّق على صدري، لهذا أنا غير قادرة على اللهو في الوقت الحالي».

تصلّب فكّاه، وهو يجيبها: «هل أفهم من حديثك أن لا شيء يهمّك سوى ذاتك؟ ألا يعنيك أن أخاك يحبك جداً، أو أو أن زوجته تريد أن تتعرف عليك؟ ألا يهمّك أن أخاك وزوجته، ومن خلال دعوتهما إيّاك لتكوني عرّابة سامانثا، يريدانك أن تكوني جزءً مهماً من حياتهما؟ أم أنك حبست ذاتك في برج عاجي يدعى الفن، وأصبحت غير قادرة على النزول إلى المستوى الذهني للناس العاديين؟».

شهقت جينا من شدّة غضبها قائلة: «من أعطاك الحق لتتكلّم معي بهذه الطريقة؟».

– صداقتي مع ترافيس هي ما يعطيني هذا الحق. تقولين إنك مدينة له بالنقود، أما أنا فأدين لترافيس بحياتي.

قال برايس ذلك بصوت قاطع كالفولاذ، ثم أكمل: «لولا وجود ترافيس، لكنت أنا الآن متشرداً في الطريق أو في السجن أو ميتاً».

توقف برايس عن الحديث بشكل مفاجيء، فقالت جينا بجمود: «من الواضح أنّك لم تقصد إخباري بهذا».

– أنت لا تستحقين أيّة معلومات عن حياتي الخاصة.

أجابت جينا: «بأي حال، كان حديثك مضيعة لوقتك. فأنا قد قررّت ما سأفعله وانتهى الأمر».

– إذاً، أيفترض بي الآن أن أقف متفرجاً ولا أقوم بشيء، فيما تتجاهلين أنتِ أغلى الأمور على قلب ترافيس: زوجته وابنته؟

– أخشى أنك مضطر إلى ذلك، فالقرار ليس قرارك.

– أتعتقدين حقاً أن بإمكانك القيام بما تريدين، من دون جرح مشاعرهما؟ بتصرّفك هذا، أنت تخيّبين آمال ترافيس وجولي.

أصاب برايس هدفه، من دون أي خطأ، فلامس النقطة الحساسة لدى جينا. أجابته بصوت رفيع: «بعد انتهاء المعرض، سأذهب وأزورهما. أخبرت ترافيس بذلك. أما الآن، فسأشكرك جداً إذا ما راعيت أمورك الخاصة وتركتني».

www.rewayti.net

- بصراحة، وبعد لقائي بك، أنا لا أملك أدنى فكرة عن سبب إصرارهم على إبقاء أواصر العلاقة معك.

وقفت جينا، وأجابت بصراحة: «أنا آسفة لأنك تكبدت عناء المجيء من دون أي فائدة، لكنك لا تقوم سوى بهدر وقتك ووقتي».

- أهذا هو قرارك الأخير؟

- أجل!

- حسناً! إذاً من الأفضل لك العودة للتفكير بلوحتك. أليس كذلك آنسة ستراثرن؟ أمّا أنا فسأذهب لإخبار ترافيس بأن تخضيب القماش بالألوان هو أكثر أهمية بالنسبة إليك من الاحتفالات العائلية، مع أنني أستطيع المراهنة على أن ترافيس أدرك هذه الحقيقة.

استدار برايس على عقبيه، وعبر الممر بخطى مسرعة مختفياً خلف زاوية المنزل. بعد عدّة لحظات، سمعت جينا صوت محرك السيارة وهو يتصاعد فيما غادر من أمام المنزل. عاد الصمت ليغمر الحديقة، أما الصوت الوحيد الذي استطاعت جينا سماعه، بالإضافة إلى طنين الحشرات، فهو صوت الدقات العنيفة لقلبها الذي يتخبط في داخلها.

لقد غادر برايس! غادر من دون أن يتعرف على جينا... لم يقم بالربط في ذهنه بين شقيقة ترافيس وتلميذة الرسم تلك التي أراد إقامة علاقة معها منذ عدّة سنوات، ثم صرفها من جناحه في الفندق دون رحمة.

غرقت جينا في المقعد ثانية... أزالت القبعة عن شعرها، ونفضت خصلاته الشقراء المتجعدة لتنسدل على كتفيها. على الرغم من اضطراب المشاعر داخل صدرها، إلا أن حقيقة واحدة برزت أمامها. لا بدّ من أن ترافيس يريد أن يراها بأي شكل من الأشكال، لذا أرسل صديقه الحميم ليرافع عن قضيته أمامها.

للمرة الثانية، ها هي تقوم بتخييب آمال أخيها... بالضبط كما فعلت في حفل زفافه... ربما من الأفضل أن تعترف لأخيها بالحقيقة كلّها، فتخفّف من بعض الثقل عن كاهلها! يجب أن تعترف له بما حدث، أو على الأصحّ،

بما لم يحدث بينها وبين برايس منذ عدة سنوات. وهكذا ستتغلب على هذه المشكلة. هي واثقة من أن اعترافها لن يؤثر على الصداقة القائمة بين الإثنين، خصوصاً بعد مضيّ هذا الوقت كله، بل على العكس ستقوم هذه المصارحة بتوضيح الأمور بينها وبين أخيها، وهذا هو أقصى ما تتمناه.

لكن... بعد اعترافها هذا، ألن يربط ترافيس بينه وبين قلّة العلاقات في حياتها؟ ألن يربطه برفضها المستمر للارتباط بأحد وبرفضها للزواج؟ سيفترض مباشرة أنها مغرمة ببرايس، وأن برايس رفضها جسدياً وعاطفياً، ولم تكن جينا مستعدّة لأمر كهذا. إذلال واحد كافٍ... بل أكثر من كافٍ.

في الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالي، ترنّحت جينا خارجة من فراشها. خلال الليل استيقظت عند الساعة الثانية، والثالثة والرابعة، وقبعت محدقة بالظلام... أخذ عقلها بالذهاب والإياب ما بين جناح الفندق في نيويورك منذ اثني عشر عاماً وحديقة منزلها في المساء السابق. عند الساعة الرابعة والنصف فجراً، تركت فراشها وتوجهت إلى المرسم، حيث قامت ببعض المخططات الأولية الفاشلة للوحتها الجديدة. رمت تلك المخططات جانباً، وأخذت تملأ صحفة تلو الصفحة برسمات لبرايس. رسمت برايس في حديقتها، برايس في غرفة نومه، وبرايس بين ذراعيها. أخيراً رمت هذه الرسمات أيضاً جانباً. وبعد جهد كبير، وفي الساعة الخامسة والنصف فجراً، استطاعت العودة إلى الفراش لتغرق في نوم ثقيل مزعج، إلا أنه لحسن الحظ، خالٍ من الأحلام.

تثاءبت ومطّت ذراعيها لتخرج الألم من صدرها، وهي تفكر أنها بحاجة إلى كوب من القهوة... بل تحتاج إلى القهوة وإلى حمام صباحي.

ملأت آلة صنع القهوة، وانتظرت جهوزها. أثناء ذلك جالت بنظرها عبر نافذة المطبخ. حركة مفاجئة في الخارج لفتت نظرها فجمد جسدها في مكانه.

رأت جينا رجلاً ضخماً راكعاً في حديقتها، يزيل النباتات الضارّة. سترته الضيّقة أبرزت عضلات ظهره، وأشعة شمس الصباح التمعت منعكسة على شعره الأشقر. بدا على ذلك الرجل أنه يتصرف بسهولة وراحة كأنما هو في

www.rewayti.net

حديقة منزله، وهذا الأمر بالضبط هو ما أغضبها وأفقدها آخر ذرّة من الحذر. وضعت الكوب الفارغ بقوّة على منضدة المطبخ، وسارعت إلى الخارج مشرعة الباب الخلفي. أصدر الباب صوتاً قوياً، فنظر الرجل نحوها.

٣ ـ لقاء صباحي

ألقت الشمس المشرقة من وراء برايس أشعتها على المرأة الواقفة على الشرفة. فكّر برايس وهو ينفض التراب من يديه أنها تبدو رائعة جداً وأشعة الشمس تغدق عليها من نورها. شيء آخر بدا واضحاً عليها، وهو الغضب الشديد.

جيّد! هذا ما أراده، وما هو مستعدٌّ تماماً له.

هبطت جينا الدرج العريض راكضة، حافية القدمين، مرتدية بيجامتها الحريرية القشدية اللون التي تبرز جسمها. بدا شعرها متوحشاً بتجعيداته المتشابكة، أما عيناها، فبرز لونهما الأزرق الذي يبدو أعمق من لون السماء، وضاهى لون وجنتيها ألوان براعم الزهور في الشجرة التي بدت خلفه، وأحس برايس ببعض الإثارة.

كيف استطاع الانجذاب إلى امرأة هو مدرك تماماً لعدم إعجابه بشخصيتها؟ أهذا السبب شعر بالغضب الشديد منها؟ هل هو غاضب منها لسبب لا دخل لترافيس أو جولي به؟

وقف برايس ملقياً التحية بطريقة وديّة: «صباح الخير يا جينسا!».

على بعد ثلاث أقدام منه وقفت جينا واضعة يديها على خصرها، وسألته: «ما الذي تعتقد أنّك تفعله هنا؟».

- أليس جلياً ما أقوم به؟ أنا أنظف الحديقة من النباتات الضارة.

نظرت جينا إلى الأرض، ثم صرخت به: «لقد اقتلعت معظم نباتات الشمندر بعملك هذا».

- أنت تمزحين.. أليس كذلك؟ أتعنين أن هذه الأشياء الحمراء الطريفة

www.rewayti.net

الشكل كانت ستتحول إلى مخدر؟

– كانت ستفعل ذلك لو أنك لم تقتلعها من جذورها!

شعر برايس أنه يستمتع فعلاً بما يقوم به. فقال لها: «ظننت أن لديك لوحة يجب أن تباشري برسمها. لو أنّك نهضت باكراً للبدء بعملك لما استطعت أن أؤذي مزروعاتك إلى هذا الحد».

أجابته بغضب عاصف: «ألم يكن من المفروض أن تعود ليلة أمس إلى حيث تنتمي؟ لمَ لا تتوجه الآن مغادراً إلى هناك؟ لو أنك ذهبت منذ عشر دقائق خلت لكان ذلك أفضل».

– مدينة بوسطن هي المكان الذي أنتمي إليه. بالإضافة إلى ذلك، شعرت أنني تخاذلت بسرعة واستسلمت لرفضك بالأمس، لهذا السبب بقيت في المدينة وأمضيت ليلتي في نزل ساحر يقدّم السرير والفطور، يقع في نهاية الطريق. على فكرة، قامت صاحبة النزل بتقديم نشرة مفصلة لي عن أحوالك. أخبرتني عن عدم وجود رجال في حياتك، وعن خصوصية الفن الحديث كما تظهر من خلال لوحاتك.

تأوّهت جينا، متناسية غضبها للحظة قائلة: «إنها ويلما لاوسون دون شك!».

– أجل، إنها هي، ويلما. أخبريني جينا، لمَ لا يوجد أيّ رجل في حياتك؟

– لأن معظم الرجال يشبهونك بطباعهم إلى حدّ كبير.

رمى برايس رأسه إلى الخلف ضاحكاً، وقال: «أنا لست بهذا السوء».

– من أخبرك بهذا؟ في مطلق الأحوال، لمَ نحن نتناقش بهذا الموضوع كالأطفال الذين هم في السابعة من عمرهم؟

أجابها من دون تردّد: «لكي أشغل عقلي عن التفكير بمدى سحرك في هذه البيجاما».

تدفّق اللون الأحمر حاراً إلى وجنتيها بطريقة أثارت استغراب برايس. جينا في التاسعة والعشرين من عمرها كما أبلغه ترافيس، لكن وجنتيها تورّدتا كأنها فتاة في السادسة عشرة لم تسمع كلمة إطراء من رجل في حياتها.

هذا مستحيل! فامرأة بجمالها، لا بدّ أن يحيط بها الرجال ليل نهار.

آه! هذا الأمر ليس من شأنه. لقد أخبرها بأنها تبدو ساحرة، وكان يجدر به أن يقول إنها جذابة، مذهلة، أو مغرية. أراد أن يأخذها بين ذراعيه، ويضم إلى صدره وجهها الذي ما زال منتفخاً من آثار النوم. أراد أن يشعر بدفء بشرتها المختبئة تحت حرير بيجامتها، وأن يداعب بيديه شعرها المتشابك...

ما الذي يحدث معه بحق السماء؟ تساءل برايس. أتى إلى منزلها هذا الصباح ليبلغها أنها ستذهب إلى ماين، شاءت ذلك أم أبت. لم يأتِ إلى هنا ليقوم بإغوائها، فهذا الأمر ليس على جدول أعماله. بالرغم من كلّ شيء، جينا هي الأخت الصغرى لصديقه المقرّب.

قالت جينا بصوت مخنوق: «ما من رجل في حياتي في ويلسبرينغ. السبب الأوّل لهذا الأمر، أن معظم الرجال هنا تخطوا الستين من أعمارهم، أمّا السبب الأهم فهو أن معظم سكان البلدة من محبي الثرثرة، كويلما لاوسون. لهذا أنا أفصل بين حياتي العاطفية وحياتي اليومية. الأولى مكانها بوسطن، والثانية هنا. أيعجبك هذا؟».

كلا، لا يعجبه! فكّر برايس بانزعاج: «أمرتبطة أنتِ مع أحدهم في بوسطن؟».

أجابته بسؤال: «أمرتبط أنت بإحداهن؟».

– كلا! لا زواج، لا طلاق، لا أولاد ولا التزامات.

لم يتغيّر برايس البتّة، فكّرت جينا. ازداد انزعاجها لدى ملاحظتها أنها ابتدأت بالتساؤل عن السبب الذي منعه من الزواج طيلة هذه المدّة. الأمر ليس من شأنها أبداً، فهو لا يعني لها شيئاً في الوقت الحالي، لا شيء على الإطلاق. قالت له بنزق: «لمَ لا نعود إلى موضوعنا؟ سأعيد قول ما أبلغتك إيّاه البارحة. أنا غير قادرة على الذهاب إلى ماين قبل إقامة المعرض. باستطاعتك إبلاغ أخي أنّك حاولت جهدك. أما الآن، فإلى اللقاء يا برايس لاريبي. أرجو لك قيادة آمنة في طريق عودتك، وحياة سعيدة. لكن من هذه اللحظة وصاعداً، إبقَ خارج ممتلكاتي».

www.rewayti.net

قال بانزعاج ظاهر: «لقد أفسدت الأمر عندما تخلّفتِ عن الذهاب إلى حفل زفاف ترافيس، والآن أتتك الفرصة للتعويض عن ذلك».

تمنّت جينا لو أن الأمر بهذه البساطة: «اذهب من هنا!».

قلّص برايس المسافة بينه وبينها مقترباً منها إلى درجة كبيرة، ثم قال بكسل: «أستطيع أن أشم رائحة القهوة. ألن تقومي بدعوتي إلى تناول كوب منها؟».

رائحة عطر ما بعد الحلاقة، دغدغت خياشم جينا بشكل محيّر. قاومت جينا مشاعر رغبة عارمة تملكتها، محاولة إبقاء يديها على جانبيها وعدم القيام بتلمّس الشق الموجود في ذقنه، ثم أجابته: «كلاّ، لم أخطط لدعوتك لتناول القهوة».

- سوف أخيّم على عتبة بابك إلى أن توافقي على الذهاب إلى حفل العمادة، لذا من الأفضل لك أن تعتادي على وجودي هنا.

- سوف أسلّط عليك مأمور الشرطة!

- توم لاوسون، ابن عم ويلما؟ قابلته مساء البارحة في النزل. أخبرته أنني هنا لمقابلتك، وأنني وأخاك صديقان منذ الطفولة. بدا لي توم رجلاً طيباً.

للمرة الثانية، تفوّق عليها برايس. أخذت جينا نفساً عميقاً وبطيئاً قائلة: «أنت فعلاً لا تحتمل».

- ادعيني إلى تناول القهوة جينا.

قالها برايس، ثم أشار إلى كيس ورقي موضوع على المقعد تحت شجرة التفاح: «جلبت قطعتين من حلويات ويلما الدنماركية، ظننت أنك قد ترغبين بتناول واحدة. الحلوى محشوة بمربى التوت والكاسترد، ستلائم القهوة الكولومبية بشكل رائع».

حملقت جينا ببرايس متذكرة، ألم يكن هذا الفم الحازم وتلك العظام القوية سبب انجذابها إليه منذ البداية؟ بدا لها جلياً أن الحزم قد تخطى حدود فمه في هذه اللحظة؛ لم يكن برايس ينوي المغادرة، وكلّما طالت مدّة وجوده قربها، كلّما زادت نسبة المخاطرة بأن يشعرف إليها، وزادت نسبة احتمال ارتمائها في أحضانه، وهذا المشهد لن تتحمل جينا فكرة حدوثه.

الحل الأفضل يقضي بأن ترسله كي يستعد للسفر، ثم تذهب هي بأبي حلّة إلى حفل العمادة. قالت بصوت هادىء: «حسناً! لقد ربحت. سوف أذهب إلى ماين. بإمكانك المغادرة الآن، لقد تمّت مهمتك».

لمع شيء داخل عيني برايس، وقال: «لست معتاداً أن تأخذني أي امرأة على حين غرّة وتفاجئني. لِمَ هذا التغيير المفاجىء؟».

أجابته بانشراح: «السبب واضح، فكرة تخييمك أمام عتبة منزلي لم تعجبني إطلاقاً».

- إذاً، أنت تقولين إنني لا أعجبك.

- بإمكانك تفسير الأمر بالطريقة التي تريد.

عمقت نبرة صوته وهو يقول: «باستطاعتنا اختبار إحساسك هذا».

خطت جينا إلى الخلف بسرعة، فيما دكن اللون الأزرق في عينيها برعب ظاهر وهي تقول: «إيّاك أن تجرؤ على ذلك!».

جمد برايس في مكانه وأفكاره تتسارع: «لِمَ أنت خائفة إلى هذه الدرجة؟».

عضّت جينا شفتها قائلة: «أنا لست خائفة».

قال برايس بجفاء: «إذا ما اقتربت منك، كلّ ما عليك فعله هو الصراخ، وسيجتمع ثلاثة أرباع أهل البلدة على صوتك، بمن فيهم مأمور الشرطة».

- وبعدها، لن يتحدثوا إلا عن هذا الموضوع طيلة الأشهر الستة القادمة.

- إذاً، سوف أسدي أهل القرية خدمة إذا ما عانقتك الآن!

تراجعت جينا خطوة أخرى إلى الخلف، وقالت بصوت حاد: «برايس! أنا جائعة وأريد الذهاب لتناول فطوري. اذهب وأخبر أخي أنني سأحضر إلى حفل العمادة، وسأدفع تكاليف السفر بطريقتي الخاصة، ثم سأذهب إلى بوسطن».

سار برايس من قربها وتناول الكيس الورقي قائلاً: «لكننا سنشرب القهوة أولاً».

- فهمت الآن لما لم ترغب إحداهن بالزواج منك. أنت لا تستمع إلى أيّ كلمة يقولها سواك.

www.rewayti.net

قالت جينا ذلك بغضب، وسارت مبتعدة عنه باتجاه المنزل.

تبعها برايس متمنياً لو أنه يستطيع تجاهلها بالقوة نفسها التي تتجاهله هي بها.

كن صريحاً مع نفسك! فكّر برايس، أنت غير معتاد على أن تدير النساء ظهورهن لخوك، بل أنت معتاد على أن يرمين بأنفسهن عليك.

إن التغيير مريح، بلا شك. أليس كذلك! لكن ما الذي دعا جينا إلى تغيير موقفها؟ تساءل برايس محتاراً.

صفعه الباب الشبكي على وجهه، لأن جينا لم تكلّف نفسها عناء فتحه من أجله. دخل إلى المنزل، عبر غرفة المدخل الصغيرة حيث علّقت السترات على التعاليق، واصطفت الأحذية على الأرض. ودخل بعدئذٍ إلى المطبخ.

لم يظهر أي أثر لجينا في المطبخ، غير أن رائحة القهوة فاحت زكية. تفحّص برايس خزائن المطبخ والبراد، فوجد فنجانين، بعض الكريما، وإناء للسكر، كما وجد صحوناً للحلوى. بعد دقيقتين عادت جينا مرتدية بنطلوناً من الجينز ملطّخاً بالألوان وبلوزة قطنية، ورفعت شعرها بشكل عشوائي فوق رأسها. وجدت برايس جالساً يرتشف قهوته.

- أنت بلا شك تعرف كيف تتصرف وكأنك في منزلك.

- الشبان العازبون ينقسمون إلى فريقين: الفريق الأول بحاجة إلى امرأة لترعاه، والفريق الثاني قادر على خدمة نفسه. احزري أنت إلى أي صنف أنتمي أنا؟

أجابته بحدّة: «هنالك بعض النسوة، أمثالي، لا يرضين بأن تدور حياتهن حول خدمة أي رجل».

قال بهدوء: «أقدم لك تهانيّ».

سكبت جينا فنجاناً من القهوة، وجلست مقابل برايس وظهرها مواجه للضوء. قصت إحدى قطع الحلوى إلى نصفين، ثم قضمت قطعة كبيرة وبدأت بمضغها. تمتمت قائلة: «كيف لي أن أبقى غاضبة منك وفمي مليء بمرس التوت والكاسترد؟ ويلما معروفة في مقاطعتين لبراعتها في صنع الحلوى، كما تقوم

ببيع الخبز المعد في المنزل طوال السنة... وهذه هي نقطة ضعفي».

علقت قطعة صغيرة من الحلوى على شفتها السفلى لم يستطع برايس منع نفسه من الانحناء إلى الأمام لإزالتها. تقلّصت عضلات جينا مبتعدة عنه، وتوتر فكّاها، كما امتلأ اللون الأزرق في عينيها بالخوف. عبس برايس مستفهماً: «تتصرفين وكأنك خائفة إلى حدّ الموت مني. هل مررت بتجربة سيئة مع أحد الرجال؟».

- وماذا لو حصل مثل هذا الأمر؟

سألها يطلب تفسيراً: «ما الذي فعله لك؟».

- برايس، علاقاتي وحياتي السابقة ليست من شأنك.

بقيت نظراته مسمّرة على وجهها، وقال بشكل أكثر اعتدالاً: «أنا آسف إذا ما قمت بأي أمرٍ أخافك يا جينا. لم تكن هذه نيتي بالتأكيد».

للمرّة الأولى، شعرت جينا بلمحة من الإعجاب ببرايس، وشعرت أيضاً بأكثر من وخزة تأنيب ضمير لخداعها إيّاه. فقالت وفمها مليء بالكاسترد: «اعتذارك مقبول».

- لِمَ لا تخبرني عن تجربتك تلك؟

تنفّست جينا بحدّة، ما سبب اختنائها بقطعة من الحلوى. أسرع برايس إلى المغسلة، وملأ كوباً بالماء، وأعطاها إيّاه فلامست أصابعه أصابعها. لاحظ أن أصابعها خالية من الخواتم، وهي طويلة، أنيقة، وقديرة بشكل لا يمكن إنكاره، فيما تجمّع اللون الأخضر تحت أظافرها. عبس برايس ثانية، وتكلم بصوت بدا أنه موجه إلى ذاته أكثر منه إليها قائلاً: «أتدركين شيئاً؟ أشعر بإحساس غريب... بين كلّ فينة وأخرى، أشعر أنك تذكرينني بأحد ما.. طريقة مشيتك، وجهك... لكنني غير قادر على تذكر الشخص».

دفنت جينا وجهها في فنجان القهوة، وأحسّت بنبضات قلبها في حلقها لشدة القلق. بعد عشر دقائق سيرحل برايس، وعندها ستصبح في أمان. تركت شعرها يتساقط إلى الأمام على وجهها، وقضمت قطعة أخرى من الحلوى متمتمة: «قد يكون ذلك بسبب لون عينيّ المطابق للون عيني ترافيس».

www.rewayti.net

ضحك برايس قائلاً: «أنا لا أتكلم عن رجل يا حلوة».

أجابته بشكل لاذع: «الكثرة ما عرفت من نساء، أنا متأكدة أنك غير قادر على تذكّرهن جميعاً».

لم يدرِ برايس لما شعر بحاجة إلى تصحيح معلوماتها، فاعترف: «منذ أن بلغت العشرين من عمري وحتّى سن الخامسة والعشرين، تقلّبت بين المال والمنازل الفخمة والسيارات والنساء، وكأنني أملك مخزوناً لا ينضب من تلك الأشياء. لكن.. بعد فترة، وبشكل مفاجىء، فقدت تلك الأشياء رونقها. بالطبع، لا زلت أواعد بعض النساء من وقت لآخر، أو أقيم بعض العلاقات العابرة، لكن لم يعد شيء يثيرني».

- لست أفهم سبب اعترافك لي بهذه الأمور.

برايس أيضاً جهل سبب اعترافه. سألها: «ماذا عنكِ أنت؟ هل هناك رجل تواعدينه في بوسطن؟».

كان برايس صريحاً معها على الرغم من الجرح الذي أصاب شيئاً ما في داخلها، لمعرفتها أنها طيلة ذلك الوقت لم تكن سوى اسم إضافي على لائحة طويلة من النساء. أخذت جرعة من فنجان القهوة، وأجابت بجمود: «ما من رجل في حياتي في الوقت الحالي».

- إن مقر إقامتي الرئيسي هو في بوسطن. سأترك لكِ رقم هاتفي وعنوان منزلي. في المرة القادمة التي تذهبين فيها إلى بوسطن، نستطيع تناول العشاء معاً.

أجابته بنبرة خالية من الالتزام: «أنا لا أحب القيادة للعودة بعد حلول الظلام. اسمح يا برايس! إذا لم أباشر بعملي من الآن حتى خمس دقائق، سيطردني المعرض بالتأكيد، ولن يبقى لدي سبب للذهاب إلى بوسطن».

شرب برايس آخر جرعة قهوة في فنجانه، ثم دفع كرسيه إلى الخلف ووقف. لكن، عوضاً عن التوجه إلى المدخل، سار عبر الممر متوجهاً إلى مرسمها. جالت عيناه فوق المزيج المثير للاهتمام الذي يتراوح بين الفوضى العارمة والترتيب الكامل. تنشّق الروائح المميزة لزيت بزر الكتان والتربانتين الخاص

بالألوان. ثم زادت حدة نظرته وقال: «أهذه هي اللوحة التي انتهيت من رسمها؟».

أجابته بامتعاض واضح: «أجل، هذه هي».

المشهد الذي رسمته جينا، شبيه بتلك الشوارع التي نشأ فيها برايس. اختارت أن تكون رسمتها في مساء يوم صيفي مشمس، مراعية أدق التفاصيل بشكل محبّب. غير أن النوافذ العريضة، وأكياس القمامة المكومة والسيارات الصدئة أوحت بالشؤم. سألها بخشونة: «كيف تعرفين شكل هذه الشوارع ومظهرها؟».

أجابته مترددة: «لقد سرت فيها وتأملتها. أخبرني ترافيس أنك نشأت في أحياء بوسطن الفقيرة».

سألها: «لمَ أخبرك بهذا الأمر؟».

- مرّت هذه المعلومة صدفة في أحد أحاديثنا.

- أنا لا أتكلّم عن هذا الموضوع... لا معه ولا مع أحد سواه.

أجابته برقة: «ربما حان الوقت لتبدأ بالكلام».

- وربما لم يحن بعد!

انحرفت نظرته عن اللوحة وسألها: «هل هذه مخططات اللوحة الجديدة؟».

حشرت جينا نفسها بين برايس والكومة المبعثرة من الأوراق بشكل دلّ على توترها. إذا ما رأى برايس رسماتها له سوف تموت في الحال من شدّة خجلها. قالت مبررة: «لا أحد يرى أيّاً من أعمالي قبل انتهائها نهائياً».

- ها قد فعلتها ثانية! هنالك شيء ما في طريقتك بالحركة يثير ذاكرتي. لكن... بمن تذكريني بحق السماء؟!

- أنا لا أملك أدنى فكرة! أرجوك، اذهب يا برايس، لدي الكثير من الأعمال لأقوم بها.

أخرج برايس بطاقة من محفظته ووضعها على الطاولة: «اتصلي بي يا جينا».

ظهرت ابتسامة برايس، مشعلة قسماته بطاقة ذكورية صرفة، وقال:

www.rewayti.net

«سيسرّ ترافيس كثيراً عند رؤيتك في حفل العمادة».

فكرت جينا أنها إذا أخبرت برايس أنها غيّرت رأيها، سيبقى في ويلسبرينغ، أمّا إذا ذهبت إلى العمادة، فستخاطر في استعادته لذكرى لقائهما السابق. لكن ما زال لديها ثلاثة أسابيع قبل الحفلة، ومن يدري ما قد يحدث. لربما تصاب بذات الرئة أو تكسر رجلها فتعتذر عن الذهاب.

مدّ يده نحوها مصافحاً وقال: «ربما تقومين يوماً ما بإخباري عن ذلك الرجل الذي زرع فيك الخوف، وعندها سوف أذهب لألكمه في وجهه».

لو يدري كم يبدو عرضه هذا مثيراً للسخرية! بردّة فعل عادية مدّت جينا يدها ووضعتها في يده. شعرت بالقوة الكامنة في قبضته، وبالحرارة المنبعثة من راحة يده إلى يدها، أما برايس فشعر بالاضطراب. ومع أن قلب جينا أخذ بالقفز داخل أضلاعها، إلا أنها قالت بهدوء: «إلى اللقاء يا برايس. أتمنى لك رحلة آمنة».

ثم حرّرت يدها من قبضته. سمعت وقع خطواته وهو يعبر غرفة الجلوس، ثم سمعت صرير الباب الشبكي. فكّرت أنّ الأبواب في هذا المكان بحاجة إلى تزييت، لكن الإصلاحات المنزلية كانت دائماً نقطة ضعفها.

بعد مضي دقيقة أو اثنتين، سمعت صوت سيارة برايس مغادرة من أمام منزلها. أسندت ظهرها إلى باب المرسم مسترخية تفكر. طيلة ثلاثة أسابيع ستعيش بأمان. ولسبب لم تدر به، لم تبدُ لها هذه الفترة طويلة كفاية.

٤ - رجل في قلب الإعصار

نزل برايس من زورقه البخاري إلى الرصيف الطويل الناتئ من جزيرة ماناتوك، حيث بنى تشارلز، والد ترافيس، قصراً يناسب جبال الألب النمساوية. رأى برايس أبراج قصر كاسلراي من قبل، ولطالما أمتعته رؤيتها. أما اليوم، فهناك شيء آخر مختلف عن القصور يشغل باله.

هل حافظت جينا على وعدها له، وأتت إلى حفل العمادة؟ هل سيكتشف عند رؤيتها اليوم، أنها كأي امرأة أخرى، جميلة لكن دون أي شيء مميّز؟ مهما بدت جميلة، لن يبرّر هذا عدم مبارحتها لخياله طوال الأسابيع الثلاثة الماضية. لقد أمضى أسبوعاً في بروكسل، وأمضى اليومين الأخيرين في فنلندا، أما الوقت الباقي فقضاه كلّه في منزله في منطقة بيكون هيل. تفكيره بجينا لم يتأثر بالمكان، لأنه في المناطق الثلاث انزعج من سيطرتها على تفكيره.

طوال هذه الأسابيع لم تتصل به جينا. وهو متأكد من أنها لم تفعل. كذلك هو، لم يذهب لزيارتها رغم استطاعته ذلك لقرب منزلها نسبياً من المدينة.

عبر المتحدر المؤدي إلى الحفل بخطوات سريعة، مدركاً أنّه، على الأرجح، آخر الضيوف الواصلين إلى الحفل. ما جعله يتأخر هو تأخير بسيط في إفراغ الحقائب في المطار. العائلة والأصدقاء كانوا مجتمعين في حديقة الورود الواقعة بين مرسى القوارب والغابات، وقد بدت الحديقة في أبهى حلتها في شهر تموز. بدت السماء صافية إلا من بعض الغيوم العابرة، فيما النسيم لطيف عابق بشذى الورود، ورائحة الأشجار الخضراء المحيطة ورائحة البحر.

رأى برايس جينا تتحدث مع ترافيس وجولي، فشعر بالسرور يغمر قلبه، لقد وفت بوعدها له، وأتت إلى الحفل.

www.rewayti.net

لو أن أحدهم قام بقياس نبضات قلبه، لاعتقد أنه كان يحذّف بقاربه عبر الخليج الفاصل بين ماناتولا والخط الساحلي الممتد جنوبي ماين. لعن برايس نفسه في سره، فهو ليس بحاجة إلى هذا الشعور لتعقيد حياته. فجينا امرأة متحفظة، غير ودودة، وهي شقيقة صديقه المفضل، لذا يجب عليه التصرّف بذكاء وحكمة، والابتعاد عنها قدر ما يستطيع. لكن المشاعر التي انتابته، تدعوه إلى عبور حديقة الورود، ليأخذها بين ذراعيه ويعانقها دون وعي.

- مرحباً برايس.

أبعد نظراته بصعوبة عن جينا، ثم قال بمودّة حقيقية: «ليونورا، كيف أحوالك؟».

ليونورا كونولي هي والدة ترافيس والتوأمين، برانت وجينا. بعد ولادة التوأمين بفترة قصيرة، تركت ليونورا عائلتها، وسافرت إلى باريس لمتابعة مسيرتها كراقصة. ردّة فعل تشارلز، زوجها، كانت إبلاغ ترافيس ابن السنوات الست أن أمّه ماتت، وفي الوقت نفسه ضغط على ليونورا بقوة التهديد لعدم الاتصال نهائياً بالأولاد، فيما تم الطلاق بسريّة كاملة. وبعد سنتين على رحيلها، تزوّج تشارلز كورين، امرأة مختلفة تماماً عن ليونورا.

لكن في الصيف الماضي، عادت ليونورا إلى ماين ساعية لإيجاد أولادها. نجحت هي وترافيس في الأشهر المنصرمة في بناء علاقة متينة، لكن حسب ما أخبره ترافيس، لم تتقبّل جينا بسهولة الظهور المفاجىء لأم لم تعرفها، ولطالما اعتبرتها ميتة. أجابت ليونورا: «اجتماع عائلي جديد. أنا في أفضل حال ممكنة».

- تبدين رائعة، باعتبار الظروف المحيطة.

ليونورا طويلة القامة، نحيفة الجسم، شعرها الأسود الطويل موشح بشعرات فضية، وكلّ خطوة من خطواتها تعكس رشاقة الراقصة.

- إذاً ستكون أنت عرّاب سامانثا.

أجابها رافعاً حاجبه: «أجل، وستكون جينا العرّابة. التقيت بها للمرّة الأولى منذ ثلاثة أسابيع. إنها بالفعل باردة المشاعر كملكة الثلج».

- عندما التقيت ترافيس في الصيف الماضي، قابلني بغضب شديد لأنني تخلّيت عنه وهو في السادسة من عمره. عندما أستعيد الأشياء في ذاكرتي، أجد أنني أفضل ذلك الغضب على التهذيب الشديد الذي تعاملني به جينا. أشعر معها بأنني غريبة التقتها صدفة، ولا تعني لها شيئاً.

- إنها رسامة موهوبة جداً.

- أنت محق بقولك هذا. سوف يسعدني الذهاب إلى حفل افتتاح معرضها في صالة مودرن الشهر القادم . . . أستذهب أنت للافتتاح؟

- ما زلت غير متأكّد.

قالت ليونورا مع لمعة ظاهرة في عينيها: «إنها أيضاً جميلة بشكل استثنائي».

- تساءلت عمّا إذا كان جمالها هو السبب الذي دعا ترافيس لكي يطلب مني الذهاب لزيارتها، كمحاولة للجمع بيننا، لكنه أذكى من ذلك.

ضحكت ليونورا قائلة: «أعتقد أنّه يجب عليك الذهاب إلى ترافيس لإلقاء التحية. مراسم الاحتفال ستبدأ بعد عدّة دقائق».

- سوف نعاود الحديث في وقت لاحق.

وعدها برايس بذلك، ثم توجّه نحو تشارلز وكورين.

بدا شارلز ستراثرن رجلاً طويلاً، خفيف الشعر، تحمل ملامح وجهه الوسيم معاني العناد عوضاً عن القوّة، أما كورين، فلقد بدت كعادتها، هادئة، رابطة الجأش كعارضات الأزياء. شغفها بالورود بدا واضحاً ومبرّراً لروعة الحديقة وجمالها. لطالما اعتقد برايس أن كورين تخفي داخل شخصيتها أكثر ممّا يظهر للناظر إليها.

صافح برايس تشارلز وعانق كورين قائلاً: «أنا مسرور جداً لوجودي هنا معكم. الحديقة رائعة جداً يا كورين، كما أن الطقس في أفضل حالاته».

قال تشارلز مجاملاً: «إنها مناسبة سعيدة جداً».

أضافت كورين: «إن سامانثا طفلة لطيفة، لكن أجمل ما يميز دور الجد أو الجدة هو في القدرة على إعادة الحفيد إلى أهله عندما يريدان ذلك».

فكّر برايس أنّه من الصعب تخيل كورين تقوم بتغيير حفاظات الطفل، لكنه

www.rewayti.net

احتفظ لنفسه بهذه الفكرة، وأجاب عن أسئلة تشارلز حول رحلاته الأخيرة. قال له تشارلز: «أخبروني أنك ستكون وجينا عرّابي الطفلة. أنا سعيد جداً لقدومها، فهي لم تأتِ إلى ماناتوك منذ عدّة سنوات».

برايس، ومن خلال ما أخبره به ترافيس، عَلِم أن جينا لم تتفق كثيراً مع والدها الذي حاول تحطيم كلّ ميولها الفنية أثناء طفولتها. تلك الميول التي ورثتها على الأرجح من والدتها التي هجرته.

أجاب برايس تشارلز بسلاسة: «إذاً عادت لترى ماناتوك في آبهة حلّة».

أكمل تشارلز قائلاً بتكلّف: «سوف تفتتح جينا معرضاً للوحاتها في بوسطن الشهر المقبل. أنا وكورين نفكر بالذهاب لحضور المعرض».

تشارلز وكورين يمتلكان منزلاً في باك باي، إحدى أرقى مناطق بوسطن السكنية. أجاب برايس بلطف: «قد تكون جينا على وشك الانطلاق نحو حياة مهنية ناجحة جداً».

علّق تشارلز: «تخرّجت جينا من كليّة الفنون جامعة كولومبيا، وهي جامعة ممتازة».

راح قلب برايس يتخبط بقوّة داخل صدره. اختفت ورود الحديقة، وأحاديث المجتمعين اللطيفة، وصوت الأمواج القريبة... كلّها اختفت من أمامه كأنها لم تكن فيما سأل: «هل قلت إنها تخرّجت من جامعة كولومبيا؟ في أيّة سنة بالضبط؟».

من دون أن يلاحظ نبرة صوت برايس، قام تشارلز ببعض الحسابات في ذهنه وقال: «دخلت الكلية منذ اثني عشر عاماً، لذا لا بدّ أنها تخرّجت وهي في عامها الحادي والعشرين».

منذ إثني عشر عاماً كانت جينا في السابعة عشرة من عمرها. إنه عمر طالبة الفنون ذات الشعر الأشعث، تلك التي قالت إنها تريد رسمه بعد إحدى المحاضرات التي ألقاها في كولومبيا. غير أن طالبة الفنون تلك امتلكت عينين بنفسجيتين تقريباً... لا بدّ أنها استعملت عدسات لاصقة ملوّنة. إن طريقة تحرك جينا، أناقة انحناءتها، أصابعها القادرة على صنع الكثير، وأسلوبها

المراوغ الذي التقاء مسبقاً، ذلك كله دلّه على أنه التقاها من قبل، لكن ذاكرته خانته.

لقد التقاها فعلاً، منذ اثني عشرة سنة في جناحه في الفندق. جان ستراثرز هي جينا ستراثرن! كم هو غبي لعدم قدرته على الربط بين الاثنتين. سألته كورين مطمئنة عليه: «برايس، أأنت على ما يرام؟».

استجمع برايس شتات نفسه بسرعة، خشيةً أن يكون قد أظهر، ولو من دون قصد، شيئاً من صدمة اكتشافه أمام تشارلز وكورين، فقال بشيء من الصدق: «أنا آسف على ذلك. حاولت التذكر إذا ما كنت قد التقيتها في إحدى زياراتي إلى جامعة كولومبيا».

ضحك تشارلز من أعماقه، ثم قال: «الكومبيوتر والفن لا يلتقيان، لذا أشك في احتمال حدوث هذا. بالمناسبة قرأت مقالة عنك يا برايس في مجلة فايننشال تايمز منذ مدة قصيرة. تحدثوا فيها عن مدى براعتك في المحافظة على استقلاليته شركتك عن الشركات الضخمة. أنت تستحق التهنئة على ذلك، فهذا ليس بالأمر السهل».

تحدّث من عملك يا برايس.. تحدّث عن أي موضوع، إلا عن حقيقة أن جينا ستراثرن، المرأة التي تشعر بالتوق إليها كانت بين ذراعيك من قبل، وهي لا تزال مراهقة! قال لتشارلز بصراحة ساخرة: «شكراً لإطرائك، فهو كثير جداً علي. لكن أنت تعرف طبيعتي، ما الذي أستطيع فعله غير ذلك؟ فأنا مستقل بطبيعتي وعنيد لدرجة لا أقدر فيها على العمل مع أحد».

ذلك أمر واقع بالفعل. فلطالما نشد برايس الوحدة، وهي ناسبته جيداً لسنين طوال، سواء في حياته العملية أم الشخصية. أضاف مجيباً تشارلز: «في كلّ الأحوال، شكراً على إطرائك. والآن من الأفضل الذهاب لإلقاء التحية على الوالدين الفخورين، وإلقاء نظرة على سامانثا. أرجو ألا تبدأ بالبكاء لحظة أحملها».

قالت كورين بابتسامة ساخرة: «في حال حدوث ذلك، أعدها إلى أمّها مباشرة».

www.rewayti.net

وافقها قائلاً: «تلك نصيحة جيّدة».

تركهما برايس، وسار عبر ممر مفروش بالخمى ومرجة خضراء ممتدة باتجاه المرفأ. خلال معركته الطويلة للوصول إلى السمعة والمكانة العالميتين اللتين تحدث عنهما تشارلز، تعلّم برايس العديد من الدروس وأهمها إخفاء حقيقة شعوره. مشاعر الخيبة، الطموح، الغضب واليأس... لكن هل يستطيع الآن إخفاء فوضى أحاسيسه عن صديقه المقرّب وعن المرأة التي ذهبت إلى جناحه في الفندق وهي في السابعة عشرة من عمرها؟ لم يكن برايس واثقاً من قدرته على ذلك، لكن سرعان ما سيعرف الجواب. حيّاهم قائلاً: «مرحباً يا ترافيس وجولي! مرحباً جينيسا!».

ربّت ترافيس على كتفه، فيما شعره الأسود يعبث به الهواء، فقام برايس بلكم ترافيس بخفة على صدره كما اعتادا أن يفعلا عندما يلتقيان دوماً. تشارك الرجلان في الطول نفسه، وبما أن الرياضة هي إحدى هواياتهما المشتركة، تمتع كلاهما ببنية رياضية. لكن هذا كلّ ما تشاركا به في المظهر، فمنذ لقائه جولي، تظهر مشاعر ترافيس واضحة على ملامح وجهه فيما يخفي وجه برايس مشاعره بالكامل. كان من الجدير بترافيس أن يدعو صديقه إلى الإفصاح عن مكنونات قلبه، لكنه يدرك أنّه منيع كالجدار أمام أي دعوة للتعبير عن مشاعره.

عانقت جولي برايس بمودة ظاهرة. أمّا جينا فحيته بصوت بارد كالمحيط: «أهلاً برايس!».

بدت جينا نفسها رائعة كالمحيط، فكّر برايس، بفستانها الكتاني ذا اللون الأزرق الفيروزي، وقبعتها المستديرة، ذات اللون المطابق للون الفستان والمكسوّة بدائرة من الزهور البيضاء. تجعّدات شعرها الجامحة أحاطت وجهها بإطار رائع. أما تبرجها فأبرز الشكل الراقي لوجنتيها والعمق الموجود في عينيها. عيناها الزرقاوان لا البنفسجيتان، العميقتان كالبحر، واللتان لا يمكن سبر غورهما مثله.

تحت تأثير الغضب الذي اعتمل بداخله ولم يقدر على الإفصاح عنه، قام برايس بإمساك جينا من معصمها، ثم أحنى رأسه، وعانقها على الطريقة

الفرنسية في التحية. توتر جسدها من جرّاء لمسته. فاح عطرها رقيقاً، وبدت بشرتها بنعومة ودفء الشمس التي تغلغلت من بين الأشجار.

عناق جينا لم يشبه عناق جولي في شيء، وهو لم يتوقع تشابه الشعور. قال لجينا: «كم هو رائع حضورك اليوم».

راقب وجنتي جينا واللون الأحمر يزداد عمقاً فوقهما. قرعت الطبول داخل صدره لدى إدراكه لحقيقة أخرى. لا تزال جينا ستراثرن ضعيفة تجاهه الآن مثلما كانت منذ اثنتي عشرة سنة. لقد تاقت إليه بشدة وقتها، وإذا لم تخنه موهبته مع النساء، فجينا لا تزال تتوق إليه بالقوة نفسها الآن. لهذا السبب بدت خائفة جداً منه في مترلها في ويلسبرينغ؟

ازداد غضبه أكثر، عندما تذكر أنه عرض عليها الذهاب للكم الرجل الذي سبّب لها هذا الخوف، وتذكر كيف جارته هي في هذه القصة. من الموكد أنها طوال هذا الوقت راحت تضحك عليه في غيابه. لسوف يكون من الممتع جداً له معرفة إذا ما كانت جينا لا تشعر بالانجذاب نحوه، لكنه لن يقوم بهذا الآن، بل لاحقاً.

ألقت جولي نظرة سريعة على الاحتفان الذي اعترى وجنتي جينا ثم قالت بسرعة: «لم تفعل سامانثا شيئاً سوى النوم طوال هذا النهار... لذا نحن نعتقد أنها تحضر نفسها للصراخ طوال الاحتفال».

قال ترافيس: «حضرت جينا إلى هنا في الليلة الماضية، لذلك أمضينا سهرة رائعة. كيف كانت رحلتك إلى هلسنكي؟».

أجاب برايس باقتضاب: «موحشة لكنها مريحة».

ثم أضاف موجهاً حديثه إلى جينا: «إلى متى ستبقين هنا يا جينيسا؟ تركت سيارتي على المرفأ في البر الرئيسي، باستطاعتي أخذك إلى المطار إذا أردت».

أجابته بتسرع: «كلا، أشكرك جداً. تدبرت الأمر مع أوليفر، وسوف يقودني إلى هناك في وقت متأخر من هذا اليوم».

إنه أوليفر قبطان الزورق البخاري الذي يجوب المياه بين ماتاتوك والبر الرئيسي. سألها برايس بإلحاح: «ألن تمضي هذه الليلة هنا؟ سوف يصاب

www.rewayti.net

تشارلز بخيبة أمل».

أجابته بنبرة لاذعة، وهي تنظر إليه: «أستصعب حدوث هذا الأمر».

– منذ دقيقتين كنت أتكلم معه، راودني شعور بأنه سوف يسر برؤيتك لوقت أطول، وبأنه يشعر بالسوء لعدم مجيئك إلى ماناتوك منذ مدة طويلة... أتمنى لو أنك تقومين بارسال دعوة له لحضور افتتاح معرضك.

بدا جلياً أن برايس يتدخل في أمور لا تعنيه، كما بدا وقحاً جداً. أخذت جولي تحدّق فيه، فيما بدا على ترافيس أنه يقاوم الرغبة في الضحك. هل قام فعلاً بإرسال صديقه المفضل إلى ويلسبرينغ آملاً أن يقع برايس وجينا بغرام بعضهما البعض؟

لقد نفد منك الحظ يا صديقي! فكّر برايس. فما من شيء يجعلني أقع في حب شقيقتك الصغرى. فجأة شعر كأن مطرقة هوت على رأسه عندما راودته فكرة مروّعة. لقد قام هو، برايس لاريبي، بإغواء شقيقة ترافيس وهي لا تزال في السابعة عشرة من عمرها. سوف يقتله ترافيس إذا ما علم بهذا...

وضعت جولي يدها برقة على كمّه، وسألته: «أأنت بخير يا برايس؟ تبدو وكأنما أحدهم قام بضربك على رأسك للتوّ؟».

ملاحظة جولي جاءت دقيقة جداً في وصفها. بذل برايس جهداً كبيراً للسيطرة على نفسه. ابتسم وهو ينظر إلى عيني جولي الزمرديتين، وقال بلطف: «أجل... أنا آسف! بعد الرحلات التي أقوم بها يجب أن أعتاد على ضغط الطيران، لكن هذه الرحلات القصيرة مرهقة جداً».

– نحن سوف نبيت هنا هذه الليلة، وأعتقد أنه يجدر بك أنت أيضاً أن تفعل ذلك.

– سوف أرى إن كنت سأتحسّن أم لا. على فكرة، قبعتك رائعة.

كانت قبعة جولي ذات حوافٍ عريضة ولونها كلون عينيها الزمرديتين نفسه.

– إنها هدية من ترافيس.

قالت جولي ذلك وهي تنظر إلى زوجها مبتسمة ابتسامة لطالما أثارت مشاعر

مؤلمة داخل برايس، فهو لن يحب أحداً في حياته إلى هذه الدرجة، لأن الحب يترافق دائماً مع شعور مخيف من الضعف تجاه الشريك. وهو غير قادر على تخيّل ما قد يحدث لترافيس أو جولي إذا ما أصاب أحد منهما مكروه، وهذا الشعور ليس مناسباً له.

عندما وضع ترافيس ذراعه حول كتفي زوجته وجذبها نحوه، مدنياً جسدها منه، بدا أمر آخر جلياً لبرايس: انسجامهما الحسّي. لم يخفِ ترافيس وجولي على أحد حقيقة غرامهما وتعلقهما ببعضهما البعض، سواء في الفراش أم خارجه.

منذ ستة خلت، كان ترافيس عازباً صلباً كما هو برايس الآن، لذلك يجب على برايس الحذر والابتعاد عن جينا ستراثرن. إذا ما كان أحدهم قادراً على جلب المشاكل له، فجينا هي ذلك الشخص.

ربما حان الوقت ليجد لنفسه امرأة جديدة. قال ترافيس، مريحاً برايس من أفكاره: «ها قد أتى رجل الدين. أعتقد أنه يجب علينا التوجّه إلى تلك الناحية».

قالت جينا لجولي عارضة عليها خدماتها: «دعيني أنا أدفع عربة الطفلة».

لاحظت جينا كم يبدو برايس متوتراً ومشدود الأعصاب. راقبته وهو يتحدث إلى ليونورا وتشارلز وكورين. أتراه حزر هويتها؟ لقد بذلت مجهوداً كبيراً هذا اليوم لتظهر بصورة مناقضة تماماً لتلميذة الرسم تلك، ذات العينين البنفسجيتين.

أرخت فرامل عربة الطفلة، التي هي إحدى الهدايا الكثيرة التي أغدقها تشارلز على حفيدته، وقادت العربة على طول الممر، مدركة بكل جوارحها أن برايس يسير خلفها. أخذت جينا موقعها إلى جانب أخيها، وأخذت أنفاساً قصيرة لتهدئة روعها، محاولة بأقصى جهدها إبعاد برايس عن أفكارها، فهذا الحفل ليس من أجل برايس بل من أجل سامانثا، ابنة أخيها. في قرارة نفسها، أخذت جينا عهداً على نفسها أن تفعل أقصى ما تستطيع من أجل الطفلة التي أحبتها بعمق وصدق بالرغم من عدم خبرتها مع الأطفال. أما برايس فتمركز

www.rewayti.net

بالقرب من جولي التي حملت طفلتها بين ذراعيها، وقد بدا ثوب الطفلة الأبيض متلألئاً تحت أشعة الشمس.

لقد تخلّت عنه أمه وهو لا يزال في الرابعة من عمره. خرجت من منزلها ولم تعد إليه ثانية، أما والده فاختفى في اليوم نفسه الذي رحلت فيه أمه. دفع برايس تلك الأفكار بعيداً عن ذهنه، وأعادها إلى حيث تنتمي، فذلك حدث منذ زمن بعيد جداً ولا مكان له في حياته كرجل راشد. إن نجاحه المهني قد ضمن له عدم العودة إلى الفقر مجدداً.

الكلمات الشاعرية القديمة لمراسم العمادة تساقطت واحدة تلو الأخرى خارج أذنيه. عندما لمست المياه الباردة جبهة سامانثا، استفاقت، وأخذت تتأمل ما حولها بعينيها الزرقاوين الواسعتين. بعد ذلك أعطوها إلى جينا التي ردّدت عهودها بصوت هادئ، بطريقة وجدها برايس مؤثرة جداً. إنه أقل الرجال تأثراً بالعواطف، فما الذي حدث له؟ هل هو على وشك فقدان هذا الامتياز؟

سرق نظرة خاطفة باتجاه جينا، وما لبث أن أبعد عينيه عنها بالسرعة نفسها، شاعراً بأنه يتطفل على لحظة خاصة جداً ليس له شأن بها.

أنهت جينا مهمتها، وعبرت من أمام ترافيس وجولي، سائرة بحذر شديد وكأنما سامانثا مصنوعة من كريستال سريع الانكسار. عندما سلّمته الطفلة، بدا وجهها ناعماً ورقيقاً بشكل لم يره برايس من قبل.

ابتسمت له جينا ابتسامة عبرت من خلال جميع الحواجز التي عاش حياته خلفها منذ كان صغيراً. بدا له كأن كل الحواجز قد اختفت. قالت له بهدوء: «حان الآن دورك. هل حملت الطفلة بشكل جيّد؟».

منذ ولادة سامانثا، وخلال كل الزيارات التي قام بها برايس لترافيس وجولي لم يحمل الطفلة ولو مرة واحدة من قبل. لقد أحبّها وأعجب بها جداً، أغرقها بالهدايا، وربت على رأسها مبدياً محبته، لكنه تفادى حملها بذكاء. ولم يصر أي من جولي وترافيس عليه لفعل ذلك. لكن في هذه اللحظة، شعر برايس أنه علق في الفخ. انزلقت يدا جينا تحت يديه، وبعناية فائقة نقلت

سامانثا من يديها إلى يديه فأصبحت ابنة ترافيس بين ذراعيه. أحسّ بها أضخم وأقوى مما يعتقد، وهي تتلوّى بين يديه مجبرة إيّاه على إحكام قبضتيه حولها خشية أن تقع. تغضّنت تعابير وجه الطفلة على الفور، وابتدأت بالبكاء محققة أسوأ مخاوف برايس.

حاول جهده التركيز على ما يقوله رجل الدين. ردّد خلفه الكلمات التي تدرّب عليها بعناية هذا الصباح في الطائرة، غير أن سامانثا بدأت في هذا الوقت بالصراخ. أصبح وجهها أحمر من شدّة البكاء وهي تنظر إليه، وقد بللته الدموع، وراح فمها يرتجف بشكل يثير الشفقة. فكر برايس أنه قادر على إخضاع مجلس إدارة كامل، وإجباره على الاستماع إليه، كما أن باستطاعته حل أكثر المشاكل صعوبة بشكل خلاّق وذكي، غير أن هذه الطفلة التي لا تزن أكثر من عشرة باوندات بدت أكبر من قدرته على المعالجة.

عبر ترافيس من أمام جولي وأتى إلى برايس منقذاً إياه: «أعطني إيّاها، سآخذها أنا.. هيا سامانثا.. لقد شارفنا على الانتهاء».

وكأنما بسحر ساحر توقفت سامانثا عن البكاء، وابتسمت لوالدها ابتسامة ملائكية، وسرت موجة من الضحك بين الحضور. انتهت مراسم العمادة، فأخرج برايس تنهيدة ارتياح وهو يعيث ببياقته. اجتمع تشارلز، كورين وليونورا حول الطفلة متحدثين إليها بتودّد وحب. ونسي برايس لحظتها غضبه تجاه جينا فتوجه إليها بالحديث قائلاً: «الحمد لله على انتهاء كل شيء».

أجابته ببرامة: «إنها البداية فقط. لقد تعهدت الآن مساندتها والعمل على راحتها طوال أيام حياتها».

عبثت أصابعه بشعره وقال: «مجرّد التفكير بهذا الموضوع يجعلني أرتجف. أتعتقدين أن تشارلز سوف يقدم ضيافة ذات تأثير أقوى من الشاي؟».

- إن لم يفعل فأنا واثقة من قدرتك على الحصول على شيء ما بنفسك.

بدت جينا سعيدة وخالية من الهموم، ولمعت أسنانها لؤلؤية بيضاء عندما ضحكت. منذ متى لم يشعر برايس بالانجذاب قوي تجاه امرأة؟

أدرك الجواب فوراً بعبوس واضح. لقد شعر بهذا الانجذاب منذ اثني عشر

www.rewayti.net

عاماً. كان قد دفن تلك الذكرى مع أشياء أخرى كثيرة. اهتز في ذلك الوقت من أعماقه لدى إدراكه أن تلك الفتاة بين ذراعيه هي عذراء. واستفد كلّ ذرّة من التصميم والسيطرة على الذات ليتمكن من الابتعاد عنها. حصل هذا، بالطبع، قبل إدراكه أن الفتاة هي في السابعة عشرة من عمرها.

منذ تلك الليلة، هل استطاعت أي امرأة أن تثير مشاعره كما فعلت هي؟ لربما لم يكن ذلك التغيير الجذري الذي قام به في أسلوب حياته بعد عدّة أشهر من لقائه جينا محض صدفة.

استاء برايس من الاتجاه الذي أخذت أفكاره تقوده إليه، وفي الوقت نفسه راقب تعابير وجهها وهي تتغير بقوّة فيما سألته: «ما بالك يا برايس؟».

قبل أن يستطيع الإجابة عن سؤالها، قدم تشارلز إليهما. ربّت على ذراع ابنته وهو يقول بصوت أجش: «إنها مناسبة جميلة. أنا سعيد لتمكنك من حضورها يا جينيا».

اختفت من وجه جينا كلّ آثار الضحك، وأجابت بجمود: «أنا مستعدة لفعل الكثير من أجل سامانثا».

- كورين وأنا نأمل أن تمضي هذه الليلة هنا. إنها زيارتك الأولى إلى ماناتوك منذ عدّة سنوات، لذا يجب ألاّ تغادري بسرعة.

أجابته بصوت خالٍ من أي ندم: «أنا مضطرة إلى العودة في هذه الليلة. لسوء الحظ، فالفنانون لا يجلسون وينتظرون هبوط الوحي عليهم. هم مضطرون إلى العمل من أجل لقمة عيشهم».

علق تشارلز: «بالفعل هم مضطرون إلى العمل. نحن نأمل أن ترسلي لنا بطاقة دعوة لحضور حفل الافتتاح، فأنا متشوق لرؤية إنجازاتك الفنية».

أجابته بنبرة هشّة: «سوف أكلّم مالكي الصالة».

- حسناً جداً. الآن سأتركك لتتكلمي مع والدتك.

غادر تشارلز بطريقة سمحت له بإلقاء ابتسامة مبهمة تجاه ليونورا، من دون أن يضطر إلى محادثتها. كتم برايس استمتاعه بما يدور حوله. هذا الاجتماع بدا مفخخاً بكوارث قد تنفجر في أي لحظة. فهناك زوجة كان الجميع يعتقدون

أنها ماتت، وزوجة أخرى لم تدرِ بوجود الأولى، وزوج كذب طوال حياته للخروج من تلك الفوضى مبعداً نفسه عن إثنين من أولاده الثلاثة... لم يغير برايس مكانه بل بقي في مكان يسمح له بمراقبة جينا وأمها.

بدت ليونورا أنيقة وواثقة من نفسها في بذلتها الحريرية المولفة من بنطلون وسترة، لكن برايس استطاع رؤية توترها. قالت: «مرحباً جينيا! أنا سعيدة لرؤيتك، كما أنني مسرورة جداً لكونك عرّابة سامانثا. إنها طفلة رائعة، أليس كذلك؟».

أحاطت خطوط من التوتر بفم جينا، لكنّها أجابت بتهذيب: «أنا لست متأكدة من موافقة برايس على رأيك».

علّق برايس قائلاً: «خفت أن أسقطها من يدي، خصوصاً عندما ابتدأت بالصراخ».

ضحكت ليونورا: «سامانثا تملك رئتين ممتازتين. هل أنتما باقيان لفترة طويلة؟».

أجاب برايس: «لست واثقاً بعد».

وأجابتها جينا: «كلا».

نظرت ليونورا إلى ابنتها بشكل مباشر وقالت: «إذا سمحت، أتمنى أن أحضر إلى افتتاح معرضك في شهر تموز».

أجابتها جينا: «هناك مسافة طويلة ستضطرين إلى قطعها للوصول».

- هنالك خط سريع ذو اتجاهين بين بوسطن ونيويورك.

- إذاً سوف أعمل على إرسال دعوة لك.

- شكراً لك. والآن أرجو أن تعذراني. أريد أن أهنيء كورين على ورودها الرائعة.

غادرت ليونورا بلباقة وأناقة، ورأسها مرفوع عالياً. قال برايس بحزم: «أهنئك يا جينا على طريقتك في إهانة الآخرين من دون أن تضطري لتكوني فظة. لقد فعلتها بالشكل الصحيح».

نظرت جينا حولها، فوجدت أنها وبرايس معزولان عن بقية الضيوف،

www.rewayti.net

الذين أخذوا في تلك اللحظة بالانحدار متجهين إلى الخيمة المزينة حيث ينتظرهم الغداء. قالت له بنعومة: «ربما تستطيع إذاً تعلّم شيء مني، بما أن إهاناتك تتزاقد دائماً مع أسلوبك الفظ».

– أنا لم أتعرف بليونورا منذ مدّة طويلة، وبالرغم من هذا أنا قادر على إخبارك شيئاً واحداً: ليونورا هي سيّدة رائعة.

– أنا لم أقل يوماً إنها غير ذلك!

– إنها أمّك، بحق السماء! قد تتحدثين مع خادمتك بطريقة أكثر دفئاً مما تحدثت معها.

– ليس لدي خادمة، فأنا غير قادرة على الدفع لواحدة.

– كفاك من هذا الكلام! شارلز من أغنى رجال هذه الولاية.

– حالتي المادية هي شأن خاص لا دخل لك به.

قالت جينا هذا، واستدارت على عقبيها رامية كلماتها من فوق كتفها وهي متجهة نحو الخيمة: «دعني وشأني يا برايس! سوف أقوم بواجباتي تجاه سامانثا، وأنت قم بواجباتك. مجرّد كوننا عرّابيها لا يعني أننا مضطران إلى الإعجاب ببعضنا».

أخذ بعض الضيوف ينظرون إليهما بسبب صوتها العالي الذي أثار فضولهم. بقي برايس واقفاً مكانه، فهو مستعد للانتظار. بعد انتهاء الغداء، معظم الضيوف سيغادرون متوجهين إلى البر الرئيسي، وسيعمل كي لا تكون جينا من بينهم، وعندها سوف يقوم بمواجهتها بكل الأمور التي عصفت بداخله كإعصار في المحيط.

لن تكون المواجهة بسبب المال أو بسبب ليونورا، رغم انزعاجه من معاملة جينا السيئة لوالدتها، وليس أيضاً بسبب بعدها العاطفي عن والدها. سبب المواجهة هو تلميذة في كليّة الفنون، كذبت عليه منذ اثني عشر عاماً... كذبت عليه بشأن عمرها وهويتها الحقيقيين.

كذب، استطاعت هي، ورغم كلّ خبرته مع النساء، أن تجعله يصدقه.

٥ . المواجهة

قُدِّم الغداء في الحديقة المرقطة بأشعة الشمس العابرة من بين الأشجار. قام نادلون يرتدون سترات بيضاء بخدمة الضيوف، مبتسمين بترحيب.

بدت جينا مستمتعة، وهي تتبادل الأحاديث بخفة وسحر مع أشخاص لم ترهم من قبل، وهي على الأرجح لن تقابلهم ثانية، إلا أنها شعرت بالانزعاج في أعماقها وبأنها غير قادرة على تسلية نفسها. لاحظت لحظة جلوسها أن برايس قد تمركز في أبعد مكان عنها. وأظهرت تعابيره أنه مستمتع جداً بوقته.

يجب عليها المغادرة لحظة انتهاء الغداء. شعرت بخوف شديد من أن يكتشف برايس، إذا لم يكن قد اكتشف فعلاً، هويتها المزدوجة.

فيما شارف حفل الغداء على نهايته، اقتربت منها جولي قائلة بهمس: «عند مغادرة الجموع، سوف نتوجه إلى حوض السباحة وبركة المياه الساخنة».

أجابت جينا: «أنا مضطرة إلى العودة إلى منزلي».

أجابتها جولي واليأس بادٍ على وجهها لدرجة أشعرت جينا بالذنب: «كلا، لا يمكنك المغادرة! ليس الآن. متى ستقلع طائرتك؟».

– حسناً! ليس قبل الثامنة والنصف، لكن...

– إذاً لديك متسع من الوقت. أرجوك، إبقي معنا قليلاً يا جينا. أنت لم تتعرفي بعد إلى والدي، أليس كذلك؟ كما أننا، أنا وأنتِ، لم نجلس معاً لفترة طويلة. كما تعرفين ستتوجه أنا وترافيس إلى المكسيك بعد حوالى الشهرين.

ترافيس كان يعمل مستشاراً في أكثر من مستشفى استوائي، فيما عملت جولي معالجة فيزيائية في بلدان كثيرة.

تابعت جولي تقول: «سوف تبقين معنا. أليس كذلك، جينيسا؟».

www.rewayti.net

الخيار الوحيد المقابل لليقاء هو الجلوس في مطار بورتلاند لقراءة الجريدة. أجابت جينا على مضض: «حسناً! سأبقى».

تمتعت جينا بالسباحة في البركة بمفردها، فترافيس وجولي ذهبا لإطعام سامانثا وتبديل حفاظاتها، لذلك مارست هوايتها المفضلة وسبحت. بعد قيامها بعشر دورات، شعرت أنها بالغت في ردّة فعلها تجاه برايس وفي خوفها من أن يتعرف عليها. تنفست بارتياح، وأخذت تسبح بهدوء. سوف تغادر المنزل حوالى الساعة الخامسة والنصف.

وكأنما جينا نادته بخواطرها، شعرت بسابح آخر يشق وجه المياه معها... رجل التصق شعره الأشقر برأسه.

ابتدأ برايس بالسباحة في موازاتها، تاركاً خطاً من الفقاقيع على المياه الفيروزية فيما راحت بداه تضربان الماء بقوة ويسر. زادت جينا من سرعتها، فأسرع برايس أيضاً. وصلت إلى حافة الحوض واستدارت عائدة، وبغضب شديد لاحظت أنه قام بالاستدارة ذاتها. زادت من سرعتها مجدداً ولا رغبة لديها سوى تركه خلفها، لكنه سبقها تدريجياً، وكلّ ما استطاعت رؤيته هو الزبد الذي أثارته ضرباته على وجه الماء أمامها.

لم تكن جينا من النوع الذي يستسلم بسهولة. قوّت ضرباتها، مبرزة أفضل ما لديها. غمرها شعور بالرضا عندما رأت المسافة بينها وبين برايس تتقلص. ولكن عندما وصلت إلى موازاته، نظر إليها عابساً ودفع نفسه مبتعداً إلى الأمام.

ابتدأت تشعر بصعوبة في تنفسها، كما أخذت رجلاها وكتفاها يؤلمانها. كلّ السلام الداخلي الذي شعرت به من قبل تبخر أمام الغضب الذي غمرها، وراحت تضرب وجه الماء، شاقة طريقها إلى حافة المسبح. صعدت على السلّم، غير أن وجود متفرجين لمباراتها وبرايس لم يسهم في تحسين مزاجها. وجدت تشارلز، كورين، ليونورا وشخصين آخرين رجحت أنهما والدا جولي. ناداها تشارلز قائلاً: «محاولة جيّدة».

فضّلت جينا لو أن أحداً لم يشهد هذا العرض الطفولي، لكنها رغم ذلك

اصطنعت ابتسامة، وسارت باتجاه لوح الغطس حيث قامت بغطسة مستقيمة رائعة. عندما ظهرت من تحت الماء وجدت نفسها وجهاً لوجه مع برايس. قال لها بعبوس: «عند السباحة ابدأي لفّتك وأنت أقرب من الحائط، بهذا تكسبين المزيد من الدفع».

أجابته ببرود: «عندما أشعر أنني بحاجة إلى نصيحة منك، سوف أسألك إعطائي إيّاها».

- يا لك من خاسرة لا تتمتع بروح رياضية!

- أيجب أن تكون أنت الفائز دائماً يا برايس؟

أزاح عن عينيه شعره الرطب وقال: «أنت أمهر متّي في الغطس».

- أنت تبالغ بكرمك تجاهي.

قال بنعومة: «لا تستفزي حظّك يا جان».

رمشت جفونها قائلة: «أنت تقصد جين، فهذا ما يناديني به ترافيس».

- بل قصدت جان.

- إذاً أنا لا أملك فكرة عمّا تتحدث.

- لا تقولي لي إنك خلال الفترة الفاصلة بين لقاءينا عرفت الكثير من الرجال، ما جعلك تنسين لقاء فندق في مانهاتن منذ اثني عشر عاماً؟

هبطت جولي في الماء قربهما محدثة رذاذاً قوياً من الماء، وصرخت منادية ترافيس و برانت: «آخر من ينزل إلى الماء هو بيضة نتنة».

رمى ترافيس طابة كبيرة حمراء إلى الماء وغاص خلفها. عندما خرج إلى سطح الماء قال: «لنلعب كرة الماء. كنّا أنا وبرايس في فريق المدرسة».

لم تمانع جينا أن تلعب كرة الماء فبهذه الطريقة يمكنها أن تهرب من برايس إلى كلّ نواحي الحوض. امتازت لعبتهم المشاكسة بقوانينها المطاطية، وبلع كميات كبيرة من المياه، على الأقل من ناحية جينا، فقد انشغل عقلها أمور كثيرة ليس من بينها لعبة البولو.

لقد أدرك برايس هويتها الحقيقية. استطاع أن يجد الجامع بين شقيقة ترافيس وتلميذة الفنون الغريبة الأطوار التي ذهبت معه إلى جناحه في الفندق.

www.rewity.com/vb
RASHEEN

www.rewayti.net

اعتراها قلق متفجر أبطأ حركتها، فبدت خرقاء طائشة.

شاركهم تشارلز في اللعب، مبدياً أفضل ما لديه من مهارات. ابتدأ تشارلز وترافيس بالتنافس على الطابة في آخر الحوض وهما يضحكان من أعماق قلبيهما، وشعرت جينا كأن سكيناً غُرز في صدرها، عندما رأت بأم العين الصلة والوئام اللذين نشآ بين الأب وابنه. ترافيس كان قد أخبرها بهذا التطوّر الحاصل في العلاقة بينه وتشارلز، لكنها لم تتخيّل أنه وصل إلى هذا الحد.

شعرت بالألم في داخلها، عندما أدركت وهي تشق طريقها في الماء، أنها في حقيقة الأمر تريد مثل هذه العلاقة مع والدها، لكنها لم تدرك كيفية الوصول إلى ما أرادته. فكلّ مرة تحاول فيها أو تفكر في التقرب من والدها، يندفع الماضي الأليم واقفاً بينهما كحائط قاتم لا يمكن إزاحته.

لربما كان الخطأ خطأها منذ بداية الأمر. لربما كان سبب عدم وقوعها في غرام أحد، لا يعود إلى برايس ونبذه إيّاها، بل يعود إلى نقص في داخلها... نقص في مشاعرها وفي قدرتها على الحب، وهذا بالضبط هو سبب ذلك الفشل الداخلي الذي منعها من التواصل مع والدها أو مع أيّ رجل آخر. سألها برايس بحدة، قاطعاً أفكارها: «هل أنت بخير يا جينيسا؟».

نظرت إليه كأنها لم تره من قبل في حياتها. بدت عيناها الزرقاوان بركتين من الألم. أمسكها برايس من كتفيها سائلاً إيّاها: «ما خطبك؟ أتعانين من تشنج عضلي؟».

همست، متمسكة بالعذر الذي قدّمه لها: «أجل... إنه تشنج. سوف أخرج من الماء لبضع دقائق. من الأفضل أن تذهب أنت، فدورك في اللعب قد حان عند الطرف الآخر من البركة».

صعدت السلم، والتقطت منشفة مسحت بها وجهها وشعرها، ثم أسرعت باتجاه غرف تبديل الملابس. في طريقها نادتها كورين وعرفتها على والدي جولي الواقفين إلى جانبها، فيما وقفت ليونورا إلى الجانب الآخر. حاولت جينا جهدها استجماع قواها والقيام بدورها في الحديث، وعندما شعرت أنها تستطيع الانصراف بتهليب، استأذنت وهربت.

بدّلت ملابسها بسرعة، وارتدت بنطلوناً ضيّقاً كاكي اللون، وقميصاً حريرية وصدرية مطرّزة. عصرت شعرها وضمته في ضفيرة، فأصبحت مستعدة للمغادرة، رغم أن الساعة لم تتجاوز الرابعة بعد، لكن لم يكن هناك من سبب يمنعها من المغادرة.

لقد أدرك برايس هويتها الحقيقية، ومن خلال معرفتها لطباعه، أدركت أنه يسعى وراء مشكلة بينهما. إلا أنها ليست مجبرة على الخضوع لرغباته. وضعت جينا قدميها في حذائها، وتركت ثوب السباحة الرطب معلقاً على الكرسي ثم فتحت الباب لتغادر. كان برايس واقفاً أمام الباب مرتدياً بنطلوناً من الجينز وقميصاً قطنية، ولا يبعد عنها أكثر من عشرة أقدام.

بادرها قائلاً: «كنت بانتظارك».

– أنا مضطرة للذهاب لتوديع الحضور، وبعدئذٍ سوف أغادر.

– لن تغادري قبل أن نتكلم.

قال ذلك، ووضع ذراعه حول خصرها رافعاً إيّاها تقريباً فوق أرض الردهة المكسّوة بالسيراميك. أخرجها بسرعة من المنطقة المجاورة لبركة السباحة، فهمست جينا بغضب: «ضعني على الأرض. من تظن نفسك؟ سوبرمان؟».

أجابها بشكل فظ: «أنا رجل يسعى وراء بعض الأجوبة، ويريد الحصول عليها خلال الدقائق الخمس القادمة».

– أتعرف ما هي مشكلتك يا برايس؟ أنت معتاد على الحصول على مبتغاك دائماً، وبطريقتك الخاصة.

ابتسم لها مكشراً بضراوة: «وهل يجب علي عدم القيام بذلك؟».

كان يحثّها على السير بشكل تدريجي باتجاه القصر. سألته جينا مهتاجة: «أأنت تخطط لاحتجازي هنا؟ كم سيكون هذا عملاً ميلودرامياً!».

زمجر مجيباً: «كم سأستمتع باحتجازك!».

قال ذلك، ثم أحنى رأسه، ولف ذراعه حول كتفيها وعانقها بمزيج رائع من الغضب والشغف.

www.rewayti.net

أدركت جينا أنه يجب عليها مقاومة برايس، لكن كيف يمكنها المقاومة، وهي تبادله وتوازيه بقوة الغضب والشغف؟ بحرارة ملتهبة وتهوّر شديد، بادلته جينا العناق، مستديرة بين ذراعيه ليصبح جسدها ملتصقاً بجسده.

أفلتها برايس مصدراً صوتاً يحمل مزيجاً من الإحباط والغضب. جرّها إلى منطقة ظللتها شجيرات الليلك الطويلة التي عانقت الحيطان الحجرية، ثم قال لها عابساً: «الآن، وفي هذه اللحظة، ستعترفين بكل ما لديك».

انفجرت في وجهه قائلة: «كلا، لن أقوم بذلك! وأنت سوف تصغي إلي هذه المرّة. أنا لن أتحدث عنك وعني بل عن ليونورا. أنا أعلم أنها أمي، وأعلم أيضاً أنني لا أنتمي منها، لكن هناك سبب لقيامي بذلك يا برايس لاربي... سبب جيّد. وقبل أن تقوم بإطلاق أحكامك عليّ سوف تسمع وجهة نظري».

- أنا لست...

- أخبرني ترافيس ذات مَرّة عن أولى ذكرياته عن ليونورا... عن رؤيته لها وهي تملأ الإناء النحاسي بزهور الليلك البنفسجية، المماثلة لهذه المحيطة بنا. أخبرني أيضاً أن شعرها يشبه الموج الأسود للبحر أيام الشتاء. أقادر أنت على استيعاب ما أقوله؟ ترافيس حصل على أم، وكان قادراً على تذكّرها... لقد حمله وروت له القصص... لكن أنا لم أعرفها يوماً، تركتنا وأنا لا أزال طفلة صغيرة، وهذا يشبه عدم حصولي على أم إطلاقاً. والآن، الجميع يتوقع مني أن أفتح ذراعي مستقبلة إياها، فأناديها أمي وأتصرف معها كابنة عادية... أنا غير قادرة على فعل ذلك! إنها غريبة بالنسبة إلي.

أجابها برايس بصوتٍ صلب كحائط الحجر المنقوش وراءه: «أي شخص نلتقيه، تبدأ علاقتنا به كغريب».

- طوال حياتي، أخبروني أن أمي ماتت!

- أجل! كذب عليك والدك بهذا الشأن، وهذا الأمر فظيع جداً. لكنه الآن يحاول جهده أن يعقد الصلح معك ويعيد أواصر العلاقة... كذلك ليونورا، هي مستميتة ومستعدة لفعل أي شيء من أجل إقامة علاقة معك.

اختفى الغضب من صوته فيما أكمل قائلاً: «حاذري يا جينا مما تفعلينه!

لا تستبدلي حياتك الواقعية بالرسم والفن! ذلك الأمر لن يودي بك إلا إلى طريق مسدود».

أصابت كلماته جينا في صميم أعماقها. حدّقت فيه بذهول. ألم تمضِ معظم سني حياتها وهي ترسم؟ أعادت خلال السنين رسم المواضيع نفسها مراراً وتكراراً، غير قادرة على إيجاد مواضيع جديدة، غير قادرة في الوقت نفسه على التوقف عن الرسم يوماً تلو الآخر... بحركة مسرحية لا إرادية أغلقت أذنيها بيديها قائلة: «أنا لا أعلم عمّا تتكلم!».

- أظن أنك تعلمين!

رأت جينا في عيني برايس الرماديتين، ولأول مرة، شيئاً يشبه التعاطف معها حين أكمل: «في الواقع، أنا واثق من أنك تعلمين عما أتكلم».

فكرة أن برايس يعرفها أكثر مما تعرف هي حقيقتها زادت من حنقها فقالت: «برايس، أظن أنك لم تجرني إلى هنا لتتناقش في الفن».

- لم أجرك إلى هنا لتتكلم عن موضوع أمك أيضاً. لِمَ كذبت علي تلك المدّة الطويلة؟

سأله بتحريض متعمد: «أي كذبة تقصد؟».

- كذبك بشأن اسمك، عمرك، خبرتك في العلاقات العاطفية، علاقتك بترافيس الذي يصادف أنه صديقي المقرّب... اختاري أي كذبة تريدين.

- لو أنني أخبرتك أنني في السابعة عشرة من عمري لما أوليتني أي اهتمام، كذلك الأمر لو أنني أخبرتك بأنني عذراء.

- ولِمَ اخترتني أنا يا جينسا؟

- جولي بلغت الحادية والثلاثين من عمرها، وهي مغرمة إلى حدّ الجنون بأخي، ومع ذلك ما تزال تعتبرك جذاباً. فلِمَ لا أفكر أنا، وأنا مراهقة في السابعة عشرة وغير مغرمة بأحد، بأنك رجل جذاب؟

قالت جينا ذلك، ثم هزّت كتفيها استهجاناً، وأكملت: «أنت رجل جذاب جداً، وأنا مستعدة لمراهنتك على منزلي الصغير بأنني لست أوّل امرأة تقول لك ذلك!».

www.rewayti.net

أجابها بصوت هادىء وصلب: «دعينا نتجاوز الغزل وأخبريني. كنت تعرفين علاقتي برافيس، ومع ذلك ذهبت معي إلى جناحي في الفندق، ما الذي أردته وحاولت فعله؟ أكنت تحاولين تصفية حسابات معينة معه؟».

صرخت بألم: «كلا!».

- كلا؟ ما سيكون شعوره، برأيك، إذا ما عرف يوماً بشأن تلك الليلة؟ إذا عرف أنني أخذت شقيقته الصغرى ذات السبعة عشر عاماً إلى جناحي في الفندق؟

علا صوت برايس، فقالت جينا بغضب: «لِمَ لا تذهب وتقف على رأس أقرب برج صارخاً بذلك؟ في ذلك الوقت، أحسست بالحنين إلى منزلي، وأنت جسّدت لي الصلة به وبأخي الأكبر الذي أحبه كثيراً. حسناً! ربما لم أفكر بشكل صائب، أعترف بذلك، لكنك أنت أيضاً بذلت ما بوسعك لإغوائي. هل تحاول إنكار هذه الحقيقة؟».

أجابها بفظاظة: «لقد استغليتني!».

لم تشعر جينا أنها مستعدة للاعتراف بأنه الرجل الأول والوحيد الذي أثار تلك المشاعر في داخلها. هذا الأمر أيضاً هو سر، وسيبقى كذلك. أجابته ببرود: «أنت أيضاً لم تكن مغرماً بي، ما يعني أنك استغليتني أيضاً».

- كنت أنا الرجل الأول، لكنني واثق من أنني لست الأخير!

أجابته مراوغة: «أنا لست مهتمة بتاريخك العاطفي، فما الداعي لأن تهتم أنت بتاريخي؟».

- لا أحب أن يخدعني أحد، ولا أن يجعلني مغفلاً.

صرخت مجيبة: «كنت في السابعة عشرة من عمري، ومسؤولة عن نفسي للمرة الأولى في حياتي، وأعيش في إحدى أكبر مدن العالم. لقد ارتكبت غلطة... أهي نهاية العالم؟».

أجابها، وعيناه الرماديتان تخترقانها كمخرز: «باستطاعتنا أن نكمل من حيث توقفنا يومها. أظهرت لي تلك المعانقة أن السحر لا يزال موجوداً بيننا، أنت لست مضطرة للمغادرة قبل ساعة من الآن».

رغم البؤس الذي غمرها، سمعت جينا أصوات وضحكات أفراد العائلة وهم يغادرون بركة السباحة ويتوجهون نحو القصر. لوّح لها ترافيس وقال شيئاً لم تتمكن من سماعه. شعرت ببعض الارتياح وهي تقول له: «أنا لن أقيم علاقة معك حتى لو كنت آخر رجل في ماساتشوستس. وسوف أبذل قصارى جهدي كي لا أقابلك مرة ثانية».

أدركت أن برايس لن يجرؤ على إيقافها تحت أنظار أخيها وأبيها وأمها، فسارت مبتعدة عنه وهي تحبس الدموع في عينيها. تلك الدموع التي منعتها كبرياؤها من ذرفها.

www.rewayti.net

٦ - صدفة واعترافات

وقف برايس في احد الشوارع الفقيرة في بوسطن. هذه الشوارع التي هرب منها وهو في الثانية عشرة من عمره، ولم يجازف بالعودة إليها إلاّ منذ عام أو اثنين على الأكثر.

سبب مجيئه إلى هنا هو موعده مع مديرة الملجأ المبني حديثاً للنساء للبحث في المشروع الذي وظّف فيه أمواله منذ حوالى الشهرين. تساءل في سره، أتراه حاد عن مساره عندما قرّر أن يبني مدرسة خاصة للأولاد الذين يجوبون هذه الشوارع، وأن يوفر لهم من خلال توفير الثقافة اللازمة، الفرصة التي حصل عليها هو، في إيجاد حياة مختلفة؟

مسح العرق المتجمع على جبينه، فيما تحقق من الرقم الموجود على مبنى حجري غير مميّز، محشور بين مبنيين آخرين. بعد حوالى الساعة، ابتدأ برايس بهبوط الطوابق الأربعة على السلم الخشبي المؤدي إلى الشارع، ورأسه قد امتلأ بالمعلومات حول الأمكنة المناسبة لبناء المدرسة والإجراءات الأمنية المطلوبة. لم يكن هناك مصعد في المبنى أو أي وسيلة من وسائل الرفاهية، لكنه بقي ملجأ رغم ذلك كله.

كان برايس قد أصبح في الطابق الثاني، عندما فتح باب مطلي حديثاً على مصراعيه. سمع صوتاً نسائياً مألوفاً يقول: «شكراً يا مادلين. سوف أراك في الأسبوع القادم، وسأتذكر أن أجلب لك الشامبو».

جمد برايس في مكانه، كأنه التصق ببلاط الأرض. باستطاعته تمييز ذلك الصوت في أي مكان... لكن ذلك ليس معقولاً... ليس في هذا المكان!

خرجت صاحبة ذلك الصوت من الباب المشرّع، وأغلقته بعناية خلفها.

خصلات شعرها الشقراء المجعدة اجتمعت في ضفيرة سميكة، أمّا سترتها وبنطولها الجينز فبدوا عاديين جداً.

قال برايس بدهشة: «جينيسا!».

استدارت على عقبيها فاغرة فاها: «برايس!».

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- باستطاعتي أن أوجه لك السؤال نفسه.

- أأنت مغادرة الآن؟

- أجل، أنا مغادرة.

- جيّد، فلننزل معاً إلى الأسفل.

خرجا جنباً إلى جنب إلى أشعة الشمس الساطعة في الخارج. قال برايس: «تركت سيارتي على بعد ست شوارع من هنا. أنا لا أركنها أبداً هنا، لأن ذلك يشبه البحث عن المشاكل. دعيني آخذك بسيارتي إلى حيث أنت ذاهبة».

- أنا ذاهبة إلى محطة قطار الأنفاق على بعد شارعين من هنا. وبعدئذٍ سوف أستقل الحافلة للذهاب إلى منزلي. في كلّ الأحوال، شكراً لك يا برايس على عرضك.

لم تعجب برايس فكرة أن تسير جينا في هذه الشوارع من دون حماية، وأزعجته أكثر فكرة مغادرتها في قطار الأنفاق. قال لها بصدق ولباقة: «تبدين مرهقة جداً، وسوف آخذك بسيارتي إلى محطة الحافلات».

كانت جينا فعلاً متعبة. وتشعر بالحر وباليأس من سماع القصص نفسها من نساء مختلفات أسبوعاً بعد أسبوع. سألته: «هل سيارتك مكيّفة؟ ذلك فقط قادر على إقناعي بالفكرة».

- أجل، إنها كذلك. تعالي.. فلنذهب.

أمسكها من معصمها، وقادها عبر الشارع: «ما الذي تفعلينه في الملجأ؟».

- أنا متطوعة. أذهب إلى هناك مرة في الأسبوع.

كانت قد طوت كمي قميصها، فشعر بإحساس جميل عند لمس بشرتها. رغم ذلك، قام عقله بتحليل فوري، وقال: «تلك اللوحات التي شاهدتها في

www.rewayti.net

مرسمك... الآن عرفت كيف استطعت رسم هذه الشوارع بصدق».

- لا أحد يعلم أنني أذهب إلى هناك، لهذا السبب لم أخبرك بالحقيقة.

الصراع الدائر في داخلها بدا واضحاً على وجهها. فقال برايس باندفاع: «لِمَ تقومين بفعل هذا؟».

عضّت جينا على شفتها وقالت: «طوال فترة طفولتي، لم يرغب بي تشارلز، ولم يقبلني كما أنا. ومع أن كورين لم تسيء معاملتي يوماً، إلا أنها لم تبدِ أي عاطفة جياشة أيضاً. أما والدتي فلم يذكرها أحد، وكأنها لم تكن يوماً موجودة. لهذا أنا اليوم أعمل كمتطوعة في ملجأ النساء المتشردات... النساء اللواتي لا يملكن منزلاً حقيقياً. أعلم أن كلامي لا يحتوي على الكثير من المنطق».

توقف برايس عن السير، وأخذ يتأمل في عينيها الزرقاوين، ثم قال بلطف: «كلامك فيه الكثير من المنطق. أنت تقومين بعمل جيّد يا جينيسا».

- إنه ليس بالكثير.

- لا أحد يقدر على إنقاذ العالم كلّه، لكن إذا حاول كلّ منّا القيام بحصّته فسوف يتحقق شيء ما.

- إذاً، ما الذي تفعله أنت في هذا المكان؟

أجابها باختصار، شارحاً لها بعضاً من خططه حول بناء المدرسة: «كيم، مديرة الملجأ تملك خبرة كبيرة في هذا الحي. لهذا حاولت الاستفادة من خبراتها هذه».

- المدرسة الخاصة فكرة رائعة جداً.

قالت جينا هذا بحرارة صادقة. ثم أضافت بسذاجة: «لا بدّ أنك تملك الكثير من المال».

- أملك ما يكفي.

- هل حصلت على ثروتك من عملك في الكومبيوتر؟

- ألم يخبرك ترافيس أبداً قصتي؟

هزّ برايس رأسه وتابع قائلاً: «في المدرسة التي ذهبت إليها وأنا في الحادية

عشرة من عمري، كان هناك أستاذ رياضيات ذكي وغريب الأطوار. جلب لي هذا الأستاذ جهاز كومبيوتر، دفع ثمنه من جيبه. كما دبّر لي المنحة الدراسية لارتياد مدرسة ترافيس لأنهم يملكون قسماً مبتكراً لتدريس الكومبيوتر. ابتكرت بعض المفاهيم لبرمجة الكومبيوتر قبل بلوغي التاسعة عشرة، وخلال السنوات الخمس اللاحقة أصبح لدي مصنعي الخاص».

هزّ برايس كتفيه بلا مبالاة وتابع يقول: «إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة نظر مالية، أنا لست بحاجة إلى أن أعمل، لكنني أملك هذه الموهبة في حل المشاكل، كما أنني أحب السفر».

قالت جينا على مهل: «إذاً أنت تأمل أن تقدم مدرستك إلى هؤلاء الأطفال ما تقدمه لك أستاذك، فتوفر لهم الوسيلة للخروج من هنا. أليس كذلك؟».

ألقت جينا نظرة خاطفة على واجهة زجاجية عريضة متسخة، ثم أضافت: «لقد انتقلت من الفقر إلى الثراء... أهذه هي المنطقة التي نشأت فيها؟».

أفلت برايس ذراعها، وسار بسرعة أكبر على الرصيف الذي انتشرت عليه الغايات: «نشأت في منطقة قريبة من هنا. في أيّ ساعة تنطلق حافلتك؟».

- ينطلق بعد ساعتين. اسمع! إذا كنت لا تريد الكلام عن طفولتك يا برايس، باستطاعتك قول هذا بصراحة.

- حسناً! لا أريد الكلام في هذا الموضوع.

خلال زياراتها الأسبوعية إلى الملجأ رأت جينا الكثير وسمعت الكثير، ما جعلها قادرة على تفهم مشاعر برايس. قالت له بتواضع: «لا بد أنك تعتقد أني سخيفة، وأنا أثرثر حول نشأتي».

توقف برايس في منتصف الرصيف، وقال: «لقد اختفت أمك، وبذل والدك جهده ليحولك إلى شخص آخر لا يشبه ما أنت عليه. أما كورين فهي مستعدة لقضاء وقتها في الاهتمام بحديقتها عوضاً عن الاهتمام بإنسانة حقيقية. لهذا كلّه، أنا لا أعتقد أنك سخيفة، وأنا آسف لأنني تحاملت عليك وتصرفت بقسوة حول موضوع ليونورا في حفل العمادة. لم يجدر بي فعل ذلك».

رأت جينا ناحية جديدة من برايس اليوم. رأت رجلاً يضع وقته وماله على

www.rewayti.net

الهك من أجل فتيان وفتيات لا يعرفهم، وقد لا يبالون بأمره على الإطلاق.

الاعجاب ببرايس هو آخر ما أرادت أن تشعر به. شعورها بالانجذاب إليه بدا لها سيئاً بشكل كافٍ، لذلك فإن إضافة الاحترام والاعجاب على مزيج مشاعرها لم يَبْدُ لها أمراً جيداً.

بعد دقائق وصلا إلى سيارته. وسرعان ما قادها برايس عبر شوارع تزينها الأشجار المورقة والنوافذ غير المحطمة. قال مقترحاً: «سوف أدعوك إلى الغداء. أعرف مكاناً صغيراً على بعد بضعة شوارع من هنا. بعدئذٍ سوف آخذك إلى المحطة».

المطعم الذي يقع عند أسفل درج سلم حديدي مزخرف، قدّم لهما أفضل أنواع الكالاماري والسلطة اليونانية التي تذوقتها جينا يوماً. جلست هي وبرايس في إحدى زوايا المطعم، وبينما أخذت رشفة من العصير المنعش، قال برايس: «كنت قد حزمت أمري لدى مغادرتي مانانوك على ألّا أقابلك ثانية».

التوت شفتاها مظهرتين عن ابتسامة: «انضم إلى فريقي!».

- وها نحن قد التقينا... أتؤمنين بالقدر؟

نظرت إليه بريبة، وسألته: «أهذا سؤال يحتمل أكثر من إجابة؟».

مدّ برايس يده وأمسك بأصابعها مداعباً إياها إلى درجة شعرت معها بالضعف. سألها: «ما الذي ستفعله بهذا الأمر؟ أنا وأنت منجذبان إلى بعضنا البعض، وأنت لم تعودي عذراء في السابعة عشرة من عمرها».

أجابته بقوة: «لن نفعل شيئاً».

- نحن الآن أكبر باثني عشر عاماً مما كنا وقتها يا جينا. في ما يخصني، أصبحت أكثر حكمة.

لسبب ما، لم تدرِ جينا حقيقته، شعرت برغبة في البكاء. وبحثت عن الكلمات المناسبة من دون أن تصرّح بأكثر مما تريد. قالت بحذر: «أنت لست من الصنف الذي يناسبني يا برايس. أنت قوي وساحر وجذاب إلى درجة تجعلني أشعر بضعف في ركبتي. أنا لا أريد علاقة عاطفية معك. سوف أتورط أكثر مما أريد، وعلى المدى الطويل لن تقدم لي سوى الأذى».

قال فجأة وبقوة: «لا تقولي إنك مغرمة بي!».

- كلا. بالطبع لا! لكن الذي يحدث بيننا عندما نتواجد في الغرفة نفسها لا يبدو عادياً لي.

أجابها بنبرة جامدة: «لهذا السبب أود التقرب منك. هذا الشعور ليس عادياً بالطبع، وبصراحة أنا مغتاظ».

أجابته بهفاء: «لاحظت هذا».

فجأة ابتسم لها ابتسامة مليئة بالقوة والسحر الذكوري لدرجة أجبرتها على مبادلته الابتسام، ثم قال: «أنا معجب بك. أحب طريقة تصرفك».

- أأنت فعلاً معجب بي يا برايس؟ أذلك بسبب رفضي لك وأنت مدرك أني أعنيه؟

لكنها لم تخبره الحقيقة الكاملة. ارتخى جفناها ليخفيا عينيها، ثم عبثت بقطعة اللحم المشوي في طبقها، وكأن ليس لديها أي شيء آخر يشغل بالها.

بعد برهة من الصمت، قال برايس: «كيف تجري أمور العمل معك؟».

- كلّ شيء يسير على ما يرام، أنهيت اللوحة الأخيرة للمعرض منذ ثلاثة أيام، لذلك جلبتها معي اليوم وأوصلتها إلى صالة العرض.

تحدثا لبضع دقائق عن تقنيات الرسم. وفاجأها برايس بمدى عمق معرفته لمظاهر الفن المعاصر وتقنياته. قال لها: «اتصلت بصالة العرض حيث سيقام معرضك، وملقتهم بالكلام المعسول فأعطوني دعوة لمعرضك. أرجو ألاّ تمانعي».

جمدت شوكتها في منتصف الطريق: «وما الذي سيحدث إذا ما فعلت؟».

- سوف أذهب بأي حال.

شعرت بحنقها يتزايد، فسألته: «لماذا تريد الحضور إلى معرض لوحاتي؟».

- لكي أرى أعمالك، بالطبع!

سألته بنبرة لاذعة: «إذاً أنت لن تذهب لترائي أنا».

- كلا بالطبع، أنت من رفض العلاقة بيننا، أتذكرين؟

شعرت جينا بغضب شديد، إلا أنها اخفت غضبها هذا لأنه غير مبرّر

www.rewayti.net

نهائياً: «كلانا قرّر ألاّ يرى الآخر نهائياً. فلِمَ لا نلتزم بذلك القرار؟».

- باستطاعتنا محاولة ذلك، لكن بعد انتهاء المعرض.

- أرغب في الخروج من هنا، والذهاب إلى منزلي!

قال بشكل سليط: «تريدين الذهاب إلى حيث لا تشارلز ولا كورين ولا ليونورا قادرين على إزعاجك».

- أضِف اسمك إلى تلك اللائحة.

أومأ برايس إلى النادل ليأتي، سألها بنبرة عادية: «ألست واثقة من أنك تتسرعي في قرارك في الابتعاد عني؟ ألست مهتمة ولو قليلاً بثروتي؟».

قاومت جينا الرغبة التي اعترتها بأن تقوم بقلب الطاولة وما عليها على حضنه، ثم أعلنت: «برايس! أنا الآن أعيش على شفير الإفلاس، لكن في العام القادم، وعندما أبلغ الثلاثين من عمري سأرث حصتي من ثروة جدي. لهذا، لا، أنا لست مهتمة بثروتك».

- لكن ثروتي أكبر بكثير مما سترثينه من جدّك.

أجابته: «ما هو مقدار ما يستطيع الإنسان صرفه؟ أنا مشغولة جداً بلوحاتي ولا أملك الوقت للذهاب إلى التسوق، بالإضافة إلى أنني لا أملك الرغبة في اقتناء الأشياء لمجرّد لذّة اقتنائها».

- هذا شيء إضافي مشترك بيننا. فأنا تخلّصت من مختلف أنواع الأشياء التي اقتنيتها منذ عدة سنوات. في فترة مضت، تقريباً في الفترة التي التقيتك بها لأول مرة، كنت أملك منازل في معظم الدول التي قد تخطر على بالك. كما امتلكت سيارات كثيرة وطائرة خاصة تنقلني من مكان إلى آخر. بعد تلك الفترة، فقدت كل شيء رونقه.

فكّرت جينا بألم، أن صراحة برايس هي أكثر ما يجذبها إليه.

تردّدت قليلاً ثم سألته: «مع من عشت عندما كنت في التاسعة أو العاشرة من عمرك؟ كيف كانت أحوالك وقتها؟».

أجابها برايس منهياً الموضوع: «لما أحببت التعرّف علي لو رأيتني وقتها. الآن يجب أن ننطلق، فرحة السير قد تكون خانقة. أجاهزة أنت للذهاب؟».

أغلق الحديث عن ماضيه معها وكأنه يصفع الباب بوجهها مانعاً إياها من الدخول. قالت له بشيء من اليأس: «أرجو منك ألّا تأتي لحضور معرضي».

كان برايس قد دفع كرسيه إلى الخلف ليستطيع الوقوف، فالتقط فاتورة الحساب وقال: «سوف ألاقيك قرب المكتب الأمامي».

أجابته بضراوة: «أوضحت لي بشكل كامل أن ماضيك هو خارج حدودي، فلِمَ لا تتقبل أن مستقبلي هو خارج حدودك؟».

- لأنني لا أريد ذلك.

دفعت جينا كرسيها إلى الوراء، وسارت إلى حيث غسلت يديها. طوال الطريق المؤدية إلى محطة الحافلات حافظت على صمت جليدي بينها وبين برايس. عندما توقف خارج المحطة، قالت بسرعة: «شكراً لك على الغداء والرحلة. إبقَ بعيداً عن معرضي يا برايس، لأن عدم رؤيتك إلى الأبد مناسبة تاماً لي».

أحاط بأصابعه معصمها، وقال: «لكن إلى الأبد هو وقت طويل جداً بالنسبة إلي».

قال ذلك ثم عانقها بقوة. فانبعثت الحياة في جسد جينا. وبدا لها الاستسلام لعناقه سهلاً لدرجة الألم. لكن بكل ما أوتيت من قوة، ابتعدت عنه وهرولت خارج السيارة صارخة: «أنا لا أريد أن أية علاقة معك».

كان الرصيف الجانبي مليئاً بالناس فضحك اثنان من المارة لدى سماعهم جينا، وحدّق فيها البعض الآخر ظناً إنها إحدى شخصيات المدينة الغريبي الأطوار. أما هي فصفقت باب سيارة الجاغوار وركضت إلى داخل المحطة.

www.rewayti.net

٧ . وظهرت الحقيقة

وصل أفراد عائلة جينا إلى صالة المعرض بفارق خمس دقائق بين الواحد والآخر، وكانت جينا في مؤخرة الصالة تتحدث مع اثنين من رجال الكونغرس. عرضت لوحاتها بشكل يظهرها بأفضل حال، كما أن عدد اللوحات التي وضعت عليها علامات صغيرة كُتب عليها «بيعت» كان مرضياً جداً. ارتدت جينا تنورتها الحريرية الطويلة والسترة القصيرة اللتين اشترتهما خصيصاً من أجل هذه المناسبة، فبدتا رائعتين عليها بلونهما الزهري الملائم لبشرتها، أما شعرها فبدا كتلة من التجعدات المحيطة بوجهها، وقد وضعت قرطي الأوبال اللذين أهداهما إياها جولي وترافيس في عيد ميلادها الأخير.

في ظل هذه الظروف، من المفترض أن تشعر جينا بالسعادة والابتهاج، لكنها لم تكن كذلك. أتت إلى المعرض بعد ظهر هذا اليوم لتتفقد العرض بشكل سريع، وفيما سارت متنقلة بين اللوحات أصابتها صدمة قوية عندما لاحظت الشبه بين أسلوب معظم اللوحات. معظم من سيرون اللوحات لن يلاحظوا هذا الشبه، بسبب الموهبة المميزة والأسلوب الرائع اللذين تتمتع جينا بهما، أما هي فلاحظته.

شعرت أنها عالقة في موضوع معين. لقد استخدمت جينا هذه الكلمة من قبل، لكن هذه هي المرة الأولى التي تكتشف فيها أن كلمة «عالقة» هي الكلمة الصحيحة والوحيدة التي تعبر عن حالها. تساءلت ما الذي تقدر أن تفعله بهذا الشأن، وكيف ستقدر على دفع نفسها لتخطي حدودها، والانطلاق؟ لم تملك أدنى فكرة عمّا يجب فعله، ولم تتوضح أمامها الفكرة مع افتتاح المعرض وبحر الحشود وازدياد صوت الضجيج الموجود في المكان من حولها. شعرت بأنها

ممثلة في مسرحية هي غير مقتنعة بها. فتاة شابة وموهوبة تقوم بعرض أول لامع، هذا هو العنوان العريض الذي سيكتب. لكن، تحت تلك المظاهر، أدركت جينا أنه ليس لامعاً.

كان تشارلز أوّل الداخلين من الباب، وقف وتركه مفتوحاً لتدخل منه كورين، جولي وترافيس، وبعد حوالى الدقيقتين دخلت ليونورا إلى القاعة. انتظرت جينا من عضوي الكونغرس، وعبرت الغرفة لتذهب وتلقي التحية على أفراد عائلتها. على الأقل لم يأتِ برايس، فكرت جينا وهي تحمد الله على ذلك.

قال لها تشارلز معلقاً، وهو غير قادر على إخفاء دهشته بشكل كامل: «عندك حشد جيّد!».

أما كورين فقالت بدفء جديد عليها: «كنت متشوقة جداً لهذا اليوم. آه! ما قد أتت ليونورا .... مساء الخير».

قال تشارلز وهو يصافح زوجته السابقة: «من الجميل رؤيتك يا ليونورا».

عانقت جولي جينا، وقبّلها ترافيس على وجنتها، أما ليونورا فقالت لها: «كم تبدين جميلة يا جينيسا!».

بدت ليونورا أنيقة جداً بثوبها الرمادي المصنوع من قماش رقيق وناعم، أبرز اتزانها وهيافة رشاقتها. تمتمت جينا بكلمات الشكر مجيبة إياهم، لكن كلمات أخرى برزت داخل عقلها. فكّرت في قرارة نفسها: أنا خائفة من أمي!

لم تكن هذه اللحظة هي الأفضل لاكتشاف كهذا. قالت لهم بتسرع: «لمَ لا تلقون نظرة على اللوحات، وسنتكلم في ما بعد؟».

تمكنت جينا من رسم ابتسامة قبل أن تكمل: «يجب أن أذهب لأختلط بالحضور. هذا ما طلبته مالكة الصالة».

قال لها ترافيس بابتسامته الكسولة: «اذهبي يا جين. نحن لسنا على عجلة من أمرنا».

بعد مضي حوالى النصف ساعة. وعندما أصبحت ضجة الحشود في أوجها، شعرت جينا بيد أتت من خلفها لتربض على كتفها. جمدت ابتسامتها

www.rewayti.net

على شفتيها، وتساءلت عن سر إدراكها أن هذه اليد هي يد برايس من دون أن تراه.

بلعت لعابها، واستدارت قائلة بمودّة: «أهلاً برايس. إذاً، «إلى الأبد» تتجاوز معك العشرة أيام».

أجابها بمودة مماثلة وهو يلقي بيده إلى جانبه: «ما من أحد يقوم بهذا الأيام».

بقليل من الحظ، استطاع برايس إخفاء ردة فعله تجاهها. آه... ! بالطبع، كان يعدّ الأيام بانتظار اليوم الذي سيراها فيه مجدداً، حتى إنه اليوم أخذ يعد الساعات حتى حلول ساعة افتتاح المعرض.

بدت جينا رائعة الجمال، تسلب الألباب. وجنتاها زهريتان بلون الورود، وعيناها اتقدتا بلونهما الأزرق القوي، وبذلتها الحريرية تبرز جسدها الرائع. لا عجب إذاً أن يستعجل برايس مرور الساعات لتصل لحظة لقائها بسرعة.

فكرتان أساسيتان يجب عليه إبقاؤهما في ذهنه: الأولى هي أنها رفضت فكرة إقامة علاقة معه، والثانية هي أنه غير مستعد لأن يقدم إليها أكثر من العلاقة. فكيف يمكنه الخروج من هذا المأزق؟

عرف من ترافيس أنه حجز لأخته غرفة في أحد أفضل فنادق المدينة. قال ترافيس إنه لا يريد أن تقود شقيقته سيارتها وحيدة في وقت متأخر لتعود إلى منزلها. برايس أيضاً لا يريدها أن تعود، لكن لأسباب مختلفة.

ابتدأ بالتجوّل متنقلاً من لوحة إلى أخرى، وطوله يساعده على الرؤية رغم الحشود. ازداد عبوسه مع رؤيته اللوحات واحدة تلو الأخرى. لقد أدرك الكثير عن جينا خلال النصف ساعة الأخيرة. اللوحات كلّها مرسومة بعناية، بعضها واقعي والبعض الآخر ملىء بدوّامات من الألوان المليئة بالغموض. غير أن كلّ اللوحات أظهرت خطراً مزعجاً، وتهديداً غير واضح كفاية لتقدر على تحديه ومقاومته، لكنه عميق جداً لدرجة لا تقدر على التغلب عليه.

حقيقة أن جينا هي امرأة حزينة جداً في أعماقها بدت جلية تماماً أمام

برايس. كذلك بدا له واضحاً أنها فنانة معقدة وحسّاسة. كلا الاستنتاجين جعله يشعر بانزعاج كبير. جينا ستراثرن ليست الطراز المفضل لديه من النساء، فلطالما أحب النساء العاقلات، المعتدلات، اللواتي يملكن القدرة على إخفاء مشاعرهن، تماماً كما هو قادر على إخفاء أسراره.

لم يعر برايس انتباهه سوى إلى اللوحات. وليزداد رعبه، وجد نفسه فجأة بين تجمع آل ستراثرن، بمن فيهم الرسامة. حاول أن يخفي العبوس من جبينه، فحيّاهم بسرور قائلاً بصدق: «يا له من معرض رائع يا جينيسا! أنت بالفعل تستحقين التهنئة».

أما تشارلز، الذي بدا بوضوح أنه لم يستوعب شيئاً من مضمون اللوحات، فقال بشجاعة: «الألوان المستخدمة جميلة جداً. لقد ابتعت وكورين لوحة لتعليقها في غرفة الجلوس في باك باي».

أعادت جينا كلماته، والصدمة تغمرها: «هل ابتعت لوحة؟».

أجابها تشارلز بصوت أجش: «نحن فخورون بك».

قالت جينا: «آه، حسناً!».

ثم نظرت حولها مشدوهة. طال الصمت قليلاً، فقطعه ترافيس وهو يقول مبتهجاً: «أنا وجولي مضطران للمغادرة يا أختي بسبب الطفلة، لكن سوف نراك غداً على الغداء في الفندق. لِمَ لا تنضمين إلينا يا ليونورا؟».

– لسوء الحظ، أنا مضطرة إلى العودة في طائرة المساء إلى مانهاتن... لدي صف أدرّسه غداً في الصباح الباكر.

قالت جينا من دون تفكير: «هل أتيت هذه المسافة كلّها من أجل يوم واحد؟».

ابتسمت ليونورا عجبية: «أجل. لقد فعلت ذلك، وأنا مسرورة جداً لقيامي بهذا».

تمتمت جينا بذهول: «شكراً لك!».

أجابتها ليونورا: «هذا من دواعي سروري. أيرغب أحدكم في مشاركتي بسيارة الأجرة؟».

www.rewayti.net

قالت كورين بنعومة: «يا لها من فكرة جيدة! أمستعد أنت للمغادرة يا تشارلز؟».

- بالطبع، بالطبع. يا لها من فكرة جيدة!

قال ذلك ونظر إلى ابنته بعينيه الزرقاوين الباهتتين: «أرجو ألا يمر وقت طويل قبل أن تراك مجدداً يا جينيسا».

تمتمت جينا بشيء غير مفهوم، وأصابعها تعبث بسترتها الحريرية. ابتدأ الجميع بالمغادرة بمن فيهم ترافيس الذي سأل برايس: «هل ستغادر معنا يا برايس؟».

أجابه برايس: «أريد أن ألقي نظرة أخرى على اللوحات الآن، بعد أن خفّت الجموع قليلاً. سوف أكلّمك غداً».

خلال الدقائق القليلة الماضية، أخذ برايس يتتبّع التغيّرات الحاصلة على وجه جينا. تحوّلت تعابيرها من الانزعاج والقلق إلى الشعور وكأنها علقت في فخ، أما الآن فبدا أن الذعر أخذ يتملكها. ذكّر برايس نفسه بعدم وجوب تركه لجينا ترحل من دونه، فقال لها بلطف: «جينا، إن مالكة المعرض تحاول استرعاء انتباهك».

- أجل. إنها كذلك.

تمتمت جينا بهذه الكلمات. وسارت مبتعدة من دون رشاقتها المعتادة.

عند انتهاء برايس من التمعّن في لوحات جينا للمرّة الثانية، كانت أبواب المعرض قد أغلقت، ومعظم المدعوين قد غادروا. سار نحو جينا، فوقف خلفها، ثم أحاط بذراعه خصرها وسألها: «أجاهزة أنت للمغادرة؟ سيارتي مركونة في آخر الشارع».

شعر بجسدها يتوتر تحت لمسته، كجواد سباق متأهب. قدّمته إلى صاحبة المعرض بشكل غير لبق شبيه بتصرفات المراهقين. علّق برايس على المعرض بجملتين أشارتا إلى نباهته، ثم اقترحت عليها صاحبة المعرض أن تتصل بها في اليوم التالي، وذهبت لتشرف على الندل. قالت جينا بضعف وتعب: «يجب أن أطلب سيارة أجرة».

- سوف أدعوك إلى تناول شراب ما.

أبقى ذراعه مستكينة حول خصرها، وقادها باتجاه الباب.

خارج المعرض، كان الهواء حاراً ورطباً، والشارع يضج بحركة المرور. عندما وصلا إلى سيارته قال برايس: «هنالك مقهى قريب من هنا، فيه فرقة تعزف موسيقى الجاز بشكل جيّد. سنذهب إلى هناك».

لم تجادله جينا، بل خلعت صندالها ذا الكعب العالي من قدميها، وتنهّدت قائلة: «هذا أفضل بكثير. عدني بشيء واحد يا برايس، وهو أنك لن تقوم بذكر كلمة فن».

ضحك قائلاً: «أنا لا أعرف شيئاً عن الفن، لكنني فقط أعرف ما يعجبني... ألم يقل لكِ أحد هذه العبارة الليلة؟».

ضحكت بدورها، هازّة كتفيها على المقعد الجلدي قائلة: «لم يقلها لي أحد سواك».

انبثقت السعادة من صدر برايس متدوجة بألوان قوس القزح، كبلورة تعكس أشعة الشمس. ها هي جينا معه، جالسة بقربه.. داخل سيارته.. وفي داخل قلبه. لم يشعر بالثقة من أن السهرة ستنتهي بالطريقة نفسها، وتساءل عن سبب هذه السعادة. أهذا الحد تعني له جينيسا؟ كلّ ما أراده هو أن يأخذها إلى السرير، هذا كلّ شيء.

وقادها النادل إلى ركن هادىء، حيث غرقت جينا في الأريكة الناعمة متنهدة بارتياح. طلبت هي كوباً من عصير الليمون، وطلب هو كوباً من الأناناس. ما لبثا أن استغرقا بالحديث فاكتشفا آراء بعضهما في الكتب وبرامج التلفزيون وأنواع الرياضة. ورغم تمتع جينا بآراء حادة إلا أنها تقبّلت وجهات نظره وأخذتها بالاعتبار. اكتشف برايس أنّه مستمتع فعلاً، كما سرّه أن التوتر قد اختفى عن وجه جينا. بعد مضي حوالى النصف ساعة سألها برقة: «أترغبين بالرقص؟».

سألته: «أيعني هذا، أنني مضطرة إلى انتعال حذائي مجدداً؟».

- بإمكانك الرقص حافية القدمين.

www.rewayti.net

- حسناً! حاذر أن تدوس على قدمي.

استسلمت لاحتضان برايس لها حيث ارتاحت إحدى يديه على خصرها، فيما أمسكت يده الثانية بيدها وجلبتها إلى كتفه. انحنى جبينها ليستريح على كتفه الأخرى، مستنداً على صلابة عضلاته المشدودة تحت سترته الفاخرة. استسلمت جينا للموسيقى وللرجل، وكأن لا همّ لديها في هذا العالم، ساعة لنفسها أن تتجرف في تيار حواسها.

حاولت إبقاء نفسها على شط الأمان طوال اثني عشر عاماً. لكن، أهذا هو ما أرادته في الحياة؟ أن تبقى في أمان؟ أيعقل أن يكون هذا هو السبب في عدم قدرتها على الحب؟ ألم يكن هذا هو سبب المشاكل التي رأتها في لوحاتها... خوفها من أن تغامر؟

إنها ليست مجرّد رسّامة... إنها امرأة. بين ذراعي برايس شعرت بأنوثتها كاملة، وأحست بفخرٍ بسبب شعورها هذا لم تشعر به من قبل. أدناها برايس أكثر منه، أزاح شعرها إلى الوراء وتتبع بأصابعه خطوط عنقها. ارتجفت بين يديه كورقة في مهب الريح، مطلقة أنّة لم يسمعها أحد سواه.

رفعت رأسها، فالتقت عيناها بعينيه. لم تقم بأي محاولة لإخفاء اللهفة المشتعلة بداخلهما، كما لم يخفِ شوقه إليها. قال لها بنعومة: «أريدك أن تعرفي شيئاً. هنالك امرأة واحدة أثرت بي كما تفعلين الآن، وذلك منذ اثني عشر عاماً».

نظرت إليه من خلال أهدابها قائلة: «عندما قلت لك تلك الليلة إنني أريد أن أرسمك كنت أخبرك الحقيقة».

- عرفت هذا منذ ذلك الوقت.

رفع يدها إلى شفتيه وقبّل رؤوس أصابعها.

قالت بضعف: «حجزت غرفة في فندق معلق على المرفأ».

- فندق كولونيال؟

للحظة شعرت بخوف كبير يمسكها من عنقها. أجبرت خوفها على الاختفاء، وسمحت لبرايس أن يقودها إلى الطاولة حيث بحثت مرتبكة عن

حذائها لتنتعله فيما دفع هو الحساب. سارت بعدها جينا بين الطاولات وخصرها يتمايل برشاقة في الطريق إلى باب المقهى. للمرة الثانية لفحها الهواء الدافىء مثقلاً بالرطوبة المتجمعة.

الرحلة إلى واجهة المدينة البحرية بدت طويلة إلى حدّ السأم. توتّرت أعصابها بشكل كبير. ماذا لو أخبرت برايس بأنها لا تزال عذراء؟ هل سيدرك أنها مغرمة به، وأنها بقيت كذلك طوال سنوات؟ هل سيصدقها في ذلك؟ تذكرت الحادثة وكأنها حصلت البارحة. تذكرت كيف ابتعد عنها في غرفة ذلك الفندق في مانهاتن، والامتعاظ الذي علا وجهه عندما أدرك أنها خدعته.

ما الذي تقدر أن تفعله؟ إن أيّ علاقة مع برايس قادرة على تمزيق حياتها من جذورها. هي واثقة من ذلك. هل هذا ما تريده فعلاً؟

شعرت ببعض الخوف في داخلها، عندما رأت المرفأ يلمع بلون فضي مشرق. كادا يصلان إلى الفندق... بعد عدّة دقائق سوف يترك برايس سيارته مع حاجب الفندق، ثم يتبعها إلى غرفتها، عندئذٍ سيكون الوقت قد فات لتغيّر رأيها. قالت له بصوت لم يبدُ أبداً صوتها: «برايس... أنا غير قادرة على فعل هذا!».

انحرف برايس إلى جانب الطريق، ضاغطاً على مكابح السيارة بقوة، وقال لها بصوت خالٍ من المشاعر: «ما الذي تعنينه يا جينيسا؟».

- أنا لست مستعدة لإقامة علاقات.

قال لها بصوت بشع: «لا تخدعيني بهذا الكلام. لطالما أراني برايس صوراً لك ومقالات عنكِ، ودائماً كنت على علاقة مع هذا الرجل أو ذاك. لطالما بدوت محاطة بالرجال، فلماذا تكذبين عليّ؟».

أخبريه أن ذلك غير صحيح، وأنك لا زلت عذراء. فكّرت بذلك خير أن الكلمات علقت في حنجرتها، وكأنها قد ابتلعت حجراً. حلّت حزام الأمان، وتعثرت خارجة من السيارة، فيما لم يقم برايس بأي حركة لإيقافها. همست قائلة: «أنا آسفة! يجب ألا نرى بعضنا ثانية، إن ذلك دون فائدة».

قالت ذلك، ثم صفقت الباب خلفها، وركضت باتجاه الفندق.

www.rewayti.net

٨ ـ لقاء وفراق

صباح اليوم التالي، استيقظت جينا باكراً بعد ليلة مؤرقة فظيعة.

ارتدت تنورة قصيرة بيضاء مطبّعة وفوقها بلوزة بيضاء دون أكمام، وضمّت شعرها في ضفيرة، ووضعت قرطين طويلين يصدران صوتاً مع حركتها. استغرقت بعض الوقت وهي تتبرج، لأنها أرادت أن تظهر بأفضل صورة. وفي النهاية انتعلت صندالاً فيروزي اللون ابتاعته في تنزيلات الخريف الماضي ولم تنتعله من قبل. نزلت إلى الطابق السفلي لابتياع صحف الصباح، إذ لا شك أن الصحف تحدثت عن معرضها، فاسم الصالة وحده كفيل بذلك.

طلبت القهوة وخرجت إلى الباحة الخارجية التي ظلّلتها أوراق الأشجار. اختارت جينا الطاولة الأبعد عن الناس وجلست عليها. جرعت رشفة كبيرة من القهوة لتصحو، وتناولت الصحيفة الأولى. كانت قد التقت بالناقد الفني الذي يكتب في تلك الصحيفة في أكثر من مناسبة، وهي مدركة أنه معجب بأعمالها. قرأت المقال بسرعة. بدا الرجل دقيق الملاحظة في تعليقه، ليس عنده سوى المديح. شعرت بالارتياح قليلاً، فالتقطت الصحيفة التي يكتب فيها أكثر نقّاد المدينة تأثيراً.

هذا المقال يمكن أن يأخذه الفرد على محمل الجد!

تقريره عن المعرض احتل حوالى ثلث الصفحة. جفّ فم جينا قبل أن تبدأ بالقراءة. ابتدأ الناقد بالإطراء على التقنيات التي تستخدمها، والتي سمحت لها بشحن اللوحات بمشاعر أقوى وأكبر من الاستيعاب. بعد ذلك انتقل إلى النقطة الأهم، وهي أن تلك المشاعر أصبحت متكررة في لوحاتها. لم يحصل، برأيه، أي تغيير ملحوظ في هذه المشاعر، منذ معرضها الذي أقامته منذ حوالى

الثمانية عشر شهراً. تابع الناقد يقول إنه من المؤسف جداً أن تقنع فنانة شابة بإمكانيات جينا ستراثرن، بالنجاح التجاري عوض أن تتطور فنياً. هي ليست الأولى ولا الأخيرة بين الذين اتبعوا هذا النهج. غير أن هذا الركود سيمنعها على المدى الطويل من أن تصبح رسامة ذات مكانة حقيقية ومميزة.

انبعث النسيم من بين أشجار البتولا ناثراً على الصفحة الظل والنور. حجبت دموعها عنها الرؤية الواضحة، لكنها تابعت التحديق في الكلمات المطبوعة. كيف تتوقع من ناقد نبيه وشديد الملاحظة كهذا أن يتغاضى عما أدركت هي نفسها حقيقته؟

سمعت صوتاً خافتاً لخطوات تقترب منها عبر الممر المرصوف بالحجارة، وعبر تلك الدموع نفسها، رأت برايس قادماً باتجاهها. وضعت نظارتها الداكنتين فوق عينيها، وفتحت الصحيفة بسرعة.

وقف برايس أمامها، ثم نزع النظارات عن عينيها. قالت له بصوت مخنوق: «لا تفعل هذا!».

– قرأت المقال، وهذا أحد الأسباب التي دفعتني للقدوم.

– أنا لست بحاجة إلى أسفك تجاهي.

قال برايس بنفاد صبر: «جينا، كلّ ما فعله الناقد هو الإشارة إلى أنك بحاجة إلى خط جديد. لو أنه لم يعتقد أنك فنانة جيدة لما تكبّد عناء الكتابة».

قالت باكية: «أنا لا أعرف إلى أين يجب أن أتوجه من هذه النقطة. هذه هي المشكلة. أنا راكدة وعالقة في مكان واحد... إنه على حق. منذ أشهر وأنا على هذه الحالة».

التقط برايس كومة الصحف، وقال: «تعالي معي. سوف نذهب إلى منزلي، حيث سأعد لكِ الفطور وتخبريني عن سبب ركودك هذا».

استعماله للتعبير الذي استعملته هي لوصف حالتها كان آخر ما تصورته، فقالت: «إذاً، أنت رأيت هذا الأمر أيضاً... رأيته الليلة الماضية في المعرض حين تأملت اللوحات».

قال لها برايس دون انفعال: «الفن مغامرة كبيرة يا جينا، إذا لم تقومي بها،

www.rewayti.net

فأنت في عداد الأموات».

رمت جينا الأوراق من يدها وقالت: «تشارلز سوف يقرأ هذا المقال. هو لم يوافق يوماً على أن أصبح رسامة، والآن ها أنا أثبت له صحة وجهة نظره».

ضحكت بمرارة مكملة: «سوف يقوم على الأرجح بإعادة اللوحة، ويطلب استرجاع نقود الحجز».

- لم يشتر تشارلز تلك اللوحة إلا لأنه يحاول التعويض عن بعض الأذى الذي سببه لك. بالإضافة إلى ذلك، فالناقد الوحيد الذي يعيره تشارلز اهتمامه هو ذاته فقط.

وضع برايس الصحف تحت إبطه، وأمسك جينا من معصمها قائلاً: «سوف نذهب إلى منزلي. سنتناول اللحم والبيض والقهوة، بهذا الترتيب تماماً».

* * *

اكتشفت جينا أن برايس يملك قصراً رُمّم حديثاً، ذا واجهة مقوّسة، يقع في بيكون هيل. القصر مبني بالحجارة ذات اللون القرميدي، مع نوافذ سوداء ذات إطارات بيضاء. من الداخل بدا القصر رائعاً أيضاً، فالجدران الباهتة مزينة بمجموعة منتقاة من لوحات الفن الحديث تسترعي الاهتمام فوراً. فيما قام برايس بالعمل داخل المطبخ، تحوّلت جينا في غرفتي الطعام والجلوس، مبدية إعجابها بذوقه. حاولت في الوقت ذاته إيجاد صور لعائلته أو أي أثر من ماضيه، إلّا أنها لم تجد شيئاً. رائحة اللحم المغرية أعادتها إلى المطبخ. انسابت أشعة الشمس إلى الداخل من خلال النوافذ الطويلة التي تحتك بها أغصان أشجار الكرز. وضع برايس مئزراً حول خصره، وأخذ يخفق البيض في مقلاة من التافلون. قال لها بشكل عادي، وكأنما وجودها في مطبخه في الصباح الباكر هو شيء طبيعي جداً: «أتستطيعين تحضير قطعتين أخريين من التوست؟ سوف نأكل في الغرفة الصيفية».

حملت الخبز المحمص إلى الغرفة التي تقع في الناحية الجنوبية من المنزل، تحيط بها أشجار التين الرقيقة وأشجار النخيل الطويلة، كما تبدو من نوافذها أزهار

الخبازى التي أضفت عليها لوناً قرمزياً رائعاً.

وافاها برايس إلى الغرفة، وجلسا لتناول الطعام. قالت جينيسا: «أتقوم بطهو طعامك دائماً؟».

- فقط عندما أكون هنا في بوسطن. لكنني أسافر كثيراً، لذا لم أصبح بعد خبيراً في الطهو.

ابتدأ برايس بالحديث عن بعض التجارب التي مرّ بها في أوروبا والشرق الأقصى، وتميز ببراعته في سرد القصص والأخبار. قالت جينا بكآبة: «أنا لم أقم بالكثير من الرحلات».

ترددت قليلاً ثم أكملت: «بحثت في غرفة جلوسك عن صور لأفراد عائلتك، لكنني لم أجد شيئاً».

- لا أملك أي صورة. إذاً، لِمَ أنت راكدة في عملك يا جينيسا؟

نظرت إليه بشكل عادي، وقالت: «أنت ترفض أن تتحدث معي عن خلفيتك. هذا ما أدعوه أنا ركوداً... ولا أعتقد أنك ستخبرني عن سبب هذا».

- هل قال لك أحد من قبل إنك عنيدة؟

اتسعت عيناها وقالت: «العناد وعائلة ستراثرن مترافقان، ألم تلاحظ هذا؟».

ضحكا، ثم مدّا يديهما إلى وعاء المرى في اللحظة نفسها، فأطبقت يد برايس على يدها فوق زجاج الوعاء الناعم. حدّقت بإعجاب صامت بأصابعه الطويلة، المرنة الدافئة فوق أصابعها، ثم نظرت إلى الأعلى. يتناغم تام انحنت جينا وبرايس باتجاه قدميهما بسرعة كادا يوقعان معها وعاء المرى. علقت عندها جينا بين ذراعي برايس، فلسعتها حرارة جسده موقظة فيها حرارة أخرى.

أحنى برايس رأسه إلى الأسفل، وعانقها بحرارة وحماسة، فشعرت بجسدها ينضح بألم عذب.

قال لها بخشونة: «عندما تنظرين إلي بهذه الطريقة تجعليني أشعر بأشياء...

www.rewayti.net

ابقي معي يا جينا. أقسم لك بأنني سوف أعاملك بأفضل الطرق التي أعرفها».

شبكت أصابعها بشعره، ثم أدنت خدّها وأسندته إلى صدره.

جذب برايس ربطة شعرها، محرّراً خصلاته المجعدة لتحيط بوجهها، وقال بصوت أبح: «شعرك يحتجز أشعة الشمس وكأنه يحترق».

حملها بين ذراعيه وسار باتجاه الأريكة. جلسا إلى جانب بعضهما البعض، وتعانقا بحرارة وقوة حتى أخذ قلب جينا ينتفض في صدرها.

شعرت جينا أن هذا هو الوقت المناسب لتخبره بالحقيقة: «برايس، أنا ما زلت عذراء».

تصلب جسده بين يديها، ورفع عينيه ناظراً إليها بذهول: «أنت لا تزالين عذراء؟».

- أجل.

- ولكن، هل يعقل هذا؟ كل هؤلاء الرجال...

وضعت أصابعها على كتفيه اللتين اختفى منهما كلّ أثر للكبرياء، وقالت: «لقد انتظرتك منذ كنت في السابعة عشرة من عمري. كلّ ما فعلته هو مواعدة هؤلاء الرجال، لا غير. لكن لم يستطع أي واحد منهم أن يثير في داخلي المشاعر التي أثرتها أنت منذ وقت طويل، ولا تزال تثيرها في كل مرة أكون فيها قريبة».

قال بشكل غير ودّي: «أنت مغرمة بي!».

- أنا لست كذلك! أنا فقط رفضت أن أرضى بأقل مما أريد. هذا كلّ شيء.

أمسك معصميها، مزيلاً أصابعها عن كتفيه بتصميم قاس، ثم ابتعد عنها قائلاً: «مرّ اثنا عشر عاماً يا جينا... اثنا عشر عاماً!».

ها هي الأشياء تحدث أمامها للمرة الثانية، كما فكرت بذعر. الرفض ذاته والإذلال ذاته، وكأنما هنالك شيء معيب في طهارة جسدها. وجدت جنيسيا ملاذها في الاشتعال غضباً: «أكنت تفضل لو أنني أمضيت كلّ ليلة مع رجل

مختلف طول الإثني عشر عاماً؟ أهذا هو الأمر؟».

- أنا أفضل لو أنك أخبرتني الحقيقة.

- آه، مرحباً يا برايس، كم هو جميل أن أراك ثانية، وعلى فكرة أنا لا أزال عذراء؟

أصبحت عيناه بصلابة الغرانيت: «هل كنت بانتظاري أنا طوال هذه السنوات؟».

- إذا اعتبرنا هذا الأمر صحيحاً، مع أنه ليس كذلك، أهو أمر رهيب إلى هذا الحد؟

- لا أريد أن يقع أحد في غرامي.

قالت بغضب شديد: «مع طريقة تصرفك هذه، من الصعب جداً أن أفرم بك. ما خطبك في كلّ الأحوال؟ هل أنت خائف من الاعتراف أنك تملك مشاعر؟».

- توقفي عن الكلام في هذا الموضوع يا جينا.

- آه! أنت باستطاعتك قول ما تريده، لكن يفترض بي أنا أن أبقى فمي مقفلاً! تقول إنك لا تريد أي التزام، وهذا معناه أنك عاجلاً أم آجلاً سوف تتركني... بالضبط كما فعلت أمي، وكما فعل أبي أيضاً.. هل تملك أدنى فكرة عن معنى أن يجرك كلا والديك؟

سرت رعشة في جسد برايس الضخم، وبحركة واحدة هب واقفاً. قالت بصوت منخفض: «برايس، أنا آسفة... لقد أصبت الجرح، أليس كذلك؟».

- أنتم الفنانون كلكم متشابهون... تتخيلون أشياء لم تحصل.

- أنا لم أتخيل ردة الفعل تلك! كيف يمكن أن ينتهي الأمر بك في الشارع لو لم يتخلّ عنك أهلك؟

وقفت جينا قائلة ويدها ترتاح على ذراعه: «لمَ لا تخبرني عن هذا الأمر؟ أكان فظيعاً إلى درجة لا تقدر معها على مشاركته مع أحد؟».

قال ببرودة جليدية: «على الأقل أنت لديك أهل. لديك أم، أب وزوجة أب. جميعهم ليسوا مثاليين، لكنهم حقيقة موجودة. والأهم أنهم يريدون أن

www.rewayti.net

يتواصلوا معك».

- ألا تعرف أنت أين هم أهلك؟

تجاهل برايس مداخلتها وكأنها لم تحدث، وأكمل: «ولكن أنت فخورة ومتعجرفة أكثر من تسمحي لتشارلز أو ليونورا بالدخول مجدداً إلى حياتك. أليس كذلك؟ لا عجب أنك عالقة في مكانك فنياً، فلا حياة عاطفية لديك ولا أهل، وأنت تدفنين نفسك في الريف كناسك».

قساوة ما صرّح به، جعلت قلبها يبرد ويجمد في داخلها. تراجعت جينا مبتعدة عنه، وقالت بإرهاق: «الأمر ليس سهلاً. كيف يمكنني أن أحب فجأة أماً لم أعرفها من قبل؟ أماً تركتني عندما كنت طفلة؟».

التقطت نظارتيها الشمسيتين والصحف وحقيبتها الزرقاء عن الطاولة، وسألته بثبات: «هل حاولت يوماً أن تبحث عن أهلك؟».

واستطاعت أن ترى الجواب على وجهه، فتابعت تقول: «إذن لا تحكم علي بقسوة بسبب شيء أنت لست مستعداً لفعله... سوف أذهب بمفردي إلى الخارج».

ركضت جينا عبر الغرف المفروشة بشكل جميل، غير قادرة على رؤية شيء إلا حاجتها لإيجاد الباب الأمامي لتهرب. صارعت مزلاج الباب المعقّد، وخرجت إلى الدرج الأمامي.

سارت بسرعة على الرصيف الضيّق مبتعدة.

٩ - هذه أمي!

بعد يومين على ذلك الصباح، وصل جينا مع الساعي طرد بريدي. وقعت على ورقة الاستلام، وعادت إلى الداخل محدقة في الطرد كأنه يحتوي عنكبوتاً ضخماً. العنوان الموضوع لإعادة الطرد كان عنوان برايس، مكتوباً بخطه الذكوري الموحي بالقوة. لم تترك أي شيء من أغراضها في منزله، هي متأكدة من ذلك. فما عساه أرسل لها؟

مزّقت الغلاف الورقي والغلاف الداخلي، لتجد في الداخل فيلم ڤيديو وورقة مطوية مرفقة به. فتحت الورقة فوجدت المزيد من ذلك الخط المصقول. كتب لها برايس: «استعرت هذا الشريط من ترافيس. اجلسي وشاهديه».

أدارت التلفزيون وأدخلت الشريط البلاستيكي الأسود في جهاز الڤيديو. خلال دقائق شعرت جينا أنها ضاعت وانسلخت عما حولها.

إنه فيلم مصوّر لليونورا وهي ترقص. وهو يتضمن مشاهد لليونورا الشابة الجميلة، القوية، المرنة والرشيقة. جزء من الفيلم تضمن مشاهد متكررة التصوير، حيث يعاد تشغيل الموسيقى ذاتها مراراً وتكراراً لتنحني ليونورا وتتمايل حسب ما يتطلب منها. في كلّ محاولة كانت ليونورا تتطوّر وتصبح حركاتها أكثر جمالاً.

مصوّر الفيلم المجهول، اختار ألّا يحذف من المشاهد الثمن الذي دفعته الراقصة في هذه التمارين؛ إرهاق ليونورا الجسدي، يأسها وتصميمها العنيد، كلّها ظهرت بشكل واضح في الشريط.

الاستعراض الأخير كان أمام جمهور في حفل حي في باريس منذ عشر سنوات خلت. عند انتهاء الشريط، أعادته جينا إلى بدايته وشاهدته مرة ثانية

www.rewayti.net

وعيناها مسمرتان على الشاشة. لدى مشاهدتها إياه للمرة الثانية لاحظت تفاصيل أكثر، وفي المرة الثالثة أكثر وأكثر. عندما توقف الشريط عن العرض في نهاية المرة الثالثة، أجهشت جينا بالبكاء، وكأن قلبها قد انكسر.

هذه المرأة هي أمها. في عروقها يجري التصميم نفسه على إيجاد معنى مميزاً في الأشياء الصغيرة التي تمر في الحياة اليومية. أدركت جينيسافي أعماقها معنى يأس ليونورا، وعرفت ثمن الكفاح من أجل الكمال الذي يستحيل الوصول إليه.

مع أن أمها تخلّت عنها وهي لا تزال طفلة صغيرة، لكن وبطريقة واقعية جداً، وجدت جينا أن ليونورا قد عاشت بداخلها طوال هذه السنوات.

مسحت الدموع عن وجنتيها، وجلست تتأمل الشاشة الفارغة لفترة طويلة. بعدها قامت بمكالمة ترافيس.

عشية ذلك اليوم، جلست جينا إلى طاولة المطبخ ووضعت الهاتف أمامها. أدركت أن الخطوة التي توشك على القيام بها، هي خطوة ضخمة. أخذت نفساً ثابتاً، ثم التقطت سماعة الهاتف وضغطت على الأرقام.

صوت رقيق على الطرف الآخر من الهاتف قال: «ليونورا كونولي، نعم!».

– هذه أنا... جينا...

بعد وقفة بسيطة، قالت ليونورا بحدة: «هل هنالك خطب ما؟ هل أصابك شيء؟ أو أصاب ترافيس؟».

– كلا، كلا.. نحن بخير. أردت فقط أن... أن أتكلم معك.

أصبح صوت ليونورا أكثر دفئاً: «في هذه الحال، أنا سعيدة جداً لسماع صوتك».

قالت جينا بسرعة: «كنت أتساءل عما إذا كان من الممكن أن نلتقي قريباً. إذا كنت مستعدة... باستطاعتي أخذ القطار إلى نيويورك».

– يا لها من صدفة جيدة، سوف أكون في بوسطن في نهاية هذا الأسبوع للإشراف على صف تصميم رقص. هل تستطيعين القدوم إلى المدينة؟ ما رأيك بتناول غداء متأخر نهار الجمعة؟ أنا سأعود بالقطار بعد ظهر ذلك اليوم».

– سيكون هذا رائعاً.

اتفقتا بسرعة على مكان اللقاء، ثم قالت ليونورا: «أنا مضطرة للذهاب يا جينا. لدي موعد بعد بضع دقائق، لكنني متشوقة للقائك».

– وأنا كذلك.

وضعت سماعة الهاتف. لقد فعلتها! لقد قامت بالخطوة الأولى لشفاء جروح مفتوحة منذ ثلاثين سنة. ستقابل ليونورا وجهاً لوجه، فهل ستبادلها المشاعر ذاتها؟

شعرت جينا أنها مليئة بالقوة والتوتر، فخرجت إلى حديقتها، وراحت تقلم ورودها. خلال اليومين التاليين تطوعت للعمل في ملجأ النساء، ذهبت للسباحة، ثلّجت الفاصوليا والبازيلا، وصنعت مرى الفريز. يوم ذهابها إلى بوسطن، وضعت جينا مجلد، داخل سلّتها، إناء مرى بالإضافة إلى بعض البازيلا الطازجة.

ارتدت فستاناً كتانياً أبيض، وتركت شعرها منسدلاً على كتفيها. وضعت سلّتها فوق ذراعها وسارت إلى محطة الحافلات في القرية. رحلتها إلى بوسطن بدت قصيرة جداً. شعرت بقلبها يكاد يقفز بين ضلوعها عندما وصلت إلى مكان اللقاء قبل الموعد بعشر دقائق. دخلت إلى المطعم الإيطالي الجذاب، لتجد أن ليونورا قامت بحجز طاولة لهما، حيث تم إرشادها إلى طاولة لشخصين في زاوية محجوبة. جلست جينا وقلبها ينبض بشكل مزعج، ودفنت وجهها في لائحة الطعام.

– مرحباً يا جينا... لا، لا تنهضي من أجلي.

من دون أي ضجة، جلست ليونورا مقابل ابنتها. بدت كالعادة، جميلة وواثقة من نفسها، وهي ترتدي بذلة مؤلفة من بنطلون وسترة منقّشين باللونين الأسود والأبيض. تحدثت ليونورا وجينا لبضع دقائق ثم طلبتا ما تريدان من النادل، وعندما ابتعد، قالت جينا من دون تفكير: «شاهدت فيلم فيديو لك وأنت ترقصين. هذا هو سبب قدومي».

ركّزت ليونورا نظرة عينيها الزرقاوين الغامقتين على وجه جينا: «هل

www.rewayti.net

أعطاك ترافيس إياه؟».

أصبحت وجنتا جينا قرمزيتي اللون: «كلا! أعطاني إياه برايس».

- برايس؟!

- أجل، أعطاني إياه بعد خلاف وقع بيننا. خلاف من بين عدة خلافات.

- إذا كان الخلاف هو سبب هذا اللقاء، فأنا إذاً أدين بالكثير من الشكر لبرايس.

- إنه أكثر الرجال الذين التقيتهم عجرفة وعناداً.

- لكنه جذاب جداً. أنا لست كبيرة في السن إلى حدّ عدم ملاحظة ذلك.

قالت ليونورا ذلك وهي تستمتع بما تفعله. حاولت جينا إعادة الحديث إلى نصابه: «أنا لم آتِ إلى هنا للحديث عن برايس».

أحضر النادل لهما السلطة التي بدت مغرية. قالت ليونورا لجينا بصراحة وبشكل مباشر: «جينا، نحن قادرتان على التكلم عن أي موضوع في العالم. أنا فقط سعيدة جداً لجلوسي معك هنا، وأريدك أن تعلمي ذلك».

للمرة الثانية، اغرورقت عينا جينا بالدموع، فتمتمت قائلة: «شكراً لك. المشكلة أنني لا أعلم من أين أبدأ. يبدو أنني... راكدة، لا أتطور.. أعلم أنه لا يمكنك إصلاح ذلك، وأنا لا أسألك هذا. ولكن...».

- قرأت إحدى مقالات النقد لمعرضك. أظن أن كلمة راكدة قاسية جداً.

- لكن ذلك صحيح... أنا راكدة. عرفت هذا الأمر منذ فترة، لكنني لا أعلم كيفية التعامل مع هذا الوضع. أنا لا أعرف ماذا يجب عليّ أن أفعل.

أكملت جينا: «شريط الفيديو أظهر لي كم نحن متشابهتان».

- إننا نتشارك المزاج الخاص نفسه، وهو نعمة ونقمة معاً.

نظرت جينا مطولاً إلى المرأة الأنيقة الجالسة قبالتها على الطاولة، وتمتمت: «أنا لا أعرف حتى ماذا أدعوك... لا أستطيع مناداتك أمي، فهذا لا يبدو صحيحاً».

- ما رأيك بأن تناديني ليونورا؟ إنه اسمي في النهاية.

ابتسمت لها جينا من خلال عينيها الدامعتين، وقالت: «حسناً! سأفعل

ذلك يا ليونورا. شاهدت فيلمك حوالى الست مرات. أنت تتصارعين مع الحقيقة محاولة اكتشافها والتعبير عنها. هذا هو جوهر الموضوع، أليس كذلك؟ لكن هنالك حقيقة لم أستطع اكتشافها بعد، ولا أعرف الطريقة للوصول إليها، لذلك أنا ضائعة، أو كما قال برايس، أدور في حلقة مفرغة».

سألتها جينا بتوق عن بعض الأشياء، فأجابتها ليونورا بشكل وافٍ مستخدمة أدقّ الكلمات. بعد حوالى الساعة، شعرت جينا بأن رأسها يدور، فقالت بصوت ملؤه الذهول: «أتعلمين ماذا؟ أدركت الآن، أنني طوال هذا الوقت، كنت أرسم تشارلز. أرسم أبي بشكل هوسي، مراراً وتكراراً».

- أتقصدين ذلك الشعور الغاضب الموجود في لوحاتك؟

- بالضبط. منذ أن أصبحت كبيرة كفاية لاستيعاب ردات فعله، أدركت أنني لست كما يريدني أن أكون. أرادني أن أكون مختلفة. وحاول أن يكيّفني بالقوة حسب قالبه الخاص.

ابتسمت جينا ابتسامة حزينة، وأكملت: «لقد دعوت برايس عنيداً. لكن أنا أيضاً أملك العناد ذاته، لذلك قاومت تشارلز بكل قوّتي لأنه شكّل تهديداً كبيراً للطريقة التي أريد أن أحيا بها حياتي، وهذا ما كنت أرسمه طوال هذه الأشهر».

- أتدركين أنه، من خلال محاولته تغيير طباعك وتحويلك إلى شخص آخر، كان يطهّرك منّي؟

سألتها جينا ببطء: «لكنك ساعته، أليس كذلك؟».

- أجل، لقد فعلت ذلك... رغم أن ذلك استغرق معي وقتاً طويلاً. كلّ ما أنا آسفة عليه هو أنه أفرغ غضبه عليك، وأنا لم أكن موجودة لحمايتك من ذلك. أنا فعلاً هربت وتركتكم يا جينا، لكن عندما ذهبت إلى باريس كان لدي كامل النيّة بأن أعود دائماً لرؤية أولادي. تشارلز هو من صمّم على عدم حدوث ذلك، والسبب يعود إلى غضبه وكبريائه الكبيرين.

بصوت منخفض قالت جينا: «أنا لم أسامحه على ذلك بعد».

- سوف تفعلين ذلك عندما تشعرين أنك مستعدة. إذا كنت أنا قد

www.rewayti.net

استطعت فعل ذلك، فأنا متأكدة من أنك ستقدرين، لأنك محقة في ما قلته، أنا وأنت متشابهتان جداً. أنا أرقص وأنت ترسمين، هذا هو الفرق الوحيد.

مرّرت ليونورا يدها فوق شعرها الرمادي قائلة بسخرية: «أنت وأنا لدينا عالم داخلي ينبض نشاطاً وحيوية. لكن تشارلز يعيش بسطحية، ولا يهمه سوى المظاهر، وما سوف يقوله الجيران».

فهتفت جينا فجأة قائلة: «المظاهر الخارجية؟ أتعنين كاسلراي؟».

- أجل. تلك الأبراج والخنادق والأسوار الحربية.

غرقت السيدتان في ضحكة قلبية عميقة. فكّرت جينا فجأة: هذه هي أمي! أنا وأمي جالستان في مطعم نضحك سوياً. قالت لها بإرهاق: «شكراً لكِ يا ليونورا، لموافقتك على لقائي اليوم. أحب أن أراك ثانية».

ابتسمت ليونورا قائلة: «لمَ لا تخطط لقدومك أنتِ إلى نيويورك؟ بهذه الطريقة، إذا مللت مني، فهنالك الكثير من المعارض لتذهبي وتريها».

- لا أعتقد أنه من الممكن أن أملّ منك.

قالت جينا ذلك صادقة، ثم أخرجت دفتر مواعيدها. بعد أن حدّدا موعد الزيارة قالت ليونورا: «أريد أن أضيف أمرين: إن تشارلز سعيد جداً لكونه عقد الصلح مع ترافيس، وأنا أعتقد أن والدك، وبطريقته الخاصة، يبذل قصارى جهده من أجل الصلح معك أنت أيضاً».

التوت ابتسامة جينا: «أيفعل ذلك من خلال شرائه للوحة ملائمة لديكور منزله؟».

- إنها مبادرة تعني أكثر بكثير مما تبدو عليه.

قالت جينا بنبرة جافة: «سأبقي هذه الفكرة في رأسي. ما هو الأمر الثاني؟».

- سوف يغادر قطاري بعد وقت قصير. أنا مضطرة للمغادرة يا جينيسا.

نهضتا عن كرسييهما للمغادرة. قدمت جينا لليونورا الهدايا التي جلبتها لها من حديقتها، وشعرت بأنها تكاد تختنق بسبب الفرحة التي ظهرت على وجه ليونورا. بسرعة، وقبل أن تسنح لها الفرصة لتغيير رأيها، عانقت جينا والدتها،

ثم تراجعت إلى الوراء بالسرعة نفسها.

ظهيرة اليوم التالي، وفي غرفته في بيكون هيل، أخذ برايس بإلقاء بعض الثياب في حقيبته استعداداً لسفره إلى طوكيو وأوساكا. لم تكن أفكاره مركزة في العمل الذي يقوم به، بل دار معظمها حول جينا.

يجب عليه السيطرة على هذا الوضع، فكّر برايس. لقد استحوذت جينا على أفكاره ليل نهار، وذلك بالطبع من دون فائدة. كلّ ما أراده هو فقط علاقة عاطفية معها، ولكن العلاقة هي مرادف التخلي والهجران بالنسبة لجينا.

رنّ جرس الهاتف، فاتجه برايس إلى المنضدة الموضوعة قرب سريره، ورفع السماعة وهو مستاء من الإزعاج. قال بفظاظة: «برايس لاريبي».

- مرحباً، برايس! هذه أنا، جينا.

قرعت الطبول داخل صدره. أفلت الجوارب التي يحملها في يده لتسقط على السرير، وقال: «يا لها من مفاجأة جميلة!».

- برايس، أنا . . . هل تملك دقيقة من الوقت؟

جلس على السرير فوق جواربه مفكراً: من أجلك لدي طوال الليل والنهار، ثم أجابها بخفة: «أنا أعد حقيبتي من أجل رحلة إلى اليابان. لكنني أستطيع توفير بضع دقائق لك».

- آه! أريد أن أشكرك على إرسالك شريط الفيديو لي.

- هل شاهدته؟

أجابته باستياء: «الشريط يكاد يبلى لكثرة ما شاهدته. أنا . . . سبب اتصالي بك هو أن الشريط جعلني أتصل بليونورا. التقيتها بالأمس، في بوسطن، حيث أتت من أجل عملها. تحدثنا حوالى الساعتين. الشعور بذلك رائع يا برايس. لهذا السبب أنا أتصل بك الآن لأعبر لك عن امتناني».

إذاً هي لا تتصل لتخبره بموافقتها على إقامة علاقة معه. سألها بحدة: «أما زلت الآن في بوسطن؟».

- كلا، أنا في المنزل.

لم تحاول الاتصال به وهي في المدينة. كبت برايس خيبة أمل قوية، وسألها:

www.rewayti.net

«جينا، لمَ لا تأتين إلى المدينة نهار السبت المقبل؟ باستطاعتنا الذهاب إلى البحر، السباحة، وتناول العشاء قرب المحيط».

أجابته بنبرة عدائية: «أنا لا أزال عذراء يا برايس. هذا الواقع لم يتغير. وأنا لست مغرمة بك. هذا الواقع أيضاً لم يتغير».

سألها بصوت أجش، متسائلاً عما إذا كان يتخطى المعقول: «إذا حجزت لنا شاليه في كايب آن، هل تلعبين معي للإقامة فيه؟

أجابته باستسلام: «آه، برايس! أنا فعلاً لا أعلم ماذا أفعل».

لم تعطه جينا الجواب الذي يريده. قال لها بهدوء: «أنا سعيد حقاً لاتصالك بليونورا، ولأنك اتصلتِ بي لتشكريني، كوننا لا نفعل شيئاً سوى المجادلة».

– نحن لا نتجادل، نحن نتواجه... أليست هذه هي الكلمة الدقيقة لوصف ما بيننا؟

– أنا لا أعتقد أن أي كلمة دقيقة تكفي لوصف ما يحدث لي في كلّ مرة أراك بها. اللعنة يا جينيسا! أنا غير قادر على إزالتك من تفكيري.

أجابته بنبرة غير واثقة: «إذاً لنقم بتمضية عطلة نهاية الأسبوع سوياً».

أخبرها الحقيقة يا برايس! شعر بصوت داخلي يقول له ذلك فقال: «أنا لم أشعر في حياتي بهذا الاضطراب أو الهوس. لم تجعلني أي امرأة من قبل أخرج عن أطواري. لا أعرف ما الذي يعنيه هذا سواء لي أم لك».

أجابته بصوت خفيض: «حسناً! أنا موافقة».

وجد برايس نفسه يبتسم ابتسامة عريضة لدرجة آلمت وجهه. قال لها وهو يفيض حماسة: «سوف أمر وآخذك من وينسبرينغ صباح السبت عند الساعة التاسعة».

– أليس الوقت مبكراً؟

– إذا كنّا لا نملك من الوقت سوى نهاية الأسبوع، لا أريد أن أضيع أي لحظة منها.

قالت له بغموض: «لديك رقم هاتفي إذا أردت أن تغير رأيك».

– أنا لن أغير رأيي، وكذلك أنتِ. إلى اللقاء الآن.

لم يشعر برايس بالثقة التي أوحى بها صوته. مدّ يده وأخذ دليل الهاتف. من دون أي ندم أكمل ما بدأ به وقام بحجز أفخم شاليه في المنتجع. بعد ذلك رمى جواربه في حقيبته.

سوف تكون لديه عطلة الأسبوع بكاملها ليمضيها مع جينا الجميلة، المحبة للجدل. يجب عليه أن يضيف صفة أخرى إليها، كما فكّر وهو يقفل كمبيوتره المحمول: الشجاعة! جينا اتصلت بوالدة لا تعرفها، لتقيم ولو بشكل متردد، علاقة جديدة معها. هذا الأمر يتطلب الجرأة، وهو بالتأكيد ليس تصرف امرأة راكدة في مكانها.

إذاً، في أي خانة يضعه هذا الأمر؟ فهو لم يحاول، ولو لمرة أن يقوم بتعقب آثار أمه أو أبيه. لكنه يدرك السبب، فهو غير قادر على إحياء ذكريات العنف التي روّعته كطفل صغير: الصراخ، والضرب ونوبات العنف والغضب... تلك الذكريات لا تزال مدفونة بعمق داخل عقله، منتظرة من يعيد إحياءها.

الشعور الأسوأ هو الإحساس الدائم بالتعرض للخيانة. لقد أحب برايس أمّه، اعتبر أن شعورها بالحب تجاهه هو من المسلمات. لكنها تخلت عنه وتركته بأعصاب باردة، وكأنه ليس أكثر من قميص قديم رمته على الأرض.

لقد دفن ألم تلك الخيانة، أيضاً. لكن ألم يشكل هذا سبباً إضافياً لجعل الارتباط، بالنسبة له، كلمة محرّمة؟

www.rewayti.net

١٠ - عطلة في النعيم

أوقف برايس سيارته أمام منزل جينا الصغير صباح يوم السبت ثم خرج من السيارة وركض متجهاً إلى باب المدخل المفتوح. دقّ على الباب، وناداها: «جينيسا!».

- ادخل، يا برايس!

شاهد قرب الباب الحقيبة التي هيّأتها لرحلتهما موضوعة على الأرض. بعدئذٍ خرجت جينا من غرفة نومها وابتسمت له ابتسامة خلاّبة. ارتدت بنطلوناً ضيّقاً أبيض اللون وبلوزة زرقاء ذات قبّة منخفضة أظهرت رشاقة جسدها، وفوقهما قميصاً حريرية مفتوحة.

سار برايس نحوها، ولفّ ذراعيه حولها، وعانقها. كبتت جينا بصعوبة جماح نفسها وهي بين ذراعيه، وتمتمت: «في لحظة أشعر أنني أريد الالتصاق بك ومعانقتك، وفي اللحظة التالية أشعر أنني أريد الابتعاد والهروب إلى تلال بيركشاير».

رفع برايس ذقنها وأجابها بكل قوّة الإرادة التي يمتلكها: «الهروب بعيداً والالتصاق بالآخر هما وجهان مختلفان لعملة واحدة».

رمشت عينيها موافقة: «أعتقد أنك على حق».

- قريباً، سنذهب سوياً إلى تلال بيركشاير. أعرف نزلاً رائعاً هناك قرب النهر. فطيرة الشوكولا لديهم لذيذة جداً.

أخذت جينا تلعب بأحد أزرار قميصه، وقالت: «أنا لا أعرفك على الإطلاق. لا أعرف شخصيتك».

أجابها بنعومة كبيرة: «لهذا السبب نحن ذاهبان لنمضي وقتاً سوياً، لكي

نتعرف على بعضنا البعض. أهذه الحقيبة هي كلّ ما ستأخذينه معك؟».

- سآخذ أيضاً عدّة الرسم. أنا لا أذهب إلى أي مكان من دونها.

- فلنتطلق إذاً! معي إبريق قهوة حافظ للحرارة، وقطعتان من الحلوى الدانماركية في السيارة.

- عندما تفشل كلّ الطرق، جرّب الحلوى؟

ضحك قائلاً: «هل حلوى العلّيق الدانماركية هي الطريق إلى قلبك؟ أرأيت؟ بدأت بتعلم الأشياء عنك».

- هذه بداية جيّدة. والآن دعنا ننطلق، فأنا أريد أن أتنشق رائحة المحيط.

بعد أربع ساعات على الانطلاق، أوقف برايس سيارته الجاغوار قرب شاليه مبني من خشب الأرز ومسيّج بأشجار دائمة الخضرة. الأمواج المتكسرة على الشاطىء، لم تكن عالية وعنيفة، وإيقاعها الهادىء المنخفض انساب كالموسيقى الناعمة في أذنيه، وحلّق فوق رأسيهما طائر نورس.

خرج برايس من سيارته. مدّ رجليه ليريحهما، ثم فتح الصندوق ليخرج حقائبهما. أدرك بالضبط ما الذي يريد أن يفعله، والطريقة التي سيقوم بها بهذا الأمر. سألها بشكل عادي: «أتريدين أن أجلب لك عدة الرسم؟».

منذ أن توقفا لتناول الغداء، ساد الصمت الشديد على جينا. سار برايس إلى داخل الشاليه، متأملاً بإعجاب موقد النار، الأرضية الخشبية المصقولة، والأريكة المريحة الموضوعة قرب النوافذ الواسعة المطلة على المحيط. بسرعة، أغلق برايس الستائر. ثم سار باتجاه جينا، حملها من دون لباقة إلى الأريكة، وجلس إلى جانبها. قال وهو يضحك: «أمسكت بك».

- أنا . . .

أحاط جسمها بذراعيه القويتين وعانقها قائلاً: «لِمَ لا تغمضين عينيك وتتخيلين أن هذا المكان هو المكان الذين تريدين أن تكوني موجودة فيه؟».

ضحكت له بشكل خطف أنفاسه: «لكنه فعلاً المكان الذي أريد أن أكون فيه. . . . فعلاً يا برايس».

بدا عطرها ناعماً، وكل ما فيها رائعاً جداً. شعر برايس بالفوضى تغزو

www.rewayti.net

حواسه فتربكها.

لفّت جينا ذراعيها حول عنقه وقربته منها، حتى شعر بأن صدره سينفجر من فرط السعادة، وراح قلبه يطرق بقوة. شعر برأسه يدور، فقال بخشونة: «أنت تقوديني إلى الجنون».

همست جينا: «أنت الرجل الوحيد الذي يثير فيّ هذه المشاعر القوية».

- وأنا أشعر أنك المرأة الأولى والوحيدة التي أريد أن أكون معها.

شعر برايس بالحنان يتغلب عليه. بدا له شعوره هذا أكثر غموضاً واتساعاً من المحيط. لم يحاول إخفاء هذا الشعور، ولم يدرِ إذا ما كان قادراً على إخفائه. الحنان هو شعور جديد عليه، كما أن هذه التجربة جديدة على جينا.

وضع يديه حولها واحتضنها قربه، مدركاً في داخل قلبه أنه لا يريد تركها أبداً.

قالت جينا بابتسامة مشعة: «لا أستطيع أن أخبرك بمدى سعادتي لأنني معك».

بماذا يستطيع أن يجيبها؟ قال بتواضع: «هذا شرف لي».

الحنان، التواضع، الشرف... ما الذي يحدث له؟ لن يحلل ما يحدث الآن وجينا ساكنة بثقة بين ذراعيه. وسعادتها تبدو جلية عليها.

ابتعد قليلاً عنها وسألها: «هل ترغبين بكوب من العصير؟».

أجابت جينا وهي تبعد خصلة من شعرها إلى الخلف: «لمَ لا؟».

سكب برايس العصير لكليهما في كوبين وضعهما على طاولة قرب الأريكة.

لمح صورته المنعكسة في المرآة المعلقة على الحائط. بدت له كما تبدو دائماً: عينان، فم، أنف وشعر، وكلّها في أماكنها المعتادة، لكن شعوره كان مختلفاً. شعر كأن أحدهم ضربه على مؤخرة رأسه. أهذا كله من فعل امرأة واحدة؟!

عندما جلس بقربها فتحت جينا ذراعيها له، بحركة بسيطة حطّمت كلّ وسائل الدفاع لديه. احتضنها بشغف وشدّها بقوة إليه. تمتم برقة: «يا إلهي! أنا لا أكتفي من عناقك».

عانقها من جديد، وهذه المرة بدت جينا واثقة أكثر من نفسها. لا شيء يتعلق بجينا هو أمر عادي، ولا شيء من تجاوبه هذا معها عادي أيضاً.

مسّد برايس بأنامله أنحاء فكها قائلاً: «لا أريد أن أبدو شرهاً، وأعلم أننا تناولنا الغداء ونحن آتيان، إلا أنني أتضوّر جوعاً».

سارا متشابكي اليدين نحو البهو الأساسي بحثاً عن مكان لتناول الطعام. خلال تناولهما الطعام، أخبرته جينا عن الوقت الذي أمضته في نيويورك مع ليونورا. أخبرته عن صالات العرض التي زارتاها، وعن ذهابها إلى معهد الرقص حيث تدرّس أمها الرقص الحديث، وعن أحاديثهما التي لم تنتهِ وهما تحاولان ردم الهوة التي صنعها البعد بينهما، وعن عناقهما الشديد في المحطة عندما غادرت جينا عائدة إلى منزلها. اختمت جينا حديثها: «يجب عليّ أن أشكرك يا برايس. لو أنك لم ترسل لي ذلك الشريط لكنت لا أزال غريبة عن أمي».

أجاب بهدوء: «أنا لا أشك في أنك كنت ستقومين بالمبادرة للصلح عاجلاً أم آجلاً».

- لربما آجلاً، لكن ليس عاجلاً بالتأكيد. لم تستصعب قبول عرفان الجميل إلى هذه الدرجة؟

لأنه خطوة أخرى باتجاه نوع من التقارب الكبير أنا غير مستعد لخوضه! أجبر نفسه على الابتسام مجيباً: «على الرحب والسعة».

صباح اليوم التالي، بعد تناولهما الفطور، غرقت جينا في النوم على الأريكة، أما برايس فجلس في الكرسي المقابل لها متظاهراً بالقراءة، فيما أخذ يتأمل وجهها النائم وكأنه سيمده ببعض الأجوبة، أو سيعطيه بعض الدلائل عما يحدث.

إذا كان الهدف من قضاء هذه العطلة سوياً هو التعرف أكثر إليها، فلقد وصل إلى ما يصبو إليه بنجاح.

أقسم برايس منذ وقت طويل، على عدم الارتباط بالزواج، وهذا يعود إلى ما يمكن أن يحدثه الزواج من ضرر. تراقد مع هذا العهد، عهد آخر بعدم

www.rewayti.net

الحصول على ولد من صلبه وجلبه إلى هذا العالم. لم يكن برايس مغفلاً ليعتقد أن كلّ الزيجات مصيرها كزواج والديه، أو أن كلّ الأولاد غير سعداء، فخلال السنة المنصرمة أثبت له ترافيس وجولي ثم سامانثا زيف ذلك الاعتقاد. لكن الارتباط من أي نوع كان يجعله يشعر كمن وقع في فخ، أو حبس في قفص...

شعر برايس بالارتياح عندما استيقظت جينا، وعبّرت عن رغبتها بالذهاب للتنزه على شاطىء البحر. عندما عادا من نزهتهما، خلعا سترتيهما الرطبتين بسبب الضباب، وأخرجت جينا عدة الرسم. بعد حوالى ثلاثة أرباع الساعة سألته بخجل: «أترغب برؤية ما رسمت؟».

رسمت جينا الشاطىء والمحيط مستخدمة الألوان المائية. اختفى الرمل داخل المياه، و بدا البحر متوارياً خلال الضباب. خلّت لوحتها من الزوايا الحادّة، وذابت كلّ التفاصيل داخل بعضها البعض. قال لها برايس: «لقد رسمت شعورك وأنتِ بين ذراعي».

- فهمت تماماً ما أردت قوله.

- هل تعطينني هذه اللوحة، يا جينيسا؟

- تمنيت أن تطلب هذا مني.

قال لها بصوت أجش: «سوف نغادر هذا المكان بعد قليل، وأنا أرغب في أن أعانقك قبل أن نغادر».

- تمنيت أيضاً أن تطلب مني هذا الأمر.

عانقها برايس بقوة وشغف وكأنه يسعى لترك بصماته عليها. بعد قضاء فترة بين ذراعي بعضهما البعض، قال برايس: «سأكون خارج المدينة طوال هذا الأسبوع أيضاً، سأذهب إلى تكساس ثم إلى ماريلاند. هل أستطيع الحضور إلى منزلك عندما أعود نهار الجمعة؟».

تحت سؤاله المبطّن، شعرت جينا بحاجته إلى البقاء معها في عقر دارها. سألته وهي ترمش له بجفنيها: «أتعني أن علي الانتظار طيلة هذه المدة؟».

- باستطاعتي قضاء عطلة نهاية الأسبوع بكاملها في ويلسبرينغ. كما أنني

سأتصل بك من تكساس.

أضاءت البسمة وجهها: «إذاً أنا موافقة على الأمرين».

شعر برايس للحظة بأن مسحة من الألم تعبر ملامح جينا، غير أنها اختفت قبل أن يتأكد مما رآه.

- عزيزتي جينا، نهار الجمعة لا يبعد سوى خمسة أيام عن اليوم.

رمشت عينيها عجبية: «الخمسة أيام تساوي مئة وعشرين ساعة. وأنا أكره الابتعاد عنك».

www.rewayti.net

١١ - عودة الأب

صباح الإثنين وجدت جينا نفسها في مواجهة قماشة الرسم الفارغة.

لم تقدر أي من الرسومات الأولية التي أعدّتها على مقاربة المشاعر المضطربة في داخلها؛ مشاعرها تجاه الأم التي لم تعرفها يوماً، والحبيب الذي لم تحظَ به. هذه الفجوات داخل نفسها امتلأت الآن بدفء روح ليونورا وشغف برايس. أغمضت عينيها فاستطاعت أن تشعر بقوة ذراعيه وهما تحيطان بجسدها، وأن تسمع البحّة في صوته وكأنه يقف قربها.

لكنه ليس بقربها، إنه في طريقه إلى تكساس. وعوضاً عن الوقوف بقربه، كانت تقف بجانب لوحة الرسم، وهي تتوق لاستخدام الألوان والمواد المختلفة لنقل التبدلات الضخمة التي حصلت في الأيام الماضية.

حاولي يا جينيسا! حاولت، مستخدمة مختلف الألوان من الأحمر القاني والأزرق المشع إلى الأصفر الرصاصي، والأخضر الغامق، والبنفسجي. بذلت أقصى ما بوسعها، لكن فرشاتها وسكينها، يديها وعينيها لم تقدر على ترجمة ما أرادت أن تظهره.

حاولت جينا بكل قوّتها. وضعت بعض الموسيقى المكسيكية في جهاز تشغيل الأسطوانات، ورقصت في الغرفة. ضحكت على نفسها لافتقارها إلى الرشاقة التي تتحلى بها ليونورا، ثم حاولت ثانية. حاولت مراراً وتكراراً، وأخذت تلطخ اللوحة بالألوان وتكشطها، فوصلت إلى القليل مما أرادت الوصول إليه، غير أن بقية اللوحة لم تكن إلا فوضى عارمة. شعرت أن ظهرها بدأ يؤلمها والجوع أخذ يقرص معدتها.

ألقت نظرة سريعة على ساعتها... إنها الرابعة والنصف! لا عجب إذاً من

شعورها بالجوع...

صباح الأمس، أطعمها برايس شرائح الشمّام من يده فيما بدت عيناه عاصفتين. برايس الذي احتل أفكارها وكيانها عاصفاً بها ومبدّلاً إياها بشكل لا تقدر على التعبير عنه.

لعلها تشعر بالخوف من هذه القوة التي سيطرت عليها، كما تخاف من اللوحة التي لم تكملها بعد. لقد سمحت لبرايس بالدخول إلى حياتها وهي تدرك تماماً أنه سيتخلى عنها في مرحلة ما. ليس اليوم، ولا الأسبوع المقبل، لكن يوماً ما سيرغب برايس بمتابعة سيره نحو نساء أخريات، وسوف تصبح هي وحيدة أكثر مما كانت عليه طوال حياتها. لقد تعودت على وحدتها الماضية لأنها لم تعرف غيرها لكن هجر برايس لها، هو أكثر مما تتحمله، ومجرد التفكير بذلك يخيفها حتى الموت.

لم تكن واثقة من قدرتها على تحمل صدمة كهذه، ولم تدرِ ما الذي تحاول أن ترسمه، الشغف، أم الخوف؟

بحركات تدل على قرفها نظفت جينا فراشي الألوان، ونظرت إلى اللوحة، ثم سارت باتجاه المطبخ. المعكرونة بالجبنة المحضّرة سابقاً، والسلطة المعدّة من خضار حديقتها، جعلتاها تشعر بمال أفضل قليلاً.

أمضت أمسيتها وهي تهتم بأبناء صديقيها سوزان ودايفي، اللذين يسكنان قرب منزلها، في نهاية المرجة. الاهتمام بثلاثة صبيان لم يتجاوزوا العاشرة من أعمارهم بدا لها أكثر من كافٍ لتحويل تفكيرها عن الهجر، والإبداع... وبرايس.

عندما عادت إلى منزلها، وجدت رسالة صوتية مسجّلة على جهاز الهاتف. قال برايس قبل أن يترك لها رقم غرفته في الفندق: «إذا عدت قبل منتصف الليل اتصلي بي».

نظرت إلى الساعة، فإذا بها العاشرة وثمانٍ وأربعون دقيقة. بسرعة، طلبت الرقم، ثم سمعت صوته عبر الهاتف: «برايس لاريبي».

قالت له: «كم أتمنى لو أنك هنا».

www.rewayti.net

– سوف أسافر ظهر نهار الجمعة. لمَ لا تقومين بالحجز لتناول العشاء في مطعم قريب من منزلك؟

– لقد قمت بذلك.

سألها بشك: «أيقدمون طعاماً جيداً؟».

– لديهم أفضل الأنواع . . . فالطاهية شقراء.

– من المفترض أن تقومي بالرسم، لا بالطهو.

أجابته بوجوم: «لا تذكر الرسم أمامي. أخبرني كيف كانت اجتماعاتك؟».

تحدثا حوالى النصف ساعة، ثم قال برايس بشكل مفاجىء: «من الأفضل أن تذهبي للنوم يا جينا. حاولي أن تحصلي على أكبر قدر ممكن من النوم هذا الأسبوع».

شعرت جينا بالضعف في ركبتيها وبالألم من شدة الشوق إليه. قالت له: «سوف أنهي مخابرتي هذه كما بدأتها، كم أتمنى لو أنك هنا».

– سوف أكون هناك، لكن ليس بالسرعة التي أتمناها. إلى اللقاء.

ليس بالسرعة التي أتمناها! تلك ليست كلمات تصدر عن رجل ينوي التخلي عنها.

ذهبت جينا إلى فراشها محتضنة رنّة صوته والكلمات المغرية التي رسمها في خيالها. عاود برايس الاتصال بها نهار الأربعاء. على الرغم من ذهابها إلى مهمتها المعتادة في الملجأ، وذهابها للسباحة بعد ظهر الخميس، أمضت جينا ساعات في المرسم ذلك الأسبوع. قامت ببعض البدايات الواعدة، إلا أنها عادت لتشعر بفشلها وعدم امتلاكها للقوة المطلوبة.

مساء الخميس تحدثت مع ليونورا، التي نصحتها أن تواظب على عملها، وعندما تشعر أنها فعلاً هزمت، عليها أن تأخذ نفساً عميقاً وتواظب أكثر.

بعد أن أنهت جينا المخابرة، سارت إلى المرسم حيث وضعت اللوحات الأربع بالصف. وجدت الألوان صارخة جداً، واللوحات تميل إلى الاحمرار كأنها مصابة بحمى. فكّرت وقد ضيّقت عينيها، غداً سوف تحاول استخدام

الألوان الغامقة، فلربما تصل إلى ما تريد.

في ضوء الصباح الباكر، عملت جينا وكأنها مصابة بمس. امتزجت على القماشة ألوان الأسود المائل إلى الزرقة، الأسود الأبنوسي، والأسود السخامي بشكل مشوّش. رسمت ظلالاً ذات خلفية مضيئة بمشحات الأبيض والقرمزي المتوهج الذي بدا كالدم. توقفت فجأة عن الرسم، وأخذت تنظر إلى اللوحة. أسود، أبيض وأحمر، لقد رسمت لوحة تقليدية، فكّرت وهي تكاد تصاب باليأس. ما الذي تفكر فيه بحق السماء؟ ما هو العنوان الذي يصلح للوحة كهذه؟ الصراع للإفصاح عن مشاعر غير مفهومة بعد؟

شعرت بالتعب وشدّة التأثر من دون أن تعلم السبب، فتركت اللوحات في الضوء وخرجت إلى الحديقة. إزالة الأعشاب الضارة ساعدتها، كالعادة، على تحسين مشاعرها. أثلام الشمندر التي زرعتها عوضاً عن تلك التي أتلفها برايس ابتدأت بالنمو.

سوف يعود برايس هذه الليلة. سيأتي إليها . . . إلى حيث ينتمي. جمدت أصابع جينا عند تلك الفكرة. أجل، إنّه ينتمي إليها، لكن لفترة مؤقتة، يجب ألا تنسى ذلك. برايس رجل سوداوي، يحتفظ بالكثير من الأسرار التي لا ينوي مشاركتها إياها.

عند حلول الساعة الخامسة من بعد ظهر نهار الجمعة، كانت أعصاب جينا في حالة سيئة. ما الذي سيحدث إذا ما عجزت وبرايس عن الإحساس بنفس النعمة التي شعرا بها بالقرب من بعضهما الأسبوع الماضي؟ ماذا لو كان برايس قد أمضى الأسبوع برفقة سيدات أعمال محنكات وجذابات، يعرفن الهدف ويرين أن العلاقات هي الطريقة الجيدة الوحيدة؟ ماذا لو أن افتقادها للخبرة لم يعد يجذبه؟

هي ليست فتاة مدينة محنكة، إنها فتاة تشقى وتعمل دافنة نفسها في الريف.

فتاة لم تعد تملك السيطرة على حياتها. لقد أدخلت برايس إلى هذه الحياة، فاختفى معه كل أمل في السيطرة. عضّت جينا شفتيها وهي تضع اللمسات الأخيرة على طاولة العشاء التي وضعتها على الشرفة المسيجة.

www.rewayti.net

تطل الشرفة على الحديقة، وقد تدلت من سقفها عرائش العنب التي أضفت برودة على الهواء وزيّنت الظلال باللونين الأخضر والذهبي. بدت الصلصة التي أعدّتها للمعكرونة مثالية، أما السلطة فأعدتها بكاملها من خضار حديقتها، كما حضّرت قالب شوكولا ناعماً كالمخمل. ارتدت جينا تنورتها المنقشة بالزهور والبلوزة ذات الربطة حول عنقها، ورفعت شعرها كعقدة في مؤخرة رأسها، فأخذت الخصل المجعدة تداعب قفا عنقها. ماذا لو أن حادثاً حصل لبرايس في طريق عودته؟ ماذا لو تحطمت الطائرة؟ ماذا لو لم تعد لديها أفكار لترسمها؟

بعد قليل، توقفت سيارة في الممر المؤدي إلى المنزل، وسمعت صوت عجلاتها تحف بالحصى. تسارعت ضربات قلبها، وأسرعت باتجاه باب المدخل. صعد برايس درج المنزل قاطعاً كلّ درجتين سوياً، وقد تدلّت سترته فوق ذراعه، وبدت ربطة عنقه مرخية، وهو يحمل بإحدى يديه حقيبة تحتوي أغراضه للمبيت خلال العطلة وباليد الثانية وروداً. عندما خرجت جينا إلى الشرفة، توقف برايس في مكانه ورفع رأسه ناظراً إليها: «كلّ مرة أراك فيها تزدادين جمالاً».

اختفى القلق من داخلها كأنه لم يكن. نظرة عينيه وحدها بدت كافية لها لتطمئن بأنها جذابة ومحبوبة. قالت له: «الورود... الكثير من الورود!».

– أجل... أعرف أن لديك حديقة مليئة بها، لكنها تذكرني بلون وجنتيك.

سار برايس إلى الداخل، ورمى حقيبته على الأرض، والسترة والورود على أقرب كرسي، وأخذها بين ذراعيه. جاء عناقه طويلاً، معبراً ومليئاً بالشغف.

تنهدت جينا وقالت له: «خشيت أن تغير رأيك بعد سفرك».

ابتسم لها قائلاً: «اشتقت إليك أكثر فأكثر، وأنا واثق من أنك لاحظت مدى شوقي، لكنني أحتاج للاستحمام والحلاقة. أنا لم أكلّف نفسي عناء الذهاب إلى منزلي، بل أتيت مباشرة من المطار».

أجابته جينا بابتسامة خجولة: «وفرت علي بذلك بعض القلق».

تنشق عطرها قائلاً: «رائحتك شهية. هل تعطيني بعض الوقت لأستحم قبل العشاء؟».

أجابته وضحكتها دفقٌ من السعادة المطلقة: «خذ الوقت الذي تريده. الحمام هو في ذلك الاتجاه. دعني أجلب لك بعض المناشف».

خلع ربطة عنقه نهائياً، ورماها فوق سترته قائلاً: «باستطاعتك أن تعانقيني ثانية، قبل ذلك».

– إذا عانقتني بقوة كما فعلت منذ قليل، لن أستطيع إيجاد الحمام ولا المناشف.

– أنا مستعد لهذه المخاطرة.

تمتم برايس بذلك قبل أن يطبق ذراعيه حولها ويغرقها في عناق حميم. كان جسدها يرتجف عندما أفلتها من بين ذراعيه. أما هو، فراح النبض في عنقه قرب فتحة قميصه يقرع بقوة تحت جلده: «أعدك أنني لن أتأخر».

قال ذلك، ثم أمسك حقيبة عدّة الحلاقة الجلدية وتوجه إلى الحمام.

جدت ضحكة سخيفة على وجه جينا التي وضعت الورود في الزهرية، عندما سمعت صوت المياه الجارية في الحمام.

تناولا العشاء على ضوء الشموع، فيما عبق عطر الحديقة مالئاً الجو حولهما. بعد احتساء القهوة، دخلا لغسل الصحون. في خضم عملية التنظيف، مدّت جينا يدها من حول برايس لتجلب مقلاة الصلصة، فأمسكها من خصرها وفجأة وجدا نفسيهما غارقين في عناق محموم.

قالت جينا، وذراعاها تلتفان حول عنقه، والسعادة تتدفق في شرايينها: «أنا سعيدة لأنك هنا يا برايس. لقد اشتقت إليك كثيراً. طوال الأسبوع شعرت كأنني مسجونة في غرفة من دون قلم أو ألوان.. وكأن جزءاً مني ينقصني».

ابتعد برايس عنها فجأة، وقال: «من الأفضل أن يذهب كل منا إلى النوم الآن».

– هل قلت شيئاً لا يجدر بي قوله؟

www.rewayti.net

– اللعنة يا جينيسا! أنا لا أعلم.. فقط لا أعلم...

– أنا لن أخفي مشاعري عنك يا برايس، فهي جزء مني.

– أنا لا أطلب منك إخفاءها، لكن كوني حذرة. هذا كلّ ما أقوله.

كيف يمكنها أن تحذر من مشاعرها وممّا تحسّه في قلبها؟ تمنت لو أنها أبقت فمها مقفلاً. وبعد حوالى الخمس دقائق كانا غارقين في النوم.

استيقظ برايس حوالى الثالثة صباحاً. استلقى من دون حراك في السرير الغريب عنه، مستمعاً إلى صوت السكون.

يقع منزل جينا في منطقة محاطة بمرجة في ضيعة صغيرة. لذلك فإن الضوء الوحيد الذي ينير العتمة هو ضوء النجوم. لربما كان عليه التفكير أكثر من مرتين أو ثلاث قبل التورط في علاقة كهذه. جينا ليست كالنساء الأخريات اللواتي عرفهن، اللواتي يأتين ويذهبن بسهولة. إنها امرأة شديدة التأثر، ولديها مشاعر عميقة جداً لدرجة أخافته كثيراً.

هذه ليست فكرة مطمئنة لرجل عاش مع والدين شكل زواجهما مصيبة متنقلة، وهو يدرك المعنى الدقيق لألم الهجر.

بعد نصف ساعة، شعر برايس أنه نشيط، فخرج من السرير، وسار في المنزل متوجهاً إلى الحمام. فجأة، وفي طريق عودته إلى غرفة النوم، شعر بحافز لم يفهمه دفعه للدخول إلى مرسم جينا.

وجد هناك ستة حوامل للوحات. خمسة منها عليها لوحات. بحذر تلمس الحائط وصولاً إلى زر الكهرباء. لمع الضوء منيراً الغرفة، فمسح برايس بنظره اللوحات التجريدية الأربع الغنية بالألوان وصولاً إلى اللوحة التي أمضت نهارها تحت ضوء الشمس، فانقبض قلبه. شعر فجأة بالبرد، فلف ذراعيه حول صدره، وأحنى رأسه باتجاه كتفه. طوال دقيقة كاملة وقف في مكانه، كشخص ينتظر العاصفة الثانية.

كيف يمكن للألوان الزيتية المرمية على القماش أن تؤثر فيه بهذا العمق؟ دوّامات الظلال التي رسمتها جينا التقطت رعبه الطفولي بسبب العيش مع رجل قد ينفجر بعنف في أي لحظة، ولأي سبب قد لا يفهمه صبي صغير. ضربات

اللون الأحمر بدت سهلة التفسير، فكّر برايس بوجوم. ففليتشر أحب الرسم بالدماء، أما أشباح اللون الأبيض المضيئة فوق الظلال فقد ذكرته بأمه. لقد امتلكت أمه ابتسامة مضيئة كنور النهار، هو يذكر ذلك... لكن ألم يحولها فليتشر هي أيضاً إلى حطام؟

أيقظت فيه لوحة جينا أشباح ماضية، فكّر برايس والألم يعصر جوفه. أهي صدفة أم أن جينا تعرف ذلك كله عنه؟ بدا له كأن الأسرار التي حرسها طوال عمره لم تعد ملكاً له بعد الآن.

www.rewity.com
RAYAHEEN

www.rewayti.net

١٢ - الاعتراف ...

صوت خافت وراء برايس جعله يجفل ويلتفت، ونبضات قلبه تتسارع. عند الباب المفتوح على مصراعيه وجد جينا واقفة، تمسك عتبة الباب بإحدى يديها والتعاس يغطي محياها. قالت له: «استيقظت لكي أشرب ورأيت النور مضاءً».

نظر إليها بصمت قابضاً على كتفيه بشدة. الغضب كان أقوى المشاعر التي تغلي في صدره، وخلال جزء من الثانية قرّر برايس ما سيفعله.

يجب عليه إخبارها بكل شيء، حتى لو عنى ذلك تهدّم الحائط الدفاعي الذي بناه خلال سنين طويلة، وكأنه لم يكن. انطلقت الكلمات خارجة من فمه: «أنا لم أخبرك يوماً بأي شيء يتعلق بطفولتي أوكيف نشأت، فهل أنت ساحرة؟».

أجفلت جينا لدى سماعها كلماته، وانتقلت نظراتها المصدومة من برايس إلى اللوحة: «أنا فقط....».

- لقد فهمت الموضوع بكامله. الخوف، العنف، الصراخ والشتائم. أدركت حتى كيف بقيت مع ذلك النذل، يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر.

همست جينا: «أي نذل؟».

- أبي، بالطبع!

أدار ظهره فجأة إلى اللوحة. بدا عليه أنه لم يعد قادراً على النظر إليها أكثر. أعاد كلمته مستفيضاً في الحديث: «أبي... فيلتشر لاربي. إنه أحد أسباب رفضي للزواج، أو لفكرة أن يكون لدي أطفال من صلبي».

بقيت جينا واقفة في مكانها. وبالرغم من بقاء رأسها مرفوعاً، إلاّ أن

برايس لاحظ من بعيد أن وجنتيها قد تحوّلتا إلى بياض يشبه البياض الموجود في اللوحة. سألته: «ما الذي فعله والدك يا برايس؟ وما الذي حصل لوالدتك؟».

- من؟ روز؟ آه! لقد غادرت. تركتني في ملجأ للنساء وذهبت، ولم تعد من أجلي. لا بد أنها نسيت أن لديها طفلاً.

بدت ضحكته عنيفة كلكمة أصابت الزجاج، وأكمل: «إنها السبب الآخر لرفضي الارتباط. كنت أعتقد أنها تحبني، فأنا كنت أحبها، لكنها خرجت من الباب مغادرة من دون عودة».

قالت جينا بصوت مترنح: «لهذا قررت ألا تحب أحداً آخر».

- عندما ذهبوا ليبحثوا عن والدي، لم يجدوه هو أيضاً. اختفى من دون أي أثر. من يدري؟ لربما غادرا سوياً... لربما أدركا أن حياتهما أفضل معاً من دوني.

اقتربت منه جينا من دون تفكير، لكن برايس تراجع بحدّة إلى الخلف، فوقعت يدها الممدودة إلى جانبها. سألها مطالباً بإجابة: «كيف استطعت أن ترسمي ذلك كله؟ كيف عرفت هذا بحق السماء؟».

- أنا لم أكن أرسمك يا برايس. حدث الأمر من دون تفكير... أنا فقط رسمت ما أوحته لي الفرشاة.

أجابها بخشونة: «الأمر يبدو وكأنك تعرفينني أكثر مما أعرف نفسي».

تمنّت لو أنها أدارت اللوحة لتواجه الحائط عوضاً عن تركها هكذا بحيث تكون أوّل ما يقع عليه نظر من يدخل المرسم. سألته بحذر: «هل كان والدك رجلاً عنيفاً؟».

- باستطاعتك قول هذا، إذا كنت تعتبرين ضربه لأمي نوعاً من العنف... وعلى الأرجح اغتصابها أيضاً، بالرغم من أنني كنت صغيراً على فهم هذه الأمور.

حاولت جينا جاهدة إبقاء صوتها طبيعياً وهي تسأله: «هل قام بضربك أنت أيضاً؟».

www.rewayti.net

- فقط بما يكفي لإبعادي عنه. كنت في الرابعة عندما غادرا. صغيراً على الدفاع عن أمي، لكن كبير بما فيه الكفاية لأعيش الرعب المستمر. لم يكن والدي يبدو سيئاً وهو غير غاضب، لكن عندما يغضب يتحول إلى شراسة قط جريح.

صدمتها تغلبت على لباقتها، فسألته: «هل أنت خائف من أن تصبح مثله؟».

- ولمَ لا أصبح مثله...؟ أنا أحمل جيناته، فهو أبي. أتعتقدين أن بإمكاني أن أزرع هذا الرعب في ولد من صلبي؟ من الأفضل أن لا يكون لدي طفل عوضاً عن المغامرة لإيجاد الجواب.

- برايس.. أنا لم أرَ أي أثر للعنف في داخلك.

بعد أن ابتدأ بالحديث، وجد برايس صعوبة في التوقف، فأكمل: «بعد حوالى الشهر من بلوغي الرابعة من عمري، غضب أبي بشدة ذات مرة، واقتحم باب المنزل، وتوجه إلى أمي مباشرة. حملت أنا الشاحنة التي كنت ألعب بها، وهي ذات حديد صدىء وزوايا حادة، وضربته بها على رجله بكل ملكت من قوة، فرماني عبر الغرفة فغبت عن الوعي. عندما استعدت وعيي وجدت أمي تنزف على الأرض، وهو قد اختفى.... في وقت متأخر من ذلك اليوم أخذتني أمي إلى الملجأ.

- ألم تأتِ الشرطة لتبحث عنه؟

أجابها برايس بسخرية مريرة: «لم يملك الناس الذين يعيشون في هذه الشوارع عادة الاتصال برجال الشرطة. وإذا ما فعلوا، فيسجل الأمر في سجلاتهم كحادثة منزلية أخرى، وهذه الحوادث كثيرة، فيما عدد رجال الشرطة قليل».

- إذاً... أنت كنت وحيداً، وما من أحد يمكنك اللجوء إليه.

أجابها بحدة: «أنا لا أطلب منك أن تشعري بالشفقة من أجلي. فأنت تعلمين، كما أعلم أنا، أنه لم يكن لدي أي نية في إخبارك أياً من هذه الأمور، لكن عندما رأيت هذه اللوحة.... على أي حال، الآن أنتِ تفهمين لماذا

أصبحت كلمة الزواج محرّمة عندي، وستبقى دائماً كذلك».

أجابته بضراوة: «إن أولاد الأهل العنيفين لا يتحولون بالضرورة إلى عنيفين هم أيضاً. ألم تقرأ أيّاً من الأبحاث حول هذا الموضوع؟».

أجابها: «ما أعرفه أنا، أعرفه بدمي. أنا لست بحاجة إلى تقرير يعده أكاديميون».

أجابته جينا: «إذاً، أنت من هو عالق في مرحلة ما».

لم تقصد جينا قول هذا. ارتفعت ذقنها أكثر قليلاً، وهي تنتظر إجابته.

خرجت أنفاسه كالفحيح من بين أسنانه، وبقيت قبضتي يديه مشدودتين إلى جانبيه، وقال: «ألست خائفة من البقاء بمفردك معي في المنزل يا جينيسا؟».

- كلا، أنا لست خائفة.

- ماذا لو قمت بتصرف غير مقبول؟ ما الذي ستفعلينه عندها؟

- هذا سؤال افتراضي، لأنه لن يحصل أبداً.

- أنت أكيدة جداً من نفسك.

قالت له بهدوء: «دعنا نعود إلى النوم، فأنت تشعر بالبرد».

انحفرت أخاديد على وجه برايس ممتدة من أنفه إلى زوايا فمه. بدت عيناه متجهمتين كسماء الشتاء، وبدا كل خط من خطوط جسده رافضاً لها: «اذهبي أنتِ إلى النوم. أنا سأبقى مستيقظاً قليلاً بعده».

للحظة، شعرت جينا ببعض الجبن داخلها. من تكون هي لتقوم بتحطيم حواجز عمر بكامله؟ حواجز أصبحت الآن أكثر من مدركة لها. قالت محاولة تهدئته: «يجب عليك أن توقن بأن اللوحة لا علاقة لها بماضيك. لكنني لن أعرضها أبداً، أو أبيعها. أعدك بهذا، لأنها غير مكتملة أصلاً».

- لقد أوشكت على خداعي..

أجابته بنبرة جافة: «إن اللوحة عمل لا يزال يتطور... مثلنا نحن، أنا وأنت».

أجابها بصوت خشن: «تحدثي عن نفسك فقط».

أدارت رأسها بقوة، فتأرجحت خصلات شعرها في الضوء: «لمَ لم تقم بأي

www.rewayti.net

محاولة لتعقب أثر أمك؟ أو حتى أبيك؟».

- ولمَ أقوم بفعل هذا؟

- للسبب نفسه الذي أرسلت لي من أجله شريط ليونورا... لكي تتعامل مع الماضي الذي يحتجزك رهينة له.

- يبدو أنك قرأت الكثير من كتب علم النفس.

قال برايس ذلك بسخرية وازدراء، لكن في داخل عقله أدرك أنه يتصرف بشكل يستحق معه التوبيخ.

أجابته جينا بهدوء: «أنا الآن أستعيد أمي التي لم أعرفها يوماً بفضلك أنت، الآن جاء دورك. أنت تعرف اسم أمك، التواريخ المهمة واسم الملجأ. اذهب وحاول أن تجد أمك يا برايس، ثم تكلّم معها. حوّلها من وهم إلى شخص حقيقي، إذا ما كنت تجرؤ على هذا».

تقدم خطوة واحدة منها: «انتبهي إلى ما تقولينه».

بقيت جينا واقفة في مكانها: «أنا لست خائفة منك، ألست قادراً على رؤية هذا؟ أنا لا أصدق أنك قادر على توجيه قبضتيك نحوي».

لم تشعر جينا بداخلها بالهدوء الذي أظهرته نفسه، فتحت قماش بيجامتها أخذ صدرها بالعلو والهبوط، وبدت خطوط فكها مشدودة أيضاً.

سألها بنزق: «هل قدمت لك عمة عذراء هذه البيجاما؟».

أجابته: «باستطاعتك شراء واحدة جديدة لي، إذا أردت ذلك».

أحس بقلبه يتعصر وكأنما يداً تمسكه بشدة. بدت له هذه اللحظة هي اللحظة التي تحدّد خياراته: إما أن يبقى معها، أو يغادرها. هذا ما قصدته جينا.

قال بصوت أبح: «أنت شجاعة جداً.. أعترف لك بهذا».

- أنت تستحق الصراع من أجلك.

كيف يقدر على الإجابة على تصريح كهذا؟ تمنى لو أنه قادر على الضغط على نفسه لإزالة المسافة بينهما، وأخذها بين ذراعيه. قال بجمود: «أنت لا تدركين عن ماذا تتكلمين».

انفجرت جينا قائلة: «سوف أخبرك بأمر لم أخبره لأحد أبداً. أعلم جيداً أنه لا يقارن بما حصل لك... لكنه السبب لبقائي بعيدة عن أبي. في مساء أحد الأيام، عندما كنت في السابعة من عمري، كنت أرقص وحيدة قرب شجيرة الليلك في ماناتوك... كنت أتظاهر بأنني أميرة، أو بهجة بيضاء جميلة. جاء والدي من خلف الزاوية، وشاهدني. رفعني بين يديه وأخذ يهزني وكأني لعبة من قماش، حتى إن يديّ ظلتا تحملان علامات زرقاء لعدّة أيام. بدا الجنون في عينيه في تلك اللحظة... بعدئذٍ، جد وأفلتني من بين يديه، وقال لي بصوت كحد السيف إنه لا يريد أن يراني أرقص ثانية، وإلا فإنه لن يتحمل نتيجة أفعاله».

- ذلك النذل!

قال برايس ذلك وهو يتخيل المشهد واضحاً أمامه وكأنها رسمته له؛ الفتاة الصغيرة البريئة، ذات الشعر الطويل الأشقر، تلتف وترقص على أنغام الموسيقى، والرجل الذي فعل ما بوسعه ليدمرها....

تهدّج صوتها وهي تكمل: «لم يحبني أبي يوماً لما كنت عليه... أرادني دوماً أن أتغير لأصبح شخصاً آخر... شخصاً يشبه كورين وليس ليونورا، كما أصبحت اليوم أدرك. لكن ليونورا هي أمي».

من دن أن يقف ليفكر، سار برايس نحو جينا وأحاطها بذراعيه. شدّ رأسها فوق صدره، متمنياً لو أنه كان موجوداً معها ليحميها، مدركاً في الوقت ذاته عبثية أمنيته. شعر بها ترتجف قليلاً بين ذراعيه، فرفعها مصدراً صوتاً مبالغاً به، آملاً أن يجعلها تبتسم: «إذا كانت قدماك باردتين كقدمي فنحن في مشكلة كبيرة».

أجابته بأكثر قدر من الهدوء استطاعت أن تظهره: «إن قلبي يشعر بالبرد، هل تستطيع تدفئته يا برايس؟».

نظر إليها مواجهاً وجهها بأكمله، وبصوت أجش أجابها بالحقيقة الوحيدة التي يعرفها: «أنا لا أعلم».

أجابته بابتسامة صغيرة: «باستطاعتنا أن نبدأ بتدفئة أقدامنا».

www.rewayti.net

المشاعر التي تدفقت داخل صدره بدت جديدة عليه، ولم يشعر أنه في مزاج يسمح له بتحليلها، فحملها وتوجه إلى غرفة النوم، ليضعها في سريرها بهدوء.

عندما استلقى برايس في سريره وأغمض عينيه، لم يستطع سوى رؤية الشقة الصغيرة البشعة بنوافذها الوسخة وأثاثها المحطم. في طفولته لم يرها يوماً كذلك، فقد كانت منزله. أما الآن، وعندما تذكرها، رأى فقراً يتعدى الفقر المادي، ولم يستطع النوم قبل مرور وقت طويل.

مرّة أخرى، صباح يوم الإثنين، كانت جينا في المرسم بمفردها، فقد غادر برايس مساء اليوم السابق عائداً إلى بوسطن. رتبت الأنابيب الفضية على الطاولة أمامها وعقلها مسافر في مكان آخر. تنهدت وأخذت تنظر من النافذة إلى الخارج.

مع حلول صباح يوم السبت، كانت اعترافات برايس في منتصف الليل قد اختفت وكأنها لم تحصل. خلال الأسبوع، وجدت جينا نفسها تتساءل عمّا إذا كانت قد حلمت بهذا الأمر، ثم أكدّت لنفسها بأنها لم تحلم به. عندما أعادت فتح الموضوع معه في الصباح التالي لتلك الليلة، مقترحة عليه الذهاب إلى مركز الخدمات الاجتماعية ليرى إذا ما كان يستطيع أن يجد شيئاً عن والديه، أجابها بصوت كالفولاذ: «جينا، أنا لا أريد التحدث في هذا الموضوع. لم يجدر بي أن أخبرك».

- لكنك فعلت.

- لو لم أجد نفسي مواجهاً لتلك اللوحة في منتصف الليل، لما فعلت ذلك.

- برايس، أنت من قال لي بأنه يجب على بناء الجسور مع عائلتي، من أجل مصلحتي. ألن تشعر أنك في حال أفضل إذا ما عرفت ماذا حدث لأمك وأبيك؟

- كلا!

هذا الحوار وضع حداً لأي محادثة عميقة بينهما. استمتعا بوقتهما طوال العطلة. تناولا الغداء في مايسفيلد، عملا في الحديقة، قاما بالطهو معاً في مطبخها، لكن.. على الأقل هي، شعرت بثقل يلقي ظله على سعادتهما؛ إنه

ماضي برايس.

بسبب ماضيه قرّر برايس عدم الزواج. فكّرت جينا وشفتها ملوية بتعاسة أن ما بينهما هو علاقة عابرة فقط، علاقة هي قادرة، في أي لحظة، على إنهائها، قبل أن تتورط أكثر. لكنها لا تريد ذلك.

لم يتصل بها ليلة أمس ليبلغها بوصوله بالسلامة إلى منزله، ولم يتصل هذا المساء أيضاً. اللعنة عليه!

عالقة... راكدة.. تدور في مكانها... عادت هذه الكلمات لتطارد عقلها. أمسكت دليل الهاتف وبحثت عن رقم. التقطت سماعة الهاتف، ثم وضعتها مكانها مجدداً. هل ستفعل ذلك حقاً، أم أنها مجنونة؟

بعد يومين، وبعد قضاء أربع ساعات في ملجأ النساء، وقفت جينا في مركز تجاري محاط بالأشجار في أحد أرقى شوارع بوسطن. قبالة ذلك المكان، يقع منزل والدها المبني في القرن التاسع عشر. بدا المنزل ضخماً ومؤثراً جداً بنوافذه ذات المصاريع الخشبية وأحواض الزهور المليئة بالليلاب وزهور الحبازى المتفتحة. تمايلت الورود أمام الجدران القرميدية المعتقة.. إنها لمسة كورين بالتأكيد.

تشارلز ينتظر قدومها، لذلك هي غير قادرة على البقاء واقفة مثل التمثال طوال النصف ساعة القادمة.

عبرت جينا الشارع وقرعت جرس الباب وهي تشعر بعبير الورود يملأ خياشيمها. فتح تشارلز الباب لها، وقال بحرارة: «جينا! أدخلي. المنزل بأكمله لنا وحدنا، فكورين خرجت. دعيني أجلب لك شراباً».

قادها تشارلز عبر غرفة جلوس رسمية، حيث ألقت نظرة خاطفة على لوحتها المعلقة بشكل بارز فوق بيانو ضخم. وصلا إلى غرفة تطل على الحديقة الخلفية، وتعبق بالظلال والنور. أثار تشارلز الجلبة وهو يحاول جلب شراب لها من صينية مليئة بأنواع المشروبات، فقالت له: «كوب من الماء المثلج سيكون كافياً لي، فالجوّ حار جداً في الخارج».

- حسناً! حسناً!

www.rewayti.net

اختفى تشارلز حوالى الدقيقتين، وعاد حاملاً كوباً من الماء المثلج. ارتطمت قطع الثلج بنعومة بجوانب الكوب وهو يناولها إياه.

رفع كوبه عن الطاولة وقال: «أنا سعيد برؤيتك جينيسا».

أثناء قدومها في الحافلة فكّرت جينيّ بما أرادت قوله. سوف تكون هادئة، غير منفعلة ومستجمعة لأفكارها بحيث تقول ما تريده بدقة غير متحيّرة. التقت عيناها بعيني والدها، فعادت الذكريات إليها وكأن ما حدث قرب شجرة الليلك قد حصل البارحة. سألته بتوتر: «هل أنت حقاً سعيد لرؤيتي؟».

ضحك بصعوبة عجيباً: «ولمَ لا أكون كذلك؟ فرغم كل شيء أنت لا تزالين ابنتي».

جوابه هذا أذكى الغضب في داخلها: «أنا ابنة ليونورا أيضاً، لكنك لم تردني يوماً أن أكون ابنتها. أتذكر تلك الليلة التي وجدتني بها قرب شجرة الليلك في كاستلراي؟ أتذكر كيف حملتني وهززتني، كيف هددتني وأثرت في داخلي الرعب إلى حد الجنون؟ كلّ ذلك لأنك وجدتني أرقص؟».

- لقد أخذتني على حين غرّة ذلك المساء. كلّ ما سمعته من أمك طوال حياتها معي كان الرقص والرقص والرقص... أتتساءلين بعد ذلك عن ردّة فعلي تلك؟

- كنت في السابعة من عمري فقط!

- كبيرة بما فيه الكفاية لتدركي كيف يجب أن تتصرفي.

اعتراها غضب مطلق أفقدها السيطرة على ما تقوله: «لقد أردت نسخة مطابقة لذاتك أنت، لهذا السبب أخفقتني بكلية إدارة الأعمال عندما أنهيت الثانوية العامة، من دون أن تستشيرني. أنا لم أستوعب الحساب طوال سني المدرسة، فما الذي كنت تفكر به؟».

أجاب تشارلز بحزم: «الفن لا يطعم خبزاً. لم أكن لأكون أباً صالحاً لو أنني شجعتك على الذهاب إلى كلية الفنون».

- لقد ذهبت إليها في النهاية.

- لطالما كنت عنيدة.

أجابته جينا: «لو لم أكن كذلك لحطمتني وحولتني إلى شيء لم أكنته يوماً أو أردت أن أكونه. أهذا ما يعني لك أن تكون أباً صالحاً؟».

علا صوت جينا عند قولها ذلك. سألها تشارلز بقوة: «لم تقومين الآن بإعادة فتح هذا الموضوع؟».

- لربما كان من الأفضل لو أنني لم أحظَ بوالد!

وضع كوبه بعنف وقوة على منضدة بجانبه، من دون يهتم لما قد يحصل للكريستال أو للخشب المصقول: «كيف يمكنك قول شيء كهذا؟».

- كذبت علي في ما يخص أمي، وجعلتني أكبر معتقدة أنها ميتة، ثم حاولت جاهداً قتل أي شيء في داخلي قد يذكرك بالمرأة التي هجرتك. لمرة واحدة يا تشارلز، اعترف بالحقيقة. لقد كرهت ليونورا لما فعلته بك. لم ترد أن تعترف لأصدقائك الأغنياء بأنك غير قادر على الاحتفاظ بزوجتك، لهذا السبب نفيت أمي، وخدعت أطفالها الثلاثة... هذا بسبب كبريائك، بسبب خوفك مما قد يقوله الناس عنك».

ارتخى كتفا جينا، وأكملت: «أنا لن أقدر يوماً على فهم شخصيتك، فكيف يمكن لي أن أساعدك؟».

- لم يكن ما فعلته بسبب الكبرياء.

- بالطبع كان هذا هو السبب؛ لقد توقفت ليونورا عن حبك.. تحدتك وجعلت منك أضحوكة، لهذا السبب دفنتها وكأنها لم تكن يوماً.

أجاب تشارلز وبداء تعيشان داخل جبيبه: «حسناً! ربما هناك شيء من الكبرياء في ما فعلته، فلقد أحببتها وعشقتها. عشقت الأرض التي تسير عليها، منذ اللحظة الأولى التي رأيتها فيها شعرت بهذا... لم أتمالك نفسي، لهذا وبعد عدة أيام على لقائنا تزوجنا وحملت بترافيس، عندها أصبحت ملكي... ملكي أنا فقط».

قالت جينا بصوت مترنح: «لم تكن سوى أحد مقتنياتك».

- أنتِ أذكى من أن تقولي أمراً سطحياً كهذا، فالمقتنيات يمكن استبدالها. إذا ما أصاب العيب أي قطعة، تقومين برميها وإحضار قطعة جديدة أفضل

www.rewayti.net

وأجل، لكن ليونورا كانت كل ما أرغب به، ورغم ذلك خسرتها.

– أنت أبعدتها عنك.

أجاب تشارلز بصوت منخفض: «أنا لم أحظَ بها يوماً، في الواقع. أدركت منذ البداية أن هنالك شيئاً في داخلها أنا غير قادر على إدراكه.. جوهرها، ولغزها الذي جعل منها راقصة».

– أهذا السبب كرهت رقصي أنا؟

أجابها بمرارة عميقة أخافتها: «حاولي أن تعيشي مع شخص أنت غير قادرة على امتلاكه، وأنت تدركين في داخلك أنك مهما فعلت فلن تقدري يوماً على جعله يفتح قلبه لك. بدا هذا الأمر جحيماً.. جحيماً مطلقاً».

برايس! فكرت جينا مذهولة. هذا هو حالي عندما أكون بقرب برايس، فهو يرفض أن يشاركني بمكنونات داخله، وأن يرتبط بشيء دائم غير مؤقت.

لكن والدها أكمل حديثه مبرّراً: «تصرفت بغباء في ذلك الوقت. اعتقدت أنني إذا متعتها من الرقص قدر استطاعتي، وأبقيتها بعيدة عن زملائها الفنانين فسيصبح كلّ شيء جيداً. أغرقتها بالمنازل والمجوهرات والمال. بثيت كاستلراي من أجلها. أخذتها إلى أوروبا والباهاماس، معتقداً أنها ستشعر بالاكتفاء، وبأنها ستستقر وتبقى معي إلى الأبد....».

قالت جينا بهدوء: «لكنك كنت مخطئاً، فكلّ ما فعلته هو إبعادها عنك».

– هذا صحيح! عدت إلى المنزل من رحلة عمل فوجدت رسالة منها تخبرني بها أنها مسافرة إلى باريس لدراسة مستوى أعلى من الرقص.

أغمض تشارلز عينيه لبرهة، وأكمل: «مزقني الحزن واليأس. والغضب من نفسي لغبائي والغضب منها لتركها إياي. هل فقدت صوابي؟ أجل، فقدت صوابي. لهذا حضرت جنازة مزيفة، وأخبرت الجميع، بمن فيهم ترافيس، أنها ماتت. ثم وكّلت محامين ليخيفوها ويمنعوها من إظهار صورة وجهها في هذه الناحية من الأطلسي مجدداً».

ذعرت جينا عندما شاهدت الدموع تنحدر على وجنتي تشارلز. اقتربت منه من دون تفكير، فيما أكمل: «فعلتي هذه كانت دنيئة. الآن أنا قادر على رؤية

ذلك، لقد جعلني ترافيس أدرك هذا. ولهذا السبب، أنا أحاول بالطرق التي أعرفها أن أعيد أواصر علاقتي بك، يا جينا. أنا وترافيس كنّا دائماً مقرّبين من بعضنا، لكن أنا وأنت لم نكن يوماً كذلك».

بانفعال، وضعت جينا يديها على كتفي تشارلز ونظرت إلى وجهه المتعب وهمست قائلة: «أنا لم أدرك يوماً أن بداخلك هذا القسط من المشاعر. إذا ما حذفنا حادثة الليلك، يمكن القول إنك كنت دائماً بارداً ومتحكماً بمشاعرك».

وضع تشارلز ذراعيه حول جينا: «أنا آسف يا جينا. أنا آسف على ما فعلته بك، أكثر مما أنا قادر على القول. أنت على حق، كنت أحاول قتل ما بقي من والدتك في داخلك، فأنا لم أقدر على تحمل ما يذكرني بها».

– لكنك تحب كورين.... أليس كذلك؟

– أجل، أنا أحب كورين. لطالما كانت جيدة معي، وحاولت جهدها لتكون جيدة معك، إنها لا تسرف في التعبير عن مشاعرها، لكنها تحبك بطريقتها الخاصة.

أغشت الدموع بصرها، فقالت: «أنا آسفة لأنني صرخت في وجهك، لكنني غير آسفة لأنك قلتَ ما قلتَه الآن، فقد تأخر وقت حدوثه طويلاً».

– أنا لا أدري إذا كنت ستقدرين يوماً على مسامحتي. لقد حرمتك من أمك، وهذا أمر فظيع. لكن الحب هو ما دفعني إلى ذلك، لأنني أحبك، وأريدك أن تدركي هذا.

رفعت جينا نظرها إليه، وهي تمسح وجنتيها الرطبتين، ثم قالت بابتسامة مرتجفة: «لقد سامحتك، وانتهى الأمر. لأنني أنا أيضاً أحبك يا أبي».

راقبت جينا دمعتين جديدتين تنحدران على وجنتي تشارلز. قال لها بصعوبة: «الحب والغفران! هذا أكثر مما أستحق».

– أنا سعيدة جداً لأنك تضع إحدى لوحاتي في هذا المنزل. أتسمح لي برسم واحدة لكاستلراي؟

أجابها تشارلز بفخر: «سوف يشرفنا هذا».

وعدته قائلة: «سوف أفعل ذلك».

www.rewayti.net

لو أن أحداً قد أخبرها بأن هذا الكم من المشاعر يختبيء داخل والدها، لضحكت منه ولم تصدق. لا شيء يمكن أن يغيّر الأذى الذي سببه تشارلز لزوجته الأولى وأولاده، لكنها الآن قادرة على فهم السبب، ولقد رأت بعينيها مرارة ندمه وحاجته إلى الصلح مع ابنته الوحيدة.

برضا متبادل، تبادلا أطراف الحديث حول أمور أقل أهمية، وبعد حوالى الساعة قالت جينا: «أنا سوف أتوجه إلى المنزل الآن يا أبي. أرغب في البدء بالعمل باكراً في المرسم غداً. بلغ كورين حبي. سوف أتصل بها قريباً وأرتب معها موعد عشاء».

- سوف أستقل قطار الأنفاق. سيمنحني هذا الأمر الوقت لإعادة ترتيب أفكاري، لكن شكراً على عرضك.

عانقت جينا والدها بقوة قرب المدخل، ثم سارت تحت ظل الأشجار بموازاة المنازل الأنيقة. عندما وصلت إلى محطة القطارات، استقلت القطار الأحمر الذي أوصلها إلى محطة قرب بيكون هيل. سارت الشوارع القليلة وصولاً إلى منزل برايس، ثم صعدت الدرج وقرعت الجرس.

١٣ - الحقيقة المرّة

عندما رنّ جرس الباب، كان برايس على وشك مغادرة المنزل متوجهاً إلى النادي الرياضي. ركض إلى الطابق السفلي مرتدياً بنطلون الرياضة القصير وقميصه القطنية، حاملاً حقيبته بيده، ونظر من منظار الباب. برزت أمامه صورة غير واضحة للمرأة التي طاردت أحلامه ليل نهار. بدا له كأنما أحلامه قد استحضرت طيفها أمامه، ففتح الباب بسرعة.

قالت جينا: «آه... ! أنت على وشك المغادرة.. كان يجدر بي الاتصال قبل أن آتي».

- أستطيع أن أذهب لاحقاً. كنت أنوي الذهاب للهرولة في ممر مكيّف عوض الركض في الشارع. تفضلي، ادخلي. لم أعرف أنك قادمة إلى المدينة اليوم.

- أنا نفسي لم أكن أعرف.

دخلت، ووقفت قرب الباب، ثم قالت بسرعة: «أنا آتية الآن من لقائي مع تشارلز».

استجمعت زخم الأحداث، ووصفت لبرايس لقاءها بتشارلز. أخبرته بكل ما عرفته، ثم قالت بابتسامة مشعة: «سامحته، ولم أعد أشعر بأنني غاضبة منه. لا أستطيع أن أصف لك مدى روعة هذا الشعور يا برايس. أشعر كأنني أنزلت حملاً عن ظهري حمله لوقت طويل».

أخذ عقله يعمل بقوة وجهد، فسألها: «وهل أتيت مباشرة من هناك لتخبريني بذلك؟».

فاجأها سؤاله، فقالت: «بالطبع! هذا الأمر هام جداً لي... أنا واثقة من

www.rewayti.net

أنك تفهم ذلك».

بالطبع، فهم الأمر جيداً... فهم أن جينا مستعدة لمشاركته حياتها كلها، بكل ما فيها من حلو ومر، وهذا الأمر لم يشعر أنه مستعد لمقابلته بالمثل. لكن في كلّ مرة يراها بها، يشعر أنه يتورط في علاقتهما أكثر فأكثر. عندما فكر بانهاء العلاقة قبل أن يؤذيها أكثر، توسلته كلّ خلية في جسمه أن لا يتصرف بحماقة. لكنه لا يقدر.. بل لا يريد، أن يرتبط بها.

طالت فترة الصمت بينهما، فقطعتها جينا بصوت هش: «لم يكن يجدر بي المجيء إلى هنا. أنت لست مضطراً لسماع ما حدث بيني وبين تشارلز، فأنت لا تريد مشاطرتي حياتي. تريد فقط علاقة مؤقتة وسطحية».

- أنا لا أعرف ما أريد.

أصبح وجهها شاحباً جداً: «قطعة القماش ما هي إلا سطح اللوحة، لكن ما من فائدة ترجى من وضع الألوان ما لم تخبرنا اللوحة النهائية بما يدور في الأعماق، فتقوم بإخراج ما هو مطمور وغير معروف، وتظهره إلى العلن».

أجاب برايس بحزم: «أنا أدرك ما تطلبينه، وجوابي هو كلا. أنا لم أقم بأي محاولة لإيجاد أمي أو أبي».

صرخت جينا: «لقد تغيرت أنا منذ آخر لقاء لنا، لكن إن لم تكن أنت مستعداً للتغير أيضاً، لن تتقدم العلاقة بيننا».

- وإلى أين يفترض بها أن تتقدم؟

أجفلت جينا وكأنه صفعها بجوابه هذا. أجابته بشغف: «لا شيء يبقى على حاله دون تقدم، الناس، الحدائق، حتى الوقت ذاته... أن تبقى في مكانك يعني أن تموت».

- أنت فيلسوفة!

- اذهب إلى الجحيم، يا برايس لاريبي!

بدت جينا غاضبة إلى درجة تقدر معها أن تطيح به بيد واحدة. ولمَ لا تقوم بذلك؟ لها كامل الحق، وهو يدفعها بأحدى يديه بعيداً عنه، ليعودَ ويجذبها بالثانية إليه.

قال لها بصوت أجش: «دعينا نذهب إلى غرفة الجلوس لنهدأ قليلاً. أنا لا أعرف ما هو حقيقي بالنسبة إليّ عداك».

للحظة، شعر أنها سترفض اقتراحه، فتوقف قلبه عن النبض، لكن جينا أجابته: «أنا موافقة».

غمره الارتياح، فقال بحرارة: «أنت أكثر شجاعة مني.. وجدت أمك ثم أباك. بحثت عنهما سوياً».

- عندما أتذكر ما حصل، أجد أن الأمر لم يكن بهذه الصعوبة. لكن عندما تبدأ أنت بالبحث عن والديك، فأنت تغامر في المجهول. لا فكرة لديك عمّا ستجده، وما هو حالهما أو كيف أصبحا. أنت أيضاً تعيد فتح ذكريات مؤلمة... حالتك ليست مماثلة لحالتي.

ألم تكن حياته كلها تدور حول محور تحاشي تلك الشقة الحقيرة حيث شبك فليتشر وروز خيوط حياتيهما؟ ألم يكن ماله، صديقاته، نجاحاته المتعددة، متراساً أمام الذكريات؟

رمى برايس حقيبته على الأرض، ثم أخذ جينا بين ذراعيه وأغرق وجهه في خصلات شعرها الزكية الرائحة. لقد بدت هي الواقع الوحيد الأكيد في حياته، فعندما يحتضنها، يشعر أنه يدرك من هو.

* * *

بعد أسبوع، وقف برايس تحت المطر الخفيف. وقف أمام مبنى مؤلف من عدّة شقق، وراح ينظر إلى النوافذ الخالية. لقد أتى مباشرة إلى هنا من الملجأ حيث تركته أمه منذ اثنتين وثلاثين سنة، وخرجت من بابه دون عودة.

في الملجأ، لم يستطيعوا إعطاءه معلومات عن أمه أو أبيه، فسجلاتهم لا تعود إلى ذلك العهد. لكن الحاجب المسن اقترح عليه أن يبحث عن امرأة عجوز تدعى مايبيلين باركر. هذه المرأة كانت تعمل في الدوام الليلي في الملجأ خلال الفترة التي بقيت فيها أم برايس هناك.

مايبيلين باركر تعيش في هذا المبنى، وإذا لم تقدر هي على إعطائه أي معلومات، يكون قد وصل إلى حائط مسدود.

www.rewayti.net

صعد برايس الدرج المتداعي، مجتازاً كلّ درجتين سوياً. اتصل بمايبيلين من الملجأ، وهي في انتظاره. عندما قرع الباب المطلي بطبقة سميكة من الدهان الأحمر، فتحت الباب له امرأة عجوز، ذات ابتسامة مرحبة كبابها. قالت بارتياح: «حسناً! إذاً، لقد كبرت وأصبحت رجلاً جيداً».

لم يقدر برايس إلا على مبادلتها الابتسام. سارت المرأة بتثاقل، جارّة قدميها نحو المدفأة. لون فستانها المتهلي ذي الزهور البنفسجية، تضارب مع لون متزر المطبخ الأخضر وخفيها الزرقاوين، كما برز بياض لون يديها الناصع.

- سوف تشرب فنجاناً من الشاي، أليس كذلك سيد لاريبي؟ وبعدها سوف نحظى بحديث ممتع.

أجاب وهو يراقبها برعب وهي ترمي في الإناء أكياس شاي كافية لإذهال حصان: «اسمي برايس، وسأشرب الشاي بكل سرور».

شعر أن فنجان الشاي الذي قدمته له، يحتوي على كمية من المنبهات كافية لإبقائه مستيقظاً لأسبوع. وضعت مايبيلين أمامه صحناً من البسكويت بالشوكولا، وأخذت منه قطعة: «إذاً، أنت برايس... يبدو أنك غدوت رجلاً ذا شأن. أنا سعيدة جداً لذلك».

أجابها بتواضع مذهل: «لقد تدبرت أموري جيداً. لكن الوقت حان لأعرف المزيد عن أهلي. كلّ ما أعرفه هو اسميهما: روز وفليتشر، وأن والدتي تركتني في الملجأ واختفت في الوقت نفسه تقريباً... لا شيء أكثر من هذا».

عبست مايبيلين وهي تنظر إليه بحيرة: «أهذا كلّ ما تعرفه؟ أن أمك تركتك في الملجأ؟».

- قلت لك، لا أملك الكثير من المعلومات.

أجابت عن سؤاله بسؤال: «ألديك سبب يدعوك إلى البحث عنهما؟».

قد يكون الشاي هو السبب الذي حلّ عقدة لسانه، فقال بهدوء: «أنا لم أتزوج قط. وقررت منذ وقت طويل أن لا أجلب أولاداً إلى هذا العالم...».

توقف برايس عن الحديث فجأة. بلمحة من الوحي أدرك فجأة أن المدرسة التي يريد بناءها هي بديل عن عائلته، فالبنات والصبيان الذين سيأتون إليها

سيعوضون عن الأطفال الذين لن يحظى بهم.

لاحظ فجأة أن مايبيلين تتحدث: «لقد وجدت لنفسك امرأة إذاً... أهي جيدة كفاية بالنسبة إليك؟».

- أجل! لكنني رأيت ما الذي فعله الزواج بوالديّ... أعتقد أنني خائف من أن أتحول إلى شخص يشبه والدي.

سألته مايبيلين: «أتدفع هذه المرأة في أرجاء المنزل وتسيء معاملتها؟».

ضحك مجيباً: «لا أريد حتى تجربة ذلك... أنا لم أرفع يدي على امرأة في حياتي».

- أنا غير قادرة على رؤية ما يقلقك إذاً.

- فليتشر كان والدي... دمه يجري في دمي، وكان قادراً على التحول إلى كلب مسعور.

قالت مايبيلين: «ساورني شعور جيد تجاهك منذ لحظة دخولك عبر الباب، لكنني لن أقدر على إراحتك إلا في موضوع واحد. فليتشر لاريبي ليس والدك».

كاد برايس يختنق برشفة الشاي: «ما الذي قلته؟».

- انتقل للعيش مع روز بعد أن أصبحت أرملة. في ذلك الوقت كانت هي حاملاً بك. عَمِل والدك في المرفأ وكان اسمه هو نيل برايس جاكسون. وأصله كما أتذكر من أيوا. قتل عندما وقعت عليه رافعة تحمل البضائع..

سألها برايس بذهول: «فليتشر لم يكن والدي؟».

- كلا! أخبرتني والدتك عن نيل ذات ليلة جافاها فيها النوم، وكنت أنا أعمل في دوام الليل. لقد أحبت زوجها وهو عاملها بشكل جيد. رجل طيب! هذا ما قالته عنه. كان رجلاً طيباً.

شعر برايس بالاضطراب، وقال: «لطالما دعوت فليتشر أبي، وهو لم يقل لي عكس ذلك، كذلك أمي لم تقل شيئاً».

- هو لم يحب يوماً فكرة أن رجلاً آخر هو والد ابنها. كان نذلاً لئيماً، إذا عذرت قولي هذا.

www.rewayti.net

- أنتِ لا تخبرينني شيئاً لا أعرفه. أهذا كان يقوم بضرب أمي بالحزام؟ أبسبب الغيرة؟

- لعنة الله عليها! بعض الرجال لا يقدرون على الاحتفاظ بأيديهم لأنفسهم، وهو أحد هؤلاء.

- لماذا بقيت معه إذاً؟

- لم تكن تملك شيئاً على الإطلاق، وكانت حاملاً بك عندما التقته. أخبرتني بذلك يوم هربت إلى الملجأ... يوم ضربك بقوة لدرجة أطاحتك عبر الغرفة. يومها قالت: هذا يكفي..! لقد أحببتك وكأنك العالم كله بالنسبة إليها، لكن... ربما هي لم تخبرك بذلك. لم تكن من النوع الذي يحب الكلام.

أخذ قلب برايس ينبض بقوة، وكأنه عاد طفلاً صغيراً يحمل شاحنة صدئة بوجه فليتشر لاريبي. سألها وهو يسمع تكسر الألم في رنة صوته: «إذا كانت تحبني إلى هذه الدرجة، لماذا تركتني في الملجأ إذاً؟».

- يفاجئني أنهم لم يخبروك في الملجأ بما حصل يومها...

تنهدت مايبيلين بعمق وأكملت: «الأمر يعود إذاً لي أنا الآن... نحن لن نعرف ما الذي حدث بالتأكيد... أستطيع فقط أن أخبرك ما أعتقد».

أخفضت مايبيلين وجهها ببطء. وللمرة الأولى لم تقابل عيناها عيني برايس: «ليلة اختفت، أخبرتني روز أنها ستذهب إلى شقتكم لإحضار بعض أغراضها... بعض الصور، خاتم قديم أعطتها إياه أمها... هذا النوع من الأغراض. نصحتها ألا تتصرف بغباء، أو أن تأخذ أحداً معها على الأقل، لكنها صمّمت على الذهاب بمفردها والعودة بسرعة. كانت قد وضعت خطة لكما، أنت وهي. خطتها تقضي بأن تصعدا إلى الحافلة وتمضيا لتبدءا من جديد في مكان لا يعرفها فيه أحد، ولا يقدر فليتشر أن يجدها فيه».

أحاط برايس كوبه بأصابعه الباردة وسألها: «ولماذا لم تعد؟».

أجابته مايبيلين وهي تنظر إلى الأرض: «وجدوها في اليوم التالي عند أسفل الدرج، ورقبتها مكسورة».

شحب وجه برايس: «لقد ماتت...! لهذا السبب تركتني في الملجأ».

أخفى وجهه بين راحتيه لشدة ألمه.

- هذا صحيح! لقد ماتت. أنا آسفة جداً كوني من أخبرك بهذا الأمر.

قال برايس بصوت متهدج: «لطالما تساءلت عن سبب عدم عودتها من أجلي».

أجابته مايبيلين: «في الأحوال العادية، ما من شيء كان قادراً على منعها من العودة إليك. لم يجدوا أي أثر لفليتشر في ذلك اليوم، ولم يعد أبداً حسب علمي. قامت الشرطة ببعض التحقيقات، وقالوا إنها ماتت لسبب مجهول، وهي كلمة سخيفة جداً إذا ما فكرت بها».

نظر برايس إليها مشدوهاً: «أنت تعتقدين أنه هو من فعلها... فليتشر؟».

- هذا ما أشعر به في أعماقي، لكنني لا أقدر على إثبات شيء. ربما زلت قدمها ووقعت.. أو ربما...

قال برايس بمرارة: «في كلتا الحالتين، لقد ماتت».

مسحت مايبيلين دمعة من زاوية عينها بمنزورها: «أنا غير قادرة على فهم سبب عدم إخبارهم لك بموت أمك. أفهم أنك كنت صغيراً... ولكن كان يجب أن تعلم ولو لاحقاً».

بدت المرأة العجوز غاضبة جداً. قال برايس: «اعتقدت دائماً أنها تخلت عني وتركتني لأنني كنت عبئاً كبيراً عليها وعلى فليتشر».

- على فليتشر، أجل. لكن على روز؟ مستحيل. لقد أحبيت روز كثيراً، لقد حزنت جداً لموتها، ولا زلت حزينة.

- سوف أجد مكان دفنها. أتحبين أن ترافقيني ذات يوم لوضع الزهور على قبرها؟

- إنها مدفونة في المقابر القديمة على بعد خمسة شوارع من هنا، باتجاه الشرق، وسوف أشعر بالسعادة لقيامي بهذا الأمر معك.

- إذاً، أنت تعرفين أيضاً مكان دفنها.

- هذا أقل ما أستطيع أن أفعله.

- إذا كان والدي - الحقيقي بالطبع - يعتبر رجلاً جيداً، فأنت قديسة يا

www.rewayti.net

مايبلين باركر.

بعد ساعتين، سار برايس بسرعة عبر الشارع وكتفاه محدودبتان، وعيناه تائهتان على الرصيف.

سواء كان الأمر جريمة أم حادثاً، لقد أرادت أمه قبل موتها أن تبقى مع ابنها، ذي السنوات الأربع، وأن تبني له حياة أفضل. لكن، وبسبب سوء تصرف بعض الموظفين، حجبت عنه هذه الحقيقة طوال سنوات عدّة.

قبل وصوله إلى الطريق السريع ابتدأ المطر بالهطول. خفّف من سرعته، فهو غير مستعجل على الوصول إلى جينا، لأنه لم يدرِ ما هو سبب ذهابه إليها. كل ما يعرفه هو أن لا يملك خياراً آخر.

سار عبر المرجة الصغيرة، وإطارات سيارته ترش الماء عبر الحصى. وجد المنزل غارقاً في الظلام، وانتبه إلى أن الساعة تشير إلى الحادية عشرة، لا بد إذاً أن جينا مستغرقة في النوم.

أسند برايس ظهره على المقعد الجلدي. شعر أن كتفيه حملتا أثقالاً طوال هاتين الساعتين، فيما شعر بدوار في رأسه بسبب الشاي الثقيل والمشاعر المضطربة، وأدرك أنه متعب جداً على الالتفاف والقيادة عائداً إلى بوسطن.

سوف ينام لبضع دقائق، ثم يغادر عائداً. ما من فائدة ترجى من إزعاج جينا. ما الذي سيقوله لها؟ لو أنه فقط توقف ليفكر قبل أن يقود طوال هذه المسافة لوفّر على نفسه الرحلة.

صوت ارتطام قطرات المطر بالسطح المعدني للسيارة بدا مريحاً بشكل غريب. خلال دقائق، غرق برايس بالنوم.

استيقظت جينا على صوت الرعد وضوضائه. بقيت مستلقية في سريرها قبل أن تغادر فراشها إلى المطبخ لتجلب ماءً للشرب.

فكّرت جينا وهي متوجهة للتأكد من أنها أغلقت النوافذ الأمامية للمنزل، أن الحديقة بحاجة إلى هذا المطر.

شاهدت سيارة مركونة في المرجة. إنها سيارة جاغوار مثل سيارة برايس! عندما أنيرت السماء بضوء البرق، رأت جينا جسداً مسترخياً على المقعد

الأمامي.

التقطت المصباح الكهربائي عن رف غرفة المؤنة وهي تشعر ببعض الخوف، ثم دفعت رجليها داخل حذاء مطاطي وارتدت المعطف الواقي من المطر. ما الذي أتى ببرايس إلى هنا في منتصف الليل؟ أهو مريض؟

عندما خرجت من تحت سقف الشرفة الخلفية، أخذ المطر يصفع وجهها فيما هي تنزلق فوق الوحل عبر المرجة لتصل إلى سيارة برايس. رفعت قبضتها، وأخذت تضرب النافذة وتناديه.

هذه المرة، حدّق هو إلى ضوء مصباحها بمفلاً. بدا مظهره رهيباً، فكرت جينا، مهيئة نفسها لسماع أسوأ الأخبار. عندئذٍ قام برايس بنزع المفاتيح، ثم مدّ يده إلى مقبض الباب وفتحه ليخرج من السيارة.

توسلته جينا: «أسرع، تعال تدخل إلى المنزل».

حثته إلى المنزل، فيما أضاء البرق السماء ثانية مضفياً على الحديقة ظلالاً زرقاء. ركضت باتجاه الباب الخلفي، وأبقته مفتوحاً من أجله، ثم أغلقته خلفه بسرعة. أطفأت ضوء مصباحها، وقالت وهي ترتجف: «أنت مبلل جداً».

- أجل . . . أردت أن أعود أدراجي. . . لكن لا بد أنني غرقت في النوم.

تحت عينيه ظهرت ظلال التعب، فسألته جينا محاولة بجهد إبقاء صوتها طبيعياً: «ما الخطب يا برايس؟ لماذا أتيت إلى هنا في هذا الوقت المتأخر؟».

- عرفت ما الذي حدث لأهلي.

قالت بسرعة: «هيا! اجلس، وأنا سأجلب لك قميصاً قديمة أعطاني إياها ترافيس للعمل في الحديقة. سوف تناسبك تماماً».

ذهبت جينا، وعادت بعد لحظة، فوجدت برايس لا يزال في المكان الذي تركته فيه، وعيناه الرماديتان متحجرتان. ركعت لتفك أزرار قميصه، ثم ألبسته القميص الآخرى، إلا أنه ظل يرتجف، فوضعت شالاً فوق كتفيه وإبريقاً على النار.

هذا الأمر حرّكه، فتمتم قائلاً: «لا تعدّي الشاي. شربت اليوم شاياً قوياً يكفيني لمدة أسبوع».

www.rewayti.net

- هل تناولت الطعام؟

أجابها باضطراب: «لا أعتقد ذلك... ليس منذ الظهر».

بعد خمس دقائق وضعت أمامه إناءً يحتوي على شوربا دافئة معدّة في المنزل، وبعض الخبز الذي أعدته ويلما لاوسون. قالت له: «كُلْ، وسوف نتحدث بعد أن تنتهي».

التهم برايس الطعام بسرعة ثم دفع الصحن بعيداً، وقال من دون نبرة مميزة: «والدي الحقيقي توفي قبل أن أولد، وترك أمي أرملة. فليتشر كان زوج أمي، وليس والدي الطبيعي».

فيما أصدرت جينا آهة، أكمل برايس: «إن سبب عدم مجيء أمي لتأخذني من الملجأ هو أنها قد ماتت. وجدوها مكسورة العنق عند أسفل الدرج. قد يكون فليتشر هو من دفعها عنه، أو لا يكون. لن أعرف هذا أبداً... ليس إلا إذا تعقبته وضربته حتى يعترف بالحقيقة».

همست جينا: «فإذاً هي لم تتخلَّ عنك».

- كلا... كانت تخطط لأن نغادر سوياً، ونبدأ من جديد.

تهدج صوت برايس حين أكمل: «لكنها لم تحصل على الفرصة لتحقيق ذلك، وطوال هذه السنين لم يفكر أحد بأن يخبرني أنها ميتة».

أسقط رأسه بين راحتيه، واعترت جسده رجفة طويلة. بنعومة، لفت جينا ذراعيها حول كتفيه محتضنة إياه قربها، ثم همست: «هل عرفت شيئاً عن والدك الحقيقي؟».

- اسمه نيل برايس جاكسون. حسب ما ذكرت أمي، كان رجلاً طيباً. لو أنه بقي حياً، أعتقد أنه كان ليؤمن لي طفولة محترمة وطبيعية، كما يستحق أي طفل.

قالت جينا مرتاعة: «يا لها من خسارة كبيرة!».

- أجل... أتيت إلى هنا لأخبرك بهذا، إلا أنني وجدتك قد نمت، فقررت أن أعود أدراجي، لكن لا بد أن النوم غلبني.

قالت له بكل بساطة: «أنا سعيدة لأنك هنا. إذا كنت قد اكتفيت من

الطعام، دعنا نتوجه إلى الفراش».

بسبب حجم الصدمة التي عاناها، توجه برايس معها من دون جدال، إلى الفراش. وغرق سريعاً في النوم كالطفل الصغير.

لمع البرق من خلال الستائر، وزأر الرعد كذئب أسير. كانت جينا ما تزال مستيقظة في سريرها وهي تفكر أن برايس سيبقى دائماً غالياً على قلبها. همست لنفسها: «آه، برايس! أنا مغرمة بك. لقد غرقت في حبك حتى أذني، ولم أدرك ذلك إلا الآن».

فيما أخذ وابل المطر يقرع زجاج النافذة، اتسعت حدقتا عيني جينا في الظلام. لا بد أنها مغرمة به منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها.

كانت جينا قد ابتدأت بالانحراف نحو النوم عندما أجفلتها فكرة واضحة. لم يعد برايس يملك أي خوف من أنه يحمل دماء فليتشر لاريبي وعنفه. فليتشر ليس إلا زوج أمه، وهو ليس والده. بالإضافة إلى ذلك، أمه لم تتخلَّ عنه وتخونه، بل ماتت. هل يعني ذلك أن برايس ربما.. فقط ربما، سيعيد التفكير بمسألة الارتباط؟

هل سيقع هو أيضاً في غرامها؟

www.rewayti.net

١٤ - صباح يوم جديد!

حلّ منتصف الصباح، قبل أن تستيقظ جينا. شعرت بسعادة كبيرة تغمرها، عندما رأت برايس في غرفة الجلوس. فتح برايس ذراعيه ما إن رآها وتحرك لعناقها. فابتسمت واقتربت منه.

أزالت ضحكته ظلال التعب من وجهه: «أنت سهلة جداً».

- فقط عندما يكون الأمر متعلقاً بك.

قد تخون الشجاعة جينا، فلا تقدر على التعبير عن حبها له بالكلام. لكنها تستطيع أن تريه ذلك عندما تبادله العناق. قالت: «يا لها من مفاجأة رائعة أن أجدك في منزلي عندما أنهض صباحاً!».

أجابها بابتسامة كسولة: «أنا لا أستطيع مناقشة ذلك».

جذبتها ذراعاه بقوة نحو جسده، فشعرت بدفئه، بشوقه اللامتناهي.

انتقلت النيران منه إليها، فبادلته العناق بكل المشاعر التي أشعلها بداخلها. شعرت بالعالم ينفجر إلى ضوء وألوان، ولم يعد هناك إلا نبضات قلبه ودماؤها المتسابقة داخل عروقها.

دفن برايس رأسه في شعرها قائلاً: «إنها تحية الصباح على طريقتي!».

- أعجبتني طريقتك جداً!

أجابها بقوة: «أنت أكثر مما أستحق».

لم تملك جينا أدنى فكرة عما يجب أن تجيبه على هذا. قالت بنشاط وحيوية: «في كل الأحوال، لدينا الصباح بأكمله، أو على الأقل أنا لدي».

داعب كتفها بذقنه: «هل تعتقدين أنني سأغادر إلى بوسطن الآن؟».

- ربما ليس الآن... آه...

فاجأها بعناق جديد أكثر قوة قبل أن تكمل كلامها.

عند الظهيرة، بعد أن انتهيا من تناول الغداء، وقاما بتنظيف الصحون، اقترح برايس: «ما رأيك بأن نتناول الشاي في غرفة الجلوس؟».

أجابته جينا بثبات: «أجل. وبعدها يمكنك أن تخبرني عما جرى معك».

لربما أفعل ذلك، فكّر برايس، وربما لن أفعل. كيف يمكن له أن يعترف، حتى لنفسه، بما يشعر به تجاه جينا؟

تذكر الإشعاع الذي غمر وجهها عندما عانقها هذا الصباح، والنعومة التي غلفت حركاتها كلها. ماذا يدعى ذلك إن لم يكن حباً؟

هو لا يريد أن تقع جينا في غرامه. هو ليس قادراً على تحمل ذلك الأمر بهذه البساطة.

أحكمت جينا القبض على فنجان الشاي وقربته من صدرها قائلة: «برايس، لقد أخبرتني الخطوط العريضة لقصة أهلك الليلة الماضية، لكنك لم تخبرني ما هو شعورك تجاه ما عرفته».

- الوقت مبكر على إدراك ذلك.

- لا بد أن بعض المشاعر تنتابك؟

أجابها متوتراً: «لا تضغطي عليّ جينيسا».

- وما هي الطريقة الأخرى التي تمكنني من معرفة ما يدور داخلك؟

- ولماذا تحتاجين إلى معرفته؟

أجفلت جينا، ثم أجابته: «لقد تشاركنا لحظات حميمة. ألا يعني لك ذلك شيئاً؟».

- بالطبع إنه يعني لي.. لكن لا علاقة لهذا الأمر بأهلي!

- ما الذي يعنيه لك ذلك يا برايس؟

سألته جينا ذلك بذقن مرفوع. لكن تحت التحدي الذي لمع في عينيها توارى الخوف. إنها خائفة من جوابه. أدرك برايس أنها خائفة مما قد يقوله أو لا يقوله.

الشكوك التي راودته حول ما إذا كانت جينا فعلاً قد وقعت في غرامه

www.rewayti.net

تعمّقت إلى حد التأكد. أخذ داخله غضباً قد بدأ بالتفجر، وكرّر بصوت قاسٍ: «فقط لا تضغطي عليّ يا جينيسا».

بجهد أكبر من الجهد البشري، كتمت جينا إجابة وصلت إلى طرف لسانها، وقالت: «حسناً! أنا لا أتحمل أن يضغط أحد عليّ لرسم شيء أنا غير مستعدة لرسمه... أعتقد أن هذا ينطبق عليك أنت في ما يتعلق بموضوع والديك».

هذا التفهم لموقفه جاء دون توقّع. قال برايس بقوة: «أنت امرأة استثنائية».

سبحت عيناها في بحر من دموع لم تنهمر: «أنا رسامة لجوجة ولها الحرية في اختيار ما تريده، لكنها لا تملك أدنى فكرة عما سترسمه.. لا شيء استثنائي في هذا الأمر».

- أنت إنسانة صادقة، تملكين القدرة على الاستماع للآخر.

قالت له بخفة: «سأذهب لقراءة الصحف الموجودة على طاولة القهوة ومعرفة الأخبار».

جلست على الأريكة والتقطت الصحيفة الموجودة على وجه الكومة ودفنت وجهها فيها.

استدار برايس نحو جينا: «سوف أعود الآن إلى بوسطن يا جينا، فلدي مواعيد طوال نهار الغد. بعد ذلك سوف ألتقي بالمهندس عند الساعة الخامسة، فلقد أبلغني أن لديه بعض الرسوم الأولية الجاهزة، لكنني سأتصل بك قبل نهاية الأسبوع».

بدت عينا برايس لجينا كبقعتين سوداوين في شبه الظلمة التي هما فيها. وشعر قلبها بالفراغ والبرودة، كما شعرت بالخوف أيضاً، إلا أنها بذلت جهدها لإخفاء هذا الخوف القوي وغير المعقول، ثم قالت بهدوء: «الذي يعض الرأي في ما قررته؟».

- أنا أحاول أقصى جهدي... هذا كلّ ما أقدر أن أقوله لك.

قال برايس ذلك بصوت قاس، وكان على جينا أن ترضى بهذا. وقفت أمام النافذة الأمامية، تراقب أضواء سيارته الخلفية تختفي في الظلمة، شاعرة

بالوحدة القاتلة. كيف يمكن لها أن تشعر بالوحدة بعد أن أمضت الساعات الأربع والعشرين الماضية مع برايس؟

إذا لم يشاركها برايس أفراحه وأتراحه، خوفه وأحلامه، فسوف تشعر بالضياع. فمع كل الحب الذي تشعر به تجاهه، كيف يمكن لها أن ترضى بأقل منه كاملاً؟

مع كلّ الحب الذي تشعر به... فكّرت، وهي لا تزال واقفة في وسط المطبخ، أن الثقة قد تكون الجزء المكمل للحب. يجب عليها، بكل بساطة، أن تثق بأنه سوف يفتح لها خبايا روحه، عاجلاً أم آجلاً. ما الخيار الثاني الذي تملكه؟

بمجرد تذكر لمسته، البحة في صوته، تعابير وجهه... جعلت جينا مشتاقة إليه من جديد. راحت تحوب أنحاء المطبخ. غسلت بعض الصحون ورتّبت الأغراض، وعقلها يعمل جداً عما تفعله، ثم سارت باتجاه المرسم، دخلته والتقطت دفتر الرسم. تركت الفحم يغطي الصفحات واحدة تلو الأخرى، ولم تخلد إلى الفراش إلا بعد منتصف الليل بمدة ليست قصيرة.

استيقظت مع أول أضواء الفجر. ذهبت إلى المرسم وهي تأكل موزة، ووقفت أمام صفحة القماش الخالية. حدّقت بها لوقت طويل قبل أن تلتقط أوّل أنبوب من الألوان وتعصر قسماً منه على صفيحة الألوان. وحتى بعد أن فعلت ذلك، انتظرت وقتاً قبل أن تأخذ فرشاتها لتبدأ.

استغرقت في الرسم بشكل كلّي، ولم تتوقف إلا قليلاً، لتتمدد ساقيها أو ظهرها وتجول في المنزل. عملت جينا طوال النهار، ولو أن أحداً سألها، لما استطاعت أن تصف له المشاعر والأفكار التي رسمتها. عندما بدأ الضوء بالتلاشي، قامت ببعض التعديلات ثم توقفت عن الرسم.

لقد انتهت! فكّرت بهدوء، إنها أكثر اللوحات التي رسمتها تأثيراً. إنها بلا شك نقلة نوعية عن لوحاتها السابقة، فاللوحة تجريدية، لكن يمكن تمييز عناصرها. إنها مليئة بالألوان وبالفرح، ولا تحتوي على أي أثر للخوف الذي لاحق أعمالها لأشهر... موجة عنيفة من التعب غمرت جسدها، فقامت

www.rewayti.net

بتنظيف الفراشي، وتأكدت من إغلاق علب الألوان بإحكام، ثم استلقت على فراشها. خلال دقائق غرقت في نوم عميق خالٍ من الأحلام.

١٥ ـ أنتِ تحبينني...

دفع برايس الباب الشبكي وفتحه. لقد قرع الباب مرتين من دون نتيجة. كلا البابين، الشبكي والمدخل، كانا مفتوحين بالطبع، فجينا تعيش في الريف وتعرف كلّ جيرانها. لكن يجب عليها أن تكون أكثر حذراً، خصوصاً الآن بعد غياب الشمس وحلول الظلام.

دخل برايس إلى المنزل، فوجد الظلال والهدوء يسودانه. تكوّمت بعض الصحون الوسخة، الباقية من نهار الأمس كما لاحظ، فوق المجلى. عليه أن يتأكد إذا ما كانت موجودة في الحديقة أولاً، فهي قد تكون في الخارج تتسكع حيث الطقس أكثر برودة.

في طريقه إلى الخارج، مرّ برايس أمام غرفة نوم جينا، فوجد الباب مفتوحاً جزئياً، ورأى جينا منبطحة على وجهها فوق الغطاء، مرتدية بنطلوناً ملطخاً بالألوان وقميصاً قديمة. بدا نومها عميقاً، ونفسها منتظماً وهادئاً. من دون تفكير، توجه برايس إلى المرسم وأشعل النور.

ألواح الأرض العريضة والمصنوعة من خشب الصنوبر، صرّت تحت قدميه. اللوحة الوحيدة الموضوعة على الحامل أذهلته. فكّر برايس أن استخدام كلمة جميلة يبدو مستهلكاً في وصف هذه اللوحة. لكن لا شك أن هذا المزيج الموجود أمامه من الألوان والمشاعر جميل جداً. وقف جامداً في مكانه تاركاً الفرصة للوحة لتخاطبه، وللفرح الموجود فيها لينساب إلى داخله.

بعد ذلك، وببطء شديد، بدأ الفرح يهمد شيئاً فشيئاً ليحلّ الانزعاج مكانه. لقد كان عمقاً في تفكيره. كلّ تلك الإشارات الصغيرة التي التقطها أصابت الهدف. صحيح أن لوحات جينا السابقة افتقدت إلى شيء ما، إلا أن

www.rewayti.net

هذه اللوحة كاملة. لم تعد جينا عالقة في موضوع معين. كلّ شيء بدا واضحاً جداً له: جينا واقعة في غرامه! لقد استخدمت الألوان والقماش لتسكب مشاعرها بطريقة شديدة التعقيد.

من خلفه، سمع برايس صوت قدميها على الأرض خافتاً، وهي تعبر أرض الغرفة. استدار ليواجهها، لكنه لم يدر مدى قوة مشاعره وعمقها، قبل أن يتكلم موجهاً اتهامه إليها: «أنت مغرمة بي!».

وقفت جينا في مكانها، ودفعت شعرها بعيداً عن وجهها قائلة: «أجل، أنا مغرمة بك».

لأول مرة، شعر برايس أن صراحتها ترعبه: «منذ البداية حذرتك من هذا الأمر».

- أجل. لقد فعلت.

- أخبرتك أن ما بيننا لن يؤدي إلى الارتباط أو الزواج.

ضاقت عيناها، وسألته: «لمَ أنت غاضب هكذا؟».

صرّ على أسنانه قائلاً: «لأنك تعلمين بمشاعرك منذ مدّة، ولم تقولي شيئاً».

- لم أدرِ بها إلا منذ جلبتك من تحت الأمطار وتعانقنا.

- أي منذ أخبرتك عما حدث لأهلي... إذاً أنت تشعرين بالشفقة عليّ.

- الشيء الوحيد الذي لا أشعر به نحوك هو الشفقة! أرجوك تلطف وأخبرني عن السبب الذي يدعوني لإخبارك بأنني حمقاء لدرجة أن أغرم بك، في الوقت الذي لم تخبرني به أنت عن شعورك تجاه أمك وأبيك؟

قال بضراوة: «كل شيء حدث بسرعة... أنت وأنا، علاقتنا... أنا لا أعرف ما الذي أفعله سواء معك أو من دونك».

- أنت لا تسمح لنفسك بأن تعرف.

أثار منطقها حنقه فقال: «أنا بحاجة إلى بعض الوقت بعيداً عنك يا جينيسا».

سألته بصوت أظهر توترها: «هل تنهي هذه العلاقة؟ لا أدري لما أنا متفاجئة، فلطالما أدركت أنك ستفعل ذلك».

- أنا لا أقوم بإنهائها! أنا فقط بحاجة إلى الابتعاد قليلاً. أحتاج إلى فترة استراحة، لأخذ أنفاسي.

سألته بشكل مفاجيء: «إذاً، أهذا ما جئت لتخبرني به، متكبداً عناء المجيء من بوسطن؟».

لماذا أتى؟ لأنه عمل طوال النهار، وأراد أن يتسكع في هدوء حديقتها؟ أتى بسبب خطة المهندس من أجل المدرسة التي أثارت حماسه وأراد أن يخبرها عنها... أم أن السبب عائد إلى أنه لا يشعر، في هذا الوقت، بالثقة في الرجل الذي هو إياه إلا عندما يكون معها؟

أجابها بجمود: «أيجب أن أملك تفسيراً لكل شيء؟ جوّ المدينة خانق، وأنا تعبت منه فأتيت. ما الذي تريدينه بعد؟».

بوجه شديد الشحوب تراجعت جينا خطوة إلى الوراء: «أريد رجلاً يملك الشجاعة لمشاركتي مشاعره».

قال بخشونة: «إذاً دعيني أخبرك عما فعلته بعد اجتماعاتي هذا الصباح. بحثت في أعداد الصحف القديمة الصادرة في تاريخ موت أمي عن بعض المعلومات. لم أجد إلا نصّاً صغيراً في اليوم الذي تلا موتها، يقول إنها وجدت في أسفل الدرج مكسورة العنق، وإن الشرطة تبحث عن فليتشر لاريبي ليساعدها في تحقيقاتها. لا شيء غير ذلك... ولا حتى كلمة واحدة. كانت فقيرة، قذرة، خبر مستهلك، لا أحد يريد أن يعرف عن حياتها أو موتها».

- مابيلين كانت مهتمة.

- إنها الوحيدة إذاً... لم تعثر الشرطة أبداً على فليتشر، والقضية أقفلت بسبب افتقاد الأدلة.

- باستطاعتك أن توظف أحدهم لتعقب آثاره.

- هذا لن يعيد أمي إلى الحياة.

قالت جينا موضحة ما هو جلي: «إذاً أنت مقتنع بأن فليتشر دفعها من الدرج».

- أجل أنا على أشد الاقتناع بذلك، فأمي كانت خفيفة ورشيقة. في بعض

www.rewayti.net

الأحيان، عندما كان فليتشر يغيب طوال النهار، كانت تدير الراديو وترقص في الغرفة. أتذكرها وهي ترقص ذات مرّة، مرتدية تنورة زرقاء وشعرها مربوط إلى الخلف بشريطة.

قالت جينا بنعومة: «هذه ذكرى جميلة».

قست ملامح وجه برايس، وأكمل: «لقد تعلمت كيف تراوغه، وكيف تبقى بعيدة عن قبضته. هي آخر شخص يمكن أن يتعثر ويقع عن الدرج. سألتني بالأمس ما هو شعوري تجاه والدي. ما هو برأيك شعوري وأنا أدرك أن زوج أمي قد قتلها ونجا بفعلته؟».

همست: «إن ذلك مأساوي جداً يا برايس فعلاً، ولكن على الأقل، أنت تعلم أن فليتشر ليس والدك الحقيقي».

- لكنه الوالد الوحيد الذي أعرفه. إنه من صاغ شخصيتي.

- أنا لا أصدق ذلك!

اقترب برايس فجأة منها، وأحاط ذراعها بأصابعه بقوة قادرة على إحداث الكدمات: «ماذا لو صرخت الآن يا جينيسا؟ هل سيسمعك جيرانك؟ أم أنك بعيدة جداً عن أقرب منزل؟».

صرخت به: «توقف عن ذلك! أنا لم أخف منك يوماً، أخبرتك بذلك.. أنت لن تضربني ولن تدفعني لأقع. أنت لست من هذا النوع من الرجال».

سألها بنعومة كبيرة: «كيف تعرفين ذلك؟ إلى أي حد يمكنك أن تعرفي الشخص الآخر؟».

نزعت بأصابعها أصابعه عن ذراعها محرّرة إياها: «أحاول إخافتي لكي أتركك حراً دون قيود، وهكذا تستطيع أن تتجنب المشاعر الحميمة ولا تضطر إلى مواجهة مشاعرك؟».

- أنا أحاول تحذيرك من المشاعر السهلة، هذا كلّ شيء. الحب هو أكثر كلمة مستهلكة في اللغة.

- إياك أن تجرؤ على ترخيص مشاعري، أو على التقليل من شأنها! أنا في التاسعة والعشرين من عمري، وأنت أوّل رجل أقع في غرامه. لا! ما من شيء

سهل أو انفعالي في مشاعري تجاهك. إنها جوهرية وحقيقية جداً.

- إذاً، أنت اخترت الرجل غير المناسب.

ابتعدت عنه جينا خطوة أخرى، وهي تفرك ذراعها حيث أمسكها، لكنها لم تستسلم، فقالت: «أتريد أن تمضي البقية من عمرك وحيداً يا برايس، من دون زوجة أو أولاد أو شخص يحبك؟ أتعتقد أن أمك تريدك أن تكون كذلك؟».

- دعي أمي خارج هذا الموضوع.

- كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟ فهي كانت امرأة قادرة على الرقص رغم فظاعة الحياة التي تعيشها. لقد تحلّت بشجاعة أكبر من شجاعة ابنها!

اشتعل الغضب داخل جسده، وقال بنعومة قاتلة: «أنا لن أبقى هنا لأستمع إلى هذا».

- هي لم تتخلّ عنك يا برايس. لقد أحبتك!

أجابها بخشونة كبيرة: «أنا أعلم ذلك الآن، لكنني جهلت ذلك طوال اثنتين وثلاثين سنة».

على الرغم من شعوره بالاعجاب والتقدير لعنادها، قال برايس: «أنا سأتراجع قليلاً يا جينا. أنا بحاجة للابتعاد عنك لفترة، لإدراك ما يجري».

- لمَ لا تدركه وأنت معي؟

أجابها بصراحة عنيفة: «لأنك مغرمة بي».

- الغلطة غلطتي إذاً؟

- لقد حذرتك من الوقوع في غرامي. أنا لم أخدعك يوماً.

هبطت كتفاها وقالت: «لقد علقت في الفخ، أليس كذلك؟ إذا قلت لك إنني لن أنتظرك، أكون قد أثبت لك أنه لا يمكن أن تثق بالحب، ولكن إذا قلت إنني سأنتظرك، فهذا كلّ ما سأحظى به، الانتظار! سأوقف حياتي حتى تقرر أنت أن الهروب هو الوجه الآخر للمراوحة مكانك».

استخدمت جينا كلماته نفسها لتواجهه. قال بغضب: «كم أتمنى لو أنني لم أرَ تلك اللوحة أبداً».

www.rewayti.net

عقدت جينا ذراعيها فوق صدرها قائلة: «لا يمكنك أن تخبيء من الحقيقة إلى الأبد».

زمجر برايس مجيباً: «من وجهة نظرك أنت عن الحقيقة».

خلال قيادته للسيارة في طريقه إلى هنا، تخيل أن يدور بينهما حوار هادئ، يخبرها خلاله أنه بحاجة إلى بعض الانسحاب، وأن ردة فعل جينا ستكون موافقة هادئة على أن ما يقوله هو الأفضل لكليهما، إلا أن الحقيقة جاءت شديدة الاختلاف. شعر بالغضب منها أكثر مما غضب من أي شخص منذ مدة طويلة. في الوقت نفسه شعر بالرغبة في معانقتها بقوة في الحال. بالطبع يا برايس، سوف تقتلع عينيك إذا ما حاولت!

كرّر بصوت حاول جهده أن يجعله خالياً من المشاعر: «أنا مغادر إلى باريس وهامبورغ الأسبوع المقبل، لكنني سأتصل بك عند عودتي في نهاية الأسبوع».

بما أن اليوم هو نهار الخميس، ستبقى إذاً تسعة أيام جاهلة لمصيرها. الأسوأ من ذلك، هو أنها ستبدأ بإدراك ثمن الانتظار. أدارت رأسها وقالت: «لا تتوقع أن أجلس طوال عطلة الأسبوع منتظرة قرب الهاتف».

خرجت الكلمات بصعوبة منه: «اعتني بنفسك».

- لقد اعتنيت بنفسي طوال تسعة وعشرين عاماً من دونك. أنا واثقة أنني قادرة على ذلك لأسبوع ونصف.

- أنت مصممة على قول الكلمة الأخيرة.

أجابته بصوت منخفض: «هذا هو كلّ ما أنا قادرة على الحصول عليه. أليس كذلك يا برايس؟ لكنني لا أريد الكلمة الأخيرة أن تكون لي.. أريدك أنت لي».

بذل برايس كل ذرّة من قوة الإرادة الموجودة داخله، ليمنع نفسه من أخذها بين ذراعيه ومعانقتها بكل الشغف الذي يشعر به.. الشغف الذي أطلقته هي بداخله. مدركاً أن مجرد لمسه لها سوف يضيّعه، قال لها بحزم: «سوف أتصل بك عندما أعود. إلى اللقاء يا جينيسا!».

استدار برايس واتجه نحو الباب خارجاً. نزل الدرج مجتازاً كلّ الثنتين معاً، وهرب باتجاه سيارته.

ممن هو هارب؟ من جينا، أم من نفسه؟

غرزت جينا أظافرها في راحة يدها بقوة للدرجة الألم. هي لن تبكي... لن تقوم بذلك مطلقاً...

كيف تجرأ برايس على التلميح بأن ما تشعر به ما هو إلا عواطف رخيصة؟ كيف تجرّأ على أن يدير لها ظهره، رغم محاربتها من أجله بكل الأسلحة التي تمتلكها؟

كلّ الأسلحة ما عدا جسدها. لقد شعرت بازدراء تجاه محاولة كهذه.

لكن لا شيء مما قالته ترك أي تأثير عليه. لقد حبس نفسه في الماضي، مصمماً أن يعيش حياته وفق هذه الأحداث القديمة. هي لن تستطيع تغيير ذلك، هو وحده قادر على هذا التغيير... وهو غير مستعد.

رغم نفيه لذلك، أثراه في أعماقه، ينوي أن يتخلى عنها؟

أمسكت تفاحة من صحن الفاكهة وغرزت أسنانها فيها. أتشعر بالجوع؟ كيف تستطيع أن تشعر بالجوع فيما قلبها يتحطم؟ في الوقت الذي تشعر فيه بالغضب لدرجة تقدر معها على رمي التفاحة عبر الغرفة؟ بحركات خرقاء غير منظمة، أعدّت جينا لنفسها بعض الخبز المحمص الذي أكلته مع الجبنة والتفاحة. سارت بعدها باتجاه المرسم. اللوحة التي سببت هذا الخلاف بينهما هي أوّل ما رأته. لعنتها في سرها، ووضعتها بفظاظة على الأرض فوق بعض الأقمشة الأخرى، ثم حملت دفتر الرسومات الأولية.

يجب أن تفعل شيئاً بخصوص هذا الاضطراب الكبير الذي تشعره به داخل صدرها. هي تعلم أن تحت هذا الغضب يختبيء الألم، ألمٌ أكبر من أي كلمات. لقد تركها برايس، مؤقتاً... كما يقول. لكن كل شيء في هذه العلاقة كان مؤقتاً.

هل يمكن أن يعود، أم أنه سيستغل هذه الفرصة لينهي العلاقة؟ مركزة على الخوف، ابتدأت جينا بالرسم. ثم قامت برسم لوحة زيتية تمهيدية على لوح

www.rewayti.net

صغير. أخيراً شعرت بالإنهاك، فأطفأت الضوء، مقاومة دموعها.

يجب أن تنام قليلاً.

غرقت جينا في نوم متشنج، استفاقت منه عدة مرات مع كوابيس. شاهدت نفسها برفقة أولاد يتنمرون عليها في منزل رعاية يختفي وراء جدران من الكوميبوترات.

في صباح اليوم التالي، أجبرت جينا نفسها على تناول الفطور، ثم عادت مجدداً للعمل في المرسم.

عملت كامرأة ممسوسة حوالى الخمس ساعات، حتى أنهاها حدس داخلي بأنها فعلت كلّ ما تقدر عليه. تراجعت قليلاً، ووقفت متأملة ما أنجزته.

اللوحة كلها تحدثت عن الأمور المؤقتة. الحب، السعادة.. حتى الحياة نفسها، كلها مؤقتة وسريعاً ما ستزول.

نظفت فراشي الألوان، وهي تشعر بالألم في ظهرها. تحركت كامرأة مسنة، فسارت بخطى بطيئة باتجاه غرفة نومها، واستلقت على وجهها فوق السرير. أمسكت بزوايا المخدة بين قبضتيها المضمومتين، وشعرت بالشهقات تتجمع في حنجرتها، بكت لوقت طويل، بسبب الوحدة القاتلة. قد أراها برايس معجزة الحميمية، والآن حرمها منها. كيف يمكن لها ألا تشعر بالوحدة؟

لِمَ كانت بهذا الغباء؟ لِمَ كانت حمقاء لدرجة أن تقع في غرام برايس؟

١٦ ـ وعاد من ماضيه

في شارع خلفي في منطقة ليفت بانك في باريس، بعد منتصف الليل بوقت طويل، مرة أخرى لم يستطع برايس أن يستكين وينام في غرفته الفخمة في الفندق، فخرج بشكل.

الأمر عينه حصل في هامبورغ. سار العمل بشكل جيد في كلّ من ألمانيا وفرنسا، فهو محترف في عمله ولا يسمح لاضطرابه الداخلي بأن يظهر، أو يقف في طريق خبرته وتفكيره الخلاّق اللذين هما علامته المسجلة. لكن في الوقت الذي لم يعمل خلاله، كان كارثة متجوّلة.

إنه حرفياً كذلك، لقد نهض عند الفجر وهرول لساعة من الوقت. عند الظهر استمتع بصحبة آلات النادي الرياضي من أثقال وآلات تجذيف، لكنه الآن، غير قادر على الاستراحة، مثل نهر السين الذي موّجت وجهه الريح.

فكّر برايس أنه لا يملك أدنى فكرة حتى الآن عما سيقوله لجينا عندما يتصل بها. أيخبرها أنه مشتاق إليها ليل نهار، وأن غيابها عنه مؤلم كفقدان أحد أوصاله؟ أيخبرها أن قوة المشاعر التي أثارتها داخله أخافته، وأن ماضيه يطبق عليه بتشابك وتعقيد كالأزقة المظلمة التي يمر بها الآن؟

جينا ليست خرقاء، وهو بذلك لن يخبرها شيئاً جديداً لا تعرفه.

هو لا يستطيع إبقاءها منتظرة إلى الأبد، فهذا ليس عادلاً. الخطوة التالية هي خطوته. تحت كل هذا الارتباك، أدرك برايس وجود حقيقة أكيدة: إن القرار الذي سيتخذه في نهاية هذا الأسبوع سوف يؤثر على بقية حياته. إنه خطّ فاصل لا عودة بعده!

عبث النسيم بشعره، فزاد من سرعته. عند ملتقى شارعين، وخلف

www.rewayti.net

الزاوية، رأى أمامه مشهداً جعله يشعر وكأن الزمن قد توقف. رأى رجلين يغطيان وجهيهما وامرأة مذعورة. ركض مباشرة باتجاههم، وعقله يعمل بأقصى سرعة. لقد تعلم في شوارع بوسطن الخلفية عدداً لا يحصى من حركات القتال، وأضاف إليها في عشرينيات عمره، حزاماً بنياً في الكاراتيه. فيما قام أحد الرجلين بانتزاع حقيبة المرأة، رفع الثاني قبضته ليضربها. صرخ برايس صرخة مرعبة، وسرعان ما اعترض الرجل الأول وجعله يتعثر ويقع مرتطماً بالأرض الحجرية، أما الرجل الثاني فأداره على عقبيه ليواجه لكماته. بزاوية عينه، لمح برايس المهاجم الأول ينتصب على قدميه، فاستدار وأطاح به أرضاً بركلة واحدة. استدار الرجل الثاني هارباً متخلياً عن الحقيبة وعن شريكه الذي جرّ نفسه وهو يئن إلى خارج مجال برايس، ثم استعان بحائط المبنى ليستطيع الوقوف، وانطلق هو أيضاً ليختفي في الظلام.

استدار برايس نحو المرأة وهو يتنفس بصعوبة. إنها امرأة في الأربعينيات من عمرها كما خمّن، مرتدية ثياباً أنيقة، وخائفة إلى حدّ الجنون. حدّثها بالفرنسية قائلاً بلطف: «كلّ شيء على ما يرام، لن يزعجك بعد الآن».

قالت مرتجفة: «أنا حتى لم أسمعهما يقتربان... مسيو، كيف لي أن أشكرك؟».

أجابها مقترحاً عليها: «بأن تسمحي لي بمرافقتك إلى حيث تريدين الذهاب. وما من داعٍ لشكري، فلقد أسعدني ذلك».

أدرك برايس أنه يعني ما يقوله، فيما الأدرينالين لا يزال يجري في عروقه، فهزم اثنين من المجرمين هو ما يحتاجه بالضبط.

تحدثا قليلاً، وهما يسيران حتى وصلا إلى شارع أكثر إنارة، حيث تركها أمام باب فندقها الصغير. شكرته المرأة بحرارة، وسرعان ما نسيها وهو يسير مسرعاً إلى فندقه. أومأ برأسه محيياً الحاجب، واستخدم المصعد متوجهاً إلى جناحه. دخل إليه وأقفل الباب خلفه، ثم غرق في الأريكة الجلدية ورأسه بين يديه، متذكراً الطفل الصغير الذي لم يقدر على الدفاع عن أمه، فالشاحنة الصدئة لم تكن كافية. لكن الليلة، عندما أجبر هذين اللّصين على الفرار بعد أن

هدّدا امرأة مجهولة، شعر أنه، وبطريقة ما، يعوّض عن ذلك الفشل القديم.

لا بدّ أن أمه ساعته على عدم قدرته على الدفاع عنها، بل هي لم ترَ شيئاً يحتاج إلى الغفران، لأن روز أحبته.

لأول مرّة، خلال الاثنين والثلاثين عاماً، سمح برايس للحب أن يتوسع داخل صدره... أن يتفتح مثل وردة، يبهره وجمال مالئاً قلبه.

بشكل مبهم، لاحظ برايس الدموع المنهمرة على وجهه، تلك الدموع الصعبة على رجل تعلم باكراً أن لا يبكي. كانت أمه تعدّ الخطط لتهرب وتأخذ ابنها معها لتبني معه حياة أفضل، ثم قامت بارتكاب الخطأ، فذهبت وحيدة إلى الشقة ووجدت فليتشر بانتظارها.

إنها غلطة دفعت ثمنها حياتها، لكن السبب كان شجاعتها وحبها لابنها الصغير. لم يساور برايس أدنى شك بذلك.

بقي لوقت طويل منحنياً، وصدره يرتجف من الحزن الذي حبسه لسنين طويلة. وبعد أن تلاشى من التعب، خلد إلى فراشه.

فاته أن يضبط المنبه، فغرق في النوم إلى وقت متأخر.

فكّر برايس بكآبة وهو يتوجه إلى الحمام، أن ما يشعر به شبيه بإحساس الرجل الذي ركله على الأرض. ضربت المياه الساخنة عضلاته المتألمة، مجلية في النهاية أفكاره. إذا لم يسرع فسوف تسبقه الطائرة، وعندها سيتأخر الوقت كثيراً على الاتصال بجينا عندما يصل.

أدرك طائرته قبل خمس دقائق من إقلاعها. نام خلال معظم الرحلة كرجل ميت، ثم استأجر سيارة ليموزين أقلته إلى منزله في المدينة. حرارة شمس بعد الظهر كانت تخنق بوسطن، فشعر بالامتنان لوجود ظلال الأشجار الطويلة وهو يركض صاعداً الدرج الأمامي ليدخل إلى منزله المكيّف، البارد. رمى حقيبته قرب الباب وأسرع نحو الهاتف. لكن بعد أن ضغط على الأرقام واجهه الرنين المتكرر الفارغ، وما لبث أن اشتغل جهاز تلقي المخابرات الخاص بجينا.

لقد أخبرها أنه سيتصل بها خلال نهاية الأسبوع، واليوم هو الجمعة. وضع برايس سماعة الهاتف من يده. هو لا يريد أن يترك لها رسالة، بل يريد أن

www.rewayti.net

يتكلم معها. على الرغم من أنه، إذا أراد أن يصدق مع نفسه، لا يعرف ما سوف يقوله لها. أهذا السبب لم يتصل بها من هاتفه المحمول، في وقت أبكر؟

اشتعلت داخل عروقه رغبة في أن يراها وجهاً لوجه. أسرع إلى غرفته، وبدل ملابسه مرتدياً بنطلوناً قطنياً غير رسمي، وقميصاً قطنية ذات ياقة مفتوحة، ثم أخذ مفاتيح سيارته عن الطاولة.

بدت له الرحلة سخيفة. هناك احتمال بأن يجدها بالطبع في الحديقة، لكن الاحتمالات متعادلة بأن تكون في كاليفورنيا تتمتع بعلاقة مع راكب أمواج.

أهو يعتقد ذلك حقاً؟ هل يفكر فعلاً أن جينا قادرة بسهولة على تحويل عواطفها تجاهه إلى شخص آخر، خلال أسبوع ونصف؟

أدرك أنه لا يزال يتحاشى كلمة حب. لكن... أليس حبها أهلاً للثقة كما كان حب روز؟ ابتدأ برايس بإطلاق الشتائم في سره وهو يتوجه إلى المرآب.

مركزاً على الطريق أمامه، وصل إلى ويلسبرينغ في وقت قياسي. لكن عندما دخل إلى حديقة جينا الساكنة، التي تغمرها أشعة الشمس، حيث الأزهار القرمزية وأزهار الخطمى البيضاء المختلطة مع النسيم، ووقفت أزهار الأصائل كحراس أمام الحائط الحجري القديم، وجد نفسه وحيداً. صعد الدرج الخلفي، قرع الباب ووقف منتظراً. حاول فتح الباب، فوجده كالعادة غير مقفل.. ناداها: «جينيسا! أنا برايس... هل أنت في المنزل؟».

أجابه الصمت المثقل بأصوات العصافير الآتية من الحديقة. ربما تكون جينا في بوسطن، تزور تشارلز وكورين، أو ربما تكون في نيويورك عند ليونورا. دخل إلى المطبخ، حيث ارتاح عندما وجد أنها تركت كوباً من القهوة وباقة من السانخ على المجلى.

لم يصدق أن باقة من السانخ الذابل جعلته يشعر وكأن حكم الإعدام عليه قد تأجل.

نظر برايس حوله، فرأى منزلاً متواضعاً، تحوطه الأزهار، وتعبق فيه رائحة خفيفة للألوان الزيتية. لكن ألا يحتوي هذا المنزل على كلّ ما أراده، لأنه منزل امرأة جعلته شجاعتها ونزاهتها يأتي إليها مفعماً بالثقة المطلقة؟ منزل

امرأة خلاقة، شغوفة وصادقة...!

جينا، المرأة التي انتظرها طوال عمره، لأنه يحبها. في مكان ما، أخذت ذبابة تطن أمام لوح النافذة الزجاجي... استمع برايس إلى صوتها، يلذهن شارد. لقد احتاج لأن يترك جينا ويسافر إلى مدينة بعيدة تقع قرب نهر، وينقذ امرأة مجهولة من الخطر حتى يسمح لنفسه بالتحرر من الماضي واعتناق المستقبل. مستقبل هي فيه محورية، أساسية، وضرورية كالهواء الذي يتنفسه.

في اللحظة التي تعود جينا بها، سوف يخبرها أنه يحبها. لا بدّ أنها في مكان قريب... توجه برايس سائراً نحو المرسم بصورة آلية، حيث وجد اللوحة التي سببت كلّ المشاكل ملقاة بإهمال فوق لوحات أخرى على الأرض. الوقائع الموجودة بها هاجته الآن، بنفس العنف السابق. عندما نقل نظراته إلى الخامل أصبح تنفسه حاداً.

الواقع الذي تظهره هذه اللوحة هو أنه ليس هناك شيء مؤكد.. لا يمكن أن تثق بشيء، لاسيما الحب. بدت له اللوحة اتهاماً مباشراً للطريقة التي عاش بها حياته، بل إدانة قوية للطريقة التي عامل بها جينا، مشاركاً إياها العناق الحميم رافضاً في الوقت نفسه مشاركتها حميمية موازية في الأوقات الباقية الأخرى. لقد أوشك على خسارتها...!

شعوره بأنه غير قادر على البقاء في الغرفة نفسها مع هذه اللوحة، تساوى مع شعوره بعدم القدرة على الجلوس في مكانه منتظراً عودة جينا. غادر برايس إلى الخارج مجدداً، لكنه لم يستطيع البقاء في الحديقة أيضاً. فهي مسالمة، مليئة بالألوان والروائح وأغاني العصافير، فانطلق سائراً.

سار برايس حوالى الخمس دقائق، ثم سمع أصوات أطفال عالية، حملها النسيم. تتبع الأصوات بفضول، فشاهد من خلال الأشجار منزلاً مبنياً على طراز منازل المستعمرات، محاطاً بحديقة كبيرة غير مرتبة. تحت أشجار التفاح وضعت طاولة طويلة، عليها صحون ملونة وفوط. الأولاد، بناتاً وصبياناً، كانوا يلعبون كرة القدم بشكل فوضوي في الحقل الذي يقع خلف المنزل. قفز قلب برايس بقوة داخل صدره حين رأى جينا تركض خلف الطابة وشعرها

www.rewayti.net

يتطاير في الهواء.

كانت جينا مرتدية بنطلوناً قصيراً وقميصاً قطنية، وهي تقفز بحماسة مشاركة في اللعب. فكّر برايس والابتسامة تداعب شفتيه، أنها تلعب من دون أي مراعاة للقواعد. لكنها أيضاً تعمل على التأكد من أن الجميع يحظون بفرص متساوية للعب بالكرة، بدءاً بالفتاة الصغيرة وصولاً إلى الصبي الأكبر. شعر برايس أنه يغرق في حبها أكثر فأكثر.

كيف يمكن له ألّا يحبها؟ فهي كريمة، موهوبة، مزاجها ناري وشغوفة، لطيفة وتحب المرح، وهي مستعدة للتغيير. هذه الصفات هي أوجه مختلفة للمرأة التي أحبها، على الأرجح منذ أن طردته خارج منزلها قبل حفل العمادة خشية أن يتعرف عليها.

وليصدق مع نفسه أكثر، أدرك أنها حظيت بمكانة في قلبه عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها.

تسلل إلى عقله خيال تلك اللوحة الأولى المليئة بالفرح. هو لم يعد خائفاً منها الآن، لأنه أصبح قادراً على فهمها. فالألوان النارية المتدرجة، والمعرفة العميقة هي الآن ملكه وملكها. دفع بوابة السور الخشبي الأبيض فاتحاً إياها، ثم أغلقها بحذر خلفه.

ما إن ولج برايس من بستان الفاكهة حتى رأته جينا، فارتبكت وتعثرت بكتلة من العشب النامي وتدحرجت على الأرض. ببضع خطوات سريعة وصل برايس إليها، وسألها بلهفة: «هل أنت بخير يا حبيبتي؟».

همست: «ماذا ناديتني؟».

نظر برايس إلى خديها المشتعلين من الركض، وصدرها الذي يعلو ويهبط تحت قميصها الرقيق. سألها بصوت أبح: «هل تتزوجين بي؟».

ضربتها كرة القدم بين كتفيها، وركض صبيان صغيران مسرعين، أحدهما يدفع الكرة برجله، والثاني يصيح: «عفواً يا جان».

قالت له بضعف: «أنت أقل الرجال رومنسية. ألم تسمع بشيء يدعى ضوء الشموع وعزف الكمان؟».

– إذا قبلت الزواج بي فسوف أضيء لك مشاعل وأستأجر فرقة موسيقية».

قال برايس ذلك وانتظر إجابتها. شعر بأنفاسه تعلق في حلقه، وقلبه ينبض بسرعة كبيرة، وكأنه هو الذي كان يركض في عرض الملعب.

سألته بشك: «هل أنا أحلم؟ أهذه حالة تقليدية لتحقيق الأمنيات؟».

أجابها وهو يمسكها من كتفيها ليرفعها على قدميها: «أنت مستيقظة تماماً. أنا لا أستحقك، فلقد تصرفت كأحمق كبير. لكنني أحبك من أعماق قلبي. . . اليوم وغداً وإلى الأبد. تزوجيني يا جينا، أرجوك!».

لكزته بأصابعها بقوة على صدره، وقالت: «تبدو حقيقياً، ربما يجب أن تعانقني كي أتأكد».

جوقة من الصرخات الصادرة من الجانب الآخر للحقل أشارت إلى إحراز هدف. أحنى برايس رأسه، وبكل الحب الذي اكتشفه حديثاً، عانق جينا حتى انقطعت أنفاسه. تمتمت جينا ووجهها لا يزال قرب وجهه: «أجل».

– أجل، ماذا؟

نظرت إليه بعينين تلمعان من الفرح: «أجل، أنت حقيقي. أجل، سوف أتزوج بك. على الرغم من أنني قد أمضيت أسوأ عشرة أيام في حياتي».

– أنا آسف يا حبيبتي. أنا آسف أكثر مما أقدر على القول، وأنا لا أقدر حتى على التفسير.

لفّها بذراعيه، بحيث لم تعد قادرة على الهرب، وأخبرها متلعثماً عن محاولة السلب التي حدثت في باريس وقتاله للصّين: «عندما عدت إلى الفندق، حدث معي أمران: تركت نفسي أشعر بكل الحزن على أمي، ذلك الحزن الذي دفنته لسنوات . . . لكن الأهم من ذلك هو أنني أدركت مدى حبي لها، وقوة حبها لي. بطريقة ما حرّرني هذا الأمر بشكل لا أقدر أن أفهمه».

أجابته جينا بانفعال: «هذا منطقي تماماً لي».

تابع برايس: «لحظة وصلت إلى المنزل، أسرعت متوجهاً إلى هنا، وعندما شاهدت بافة السانح على الجبل، عرفت ما أريده».

– السانح!

www.rewayti.net

ابتسم لها: «أجل السبانخ.. وأرجوك لا تسألي. توجهت إلى الخارج لأجدك، وعندما رأيتك تلعبين كرة القدم مخالفة كلّ القواعد، أدركت أنني خلال الفترة الماضية قد حدّدت أولوياتي، وسألتك أن تتزوجيني».

- أنا غير قادرة على استيعاب علاقة السبانخ بما حصل، لكن النتيجة أعجبتني.

قالت جينا ذلك وهي تمرر بإصبعها على خده نزولاً إلى ذقنه. وأكملت: «أنت حقاً تريد الزواج بي؟».

- بأسرع وقت ممكن.

- يجب علينا أن ندعو مايبيلين.

- وتشارلز، وليونورا، وسامانثا.

ردّدت جينا كلمته الأخيرة، وهي تبدو متفاجئة: «سامانثا.. أعلم أنني لا زلت مبتدئة، دون خبرة في ما يخص الأطفال، لكني أريد أن أرزق بطفل؛ طفلك وطفلي. أمستعد أنت لإنجاب الأطفال؟ أم أنك لا تزال خائفاً من ألا تكون أباً صالحاً؟».

ركضت إليها بنتان صغيرتان ترتديان ثوبي حفلات ملطخين بالوحل وتلهثان. أمسكت إحداهما بحاشية بنطلونها قائلة: «جينا، كيث لا يسمح لنا أن نلعب بالكرة... إنه يتصرف بلؤم».

قالت جينا والانزعاج واضح عليها: «حسناً سوف أذهب إليه. يجب أن تخبرني الحقيقة يا برايس. هذا الأمر مهم».

كان برايس قد اتخذ هذا القرار مسبقاً، على الرغم من أنه لم يقدر على تفسيره حتى لنفسه. كل ما أدركه هو أن خوفه من إرث فليتشر قد اختفى. أجابها بثبات: «أجل، أنا أريد أطفالاً. يمكننا أن ننجب طفلين حتى».

بدت ابتسامتها مشعة: «بإمكاننا أن نعلمهم لعب كرة القدم».

علّق برايس: «يجب أن أقوم أولاً بتعليمك القواعد. والآن، هيا! دعينا نأخذ الطابة من كيث».

بعد حوالى الثلاث دقائق، انهمك برايس وجينا باللعبة إلى حدّ تعريض

ملابسه النظيفة لخطر وشيك. في المدرسة التي ارتادها وترافيس، كان هو نجم فريق كرة القدم، وسرعان ما أدرك الآن أنه لم يخسر شيئاً من موهبته. والأهم من ذلك أنه سرعان ما أدرك وبعد أقل من ثلاث دقائق أنه يمضي وقتاً ممتعاً. يمكن لمستقبله مع جينا أن يكون كهذا، فكّر برايس، وهو يركل الكرة باتجاه فتاة ذات وجه ملائكي وموهبة قوية في الرفسات القصيرة.

من جانب الملعب، جاء صوت صفارة حاد، وناديهم امرأة: «حان وقت الهوت دوغ».

اتخذت اللعبة مباشرة. ابتسمت جينا لبرايس وهي تبعد شعرها إلى الخلف عن جبهتها: «تعال لتقابل صديقتي سوزان. اليوم هو عيد ميلاد ابنها ماكس».

بدت سوزان امرأة سمراء جميلة ذات عينين بنيتين لامعتين. قالت جينا وهي تشبك ذراعها بذراع برايس: «سوزان، أريدك أن تتعرفي إلى خطيبي، برايس لاريبي».

- خطيبك؟ منذ متى؟

ضحك برايس قليلاً: «منذ خمس دقائق خلت. هيا! دعيني أساعدك في تحضير المشاوي».

عاتبتها سوزان وهي تحتضن صديقتها بحرارة: «أنت إنسان غامض يا جينا. هذه هي المرة الأولى التي أسمع بها عن خطيبك... برايس، عيدان الشواء موجودة على الطاولة، وأنا سعيدة بمقابلتك».

جهّز برايس عدداً كبيراً من قطع الهوت دوغ، ووزع حصص البطاطا وعلب الشواء. توقف عن محاولة تذكر أسماء كل الأطفال، ربما لأن جينا تلهيه وهي تطعمه الهوت الدوغ المغطى بخطوط الخردل الأصفر، والكتشب الأحمر والتوابل الخضراء. عندما اختفت لتحضر الكاتو الذي حضرته وبلما لاوسون، استغل برايس الفرصة وتبعها إلى داخل المنزل، وأجرى مكالمة خاصة مع بائع أزهار محلي طالباً توصيلة مباشرة، ثم انضم إلى الآخرين مشاركاً إياهم المثلجات وكعكة العيد.

بعد مرور ساعة، غادر الأطفال. لعب ماكس وأخاه بلطف ببعض

www.rewayti.net

الألعاب الجديدة، فيما غرق برايس إلى مرفقيه في ماء الجلي. شعر بالارتياح نحو سوزان، وأمتعته مهارتها في محاولة اكتشاف ما إذا كان جيداً كفاية ليتزوج صديقتها جينا. وعندما عانقته وهي تودعهما بدا له ذلك تأييداً عارماً للزواج، ثم وعدتهما بأن تدعوهما إلى العشاء مساء أحد أيام الأسبوع المقبل.

سار برايس وجينا عبر المرجة. بدت رجلاها الماريتان مخططتين ببقع العشب والوحل، وشعرها متشابكاً بتجعدات غير منظمة. بدت له جميلة لدرجة لم يدرِ إذا كان قادراً على تحملها. عندما استدارا عند الزوايا، وأصبح منزلها بادياً لهما، وقفت جينا في مكانها، وألقت رأسها إلى الخلف وابتدأت بالضحك.

لقد أحضر بائع الأزهار حزماً وحزماً من البالونات، كتب عليها بأحرف بيضاء كبيرة: «أنا أحبك». تمايلت البالونات بتعومة مع النسيم بألوانها البنفسجي، الأحمر، الأزرق، الأخضر، الأصفر، الليليكي والبرتقالي. قال برايس: «لم أجد إحضار الزهور منطقياً، فحديقتك تمتلئ بالأزهار».

قالت مقهقهة: «كلّ تلك الألوان! يا لها من هدية مثالية لرسامة! وأنا التي اتهمتك بأنك غير رومنسي».

قال لها بصوت عميق: «عندما نصبح في الداخل، سوف أريك مدى رومنسيتي».

سألته وهي تفتح عينيها على اتساعهما ببراءة: «وكيف ستفعل ذلك؟ أستعد لي سلطة السبانخ؟».

- كلا، سأفعل هذا لاحقاً. أولاً سوف أوصلك إلى الحمام لتزيلي عنك الوحل. وبعدها سنرى ما سيحصل.

فتحت جينا البوابة الأمامية، وعبرت بين البالونات المتمايلة: «برايس، هل قلت لك اليوم إنني أحبك حتى الجنون؟».

- ليس بكلمات كثيرة.

ابتسمت ناظرة في عينيه: «أنا أحبك لدرجة أشعر معها وكأنني سأنفجر مثل البالون».

أجابها مبتسماً بدوره: «أرجوك لا تفعلي ذلك. فأنا لا أعتقد أنني شعرت من قبل بالسعادة التي أشعر بها الآن، أو أنني رأيتك بهذا الجمال من قبل».

أجابته بالابتسامة البريئة نفسها: «تهلل قليلاً، فقد تغيّر رأيك».

بعد ساعتين، وبعد أن غرقا بين أحضان بعضهما متعانقين لفترة طويلة، قال لها برايس بصوت أجش: «أنا مغرم بك، وأنت رائعة فعلاً ومغرية بجمالك، لكنني سأتذكرك دائماً واقفة في المرجة، ملطخة بالوحل، تضحكين على البالونات وشعرك يلمع في ضوء الشمس».

- أنت تقول لي أروع الأشياء.

قال لها يكسل: «لمَ لا ننهض ونتصل بالعائلة؟ باستطاعتنا أن نتزوج قبل أن يسافر برايس وجولي إلى المكسيك... أتوافقين على العيش في بوسطن معظم الوقت؟».

أجابته جينا: «آه! أجل. لكنني أريد الاحتفاظ بهذا المنزل. إنه المكان الذي التقينا فيه في المرة الثانية».

- أنا أحب هذا المكان. سيكون رائعاً للاستراحة عندما نتعب من المدينة.

قالت هي: «أنا لا أريد زواجاً اجتماعياً ضخماً. فقط بعض الأصدقاء المقربين والعائلة... وربما نستطيع أن نقيمه هنا في ويلسبرينغ».

أجابها برايس مداعباً عنقها: «نستطيع أن نفعل ما تشائين».

مرّت نصف ساعة أخرى قبل أن يقدرا على الابتعاد عن بعضهما البعض. استخدمت جينا هاتف المطبخ وبرايس هاتف المرسم ليتصلا بتشارلز، الذي قال بعد أن أبلغته جينا: «الزواج؟ أنتِ وبرايس؟ تهانينا جينيسا! إنه رجل جيد وأعماله مزدهرة... أنا سعيد جداً من أجلك. على فكرة ترافيس وجولي هنا، أتريدان أن تتحدثا إليهما؟».

عندما أصبح ترافيس على الخط، شعرت جينا بأنها قادرة على رؤية ابتسامته. قال لها: «الزواج إذاً؟ إنها أفضل أنباء سمعتها اليوم. لقد استغرقتما وقتاً طويلاً... ابتدأت بالتساؤل حول ما إذا كنتما سترتبطان أم لا».

سألته جينا: «طلبك منا أن نكون عرابيّ سامانثا، أهو خطة منك؟».

www.rewayti.net

- من؟ أنا؟

- أجل. أنت يا أخي العزيز.

- حتى لو كان ذلك صحيحاً، فلن أعترف أبداً.

أجابته جينيسا: «أنا أكثر النساء حظاً، لهذا أعتقد أنني سأسامحك. سوف نتزوج في الحديقة في ويلسبرينغ، وقد نحضر لزيارتكم في المكسيك عندما تستقروا».

قال ترافيس: «تستطيعان أن تهتما بالطفلة من أجلنا. فهذا تدريب جيد لكما».

احمرّت وجنتا جينا، فعلق برايس: «لا تستعجلنا يا ترافيس. فأنا لم أعتد بعد فكرة وجود شخصين، من دون إضافة ثالث».

- أنت الرجل الذي قال في زفافي إن المرأة التي ستقوده إلى المذبح لم تولد بعد!

علق برايس: «يبدو لي أنني قادر على تذكرك وأنت تقول شيئاً مشابهاً لهذا قبل لقائك جولي».

قال ترافيس: «إذاً نحن محظوظان لأننا قد وجدنا من أثبت خطأنا».

كيف يمكن لبرايس أو لجينا أن لا يوافقا على ذلك؟

www.rewayti.com/vb
RAYAHEEN

www.rewayti.net